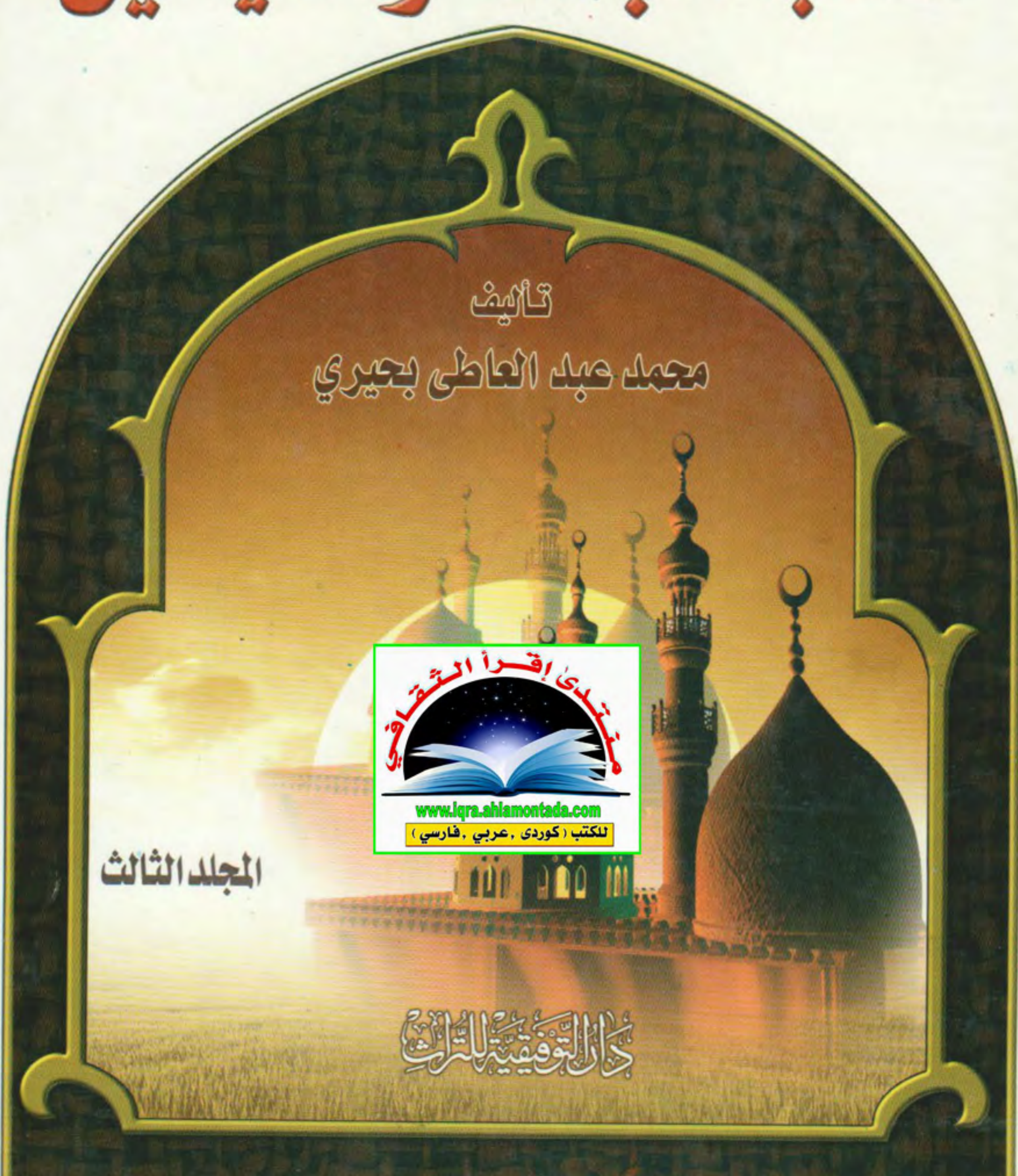
الموسوعة المنبرية في خطب الجمعة والعيدين



الموسوعة المنبرية

في

خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الدينية

تأليف

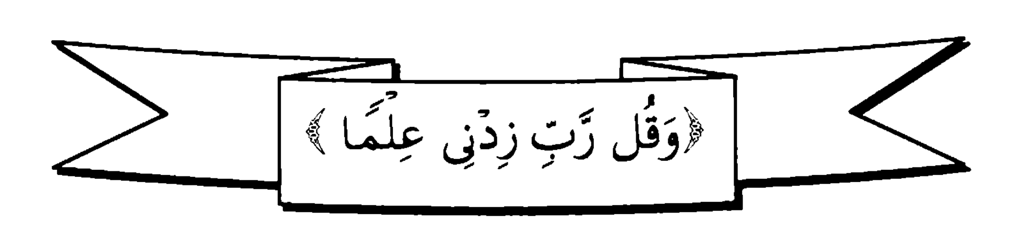
الشيخ محمد بحيري

المجلد الثالث



١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم



اسم الكتاب: الموسوعة المنبرية
في خطب الجمعة والعيدين جـ ٣

تـأليـــف : محمد عبد العاطي بحيري

رقم الإيداع : ٥٤٧٦ \ ٢٠١٢

النـــاشـــر : دار التوفيقية للتراث - القاهرة

دار التوفيقية للتراث

---

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر – القاهرة

تليفون : ٢٥١٠٥٦٦٢

أولاً: خطب
في الزهد والرقائق

الخطبة الثالثة والسبعون

عبادات يسيرة أجورها كبيرة

الحمد لله رب العالمين.. سبحانه سبحانه.. رحيم لطيف.. بيده الأمر والتصريف، لا يحتاج إلى تعريف.. لا إله إلا هو.. لا نعبد إلا إياه، ولا نرجو سواه، عظيم السلطان والجاه، أفلح من دعاه وسعد من رجاه، وفاز من تولاه.. علام الغيوب، وغفار الذنوب وستار العيوب، وكاشف الكروب، وميسر الخطوب، ومقدر المكتوب عظمت بركاته، وحسنت صفاته، وكثرت نعماؤه، وعمت آلاؤه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. فيا من أثقله الهم وأحاط به الغم، وهزه الألم الجم، قل: لا إله إلا الله.

ويا من أثقلته الديون، أو غيبته الشجون، وبات وهو محزون، قل: لا إله إلا الله، ويا من اشتد به الكرب، وعلاه الخطب، اذكر الرب، وقل: لا إله إلا الله.

قال أبو معاذ الرازي: لو تكلمت الأحجار، ونطقت الأشجار، وحظيت الأطيار لقالت: لا إله إلا الله الملك القهار.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله.. النبي المصطفى والرسول المجتبى.. أرسله الله على الظلماء كشمس النهار، وعلى الظمأ كالغيث المدرار، أحيا الله برسالته السنن.

يا من تضوعت بالمسك أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي لك الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الطهر والكرم

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على هذا النبي ﷺ الأمي التقي النقي الهاشمي الزمزمي وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أمة الحبيب المصطفى ﷺ...

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه قد فاز المتقون وسعدوا في الدنيا والآخرة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فاتقوا الله - رحمكم الله - وارغبوا فيما عنده، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، فطالبها مكدود، والمتعلق بها متعب مجهود، والزاهد فيها محمود، واستعيذوا بالله من هوى مطاع، وعمر مُضاع.. ورحم الله عبدًا أعطاه الله قوة، فعمل بها في طاعة الله أو قصر به ضعف، فكف عن محارم الله.

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

لقاؤنا في هذا اليوم المبارك بعنوان: «**عبادات يسيرة، أجورها كبيرة**».

وأسأل الله ﷻ أن يجنبنا الفتن، ما ظهر منها، وما بطن، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه.

عبادات سهلة ميسورة، وأجرها عظيم، ونفعها للمسلم كبير عند من خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك.

عبادات شرعها الله ﷻ لعباده، ليغتنمها العبد، ويتزود منها ذو الحزم والعزم، ولا يستصعبها الضعفاء.

وهذه العبادات اليسيرة تنقسم إلى قسمين:

الأول: عبادات يسيرة قولية.

الثاني: عبادات يسيرة فعلية.. فما هي هذه وتلك؟

فمن العبادات القولية:

أولاً: ذكر الله ﷻ. وهو من أعظم العبادات، وأيسرها على المسلم والمسلمة لأن الذكر ليس له وقت محدد، ولا مكان محدد، ففي أي وقت يستطيع المسلم أن يذكر ربه.. قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنَّ الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: ﴿ **فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ** ﴾ [النساء: ١٠٣]. وبالليل والنهار، في البر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال.

أرأيتم كيف كانت عبادة الذكر من أيسر العبادات وأسهلها، لكن ماذا عن ثوابها؟

إن ثوابها وأجرها لمن أعظم الأجور.. فالذكر فيه الفلاح والنجاح، قال الله ﷻ: ﴿ **وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة: ١٠]. وبه تغفر الذنوب، ويرفع العبد الدرجات قال تعالى: ﴿ **وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ويكفي عبادة الذكر أنها من أحب العبادات التي يتقرب بها إلى رب العزة والجلال قال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله ﷻ، أن تموت ولسانك رطب بذكر الله**» يكفي أنه بالذكر ينجو الإنسان ويأمن على نفسه من عذاب الله الواحد الديان، قال الحبيب النبي ﷺ: «**مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّـهِ، مِنْ ذِكْرِ اللَّـهِ** ﷻ».

ومن أعظم فوائد الذكر أن الذاكر لمولاه، يذكره، قال تعالى: ﴿ **فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال الحسن البصري رحمه الله: إنَّ الله يذكر من ذكره، ويزيد من شكره، ويعذر من كفره.. بالله عليكم، أخبروني من نحن حتى يذكرنا الله ﷻ؟ من أنت أيها

المسكين، حتى يذكرك مولاك؟ وأين يذكرك؟ إنه يذكرك في الملأ الأعلى عند جبريل وميكائيل، وحملة العرش.. فمن أنت؟

يقول يحيى بن معاذ رحمه الله: يا غفول، يا جهول، لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ، وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك، لمت شوقًا إليه.

أخي الحبيب...

ومهما عجزت ذاكرتك عن الحفظ، فلا يمكن أن تعجز عن استذكار صيغ الذكر، كالاستغفار والتسبيح، والتحميد، والتهليل.. فها هي بعض الأذكار السهلة الميسورة بين يديك:

١ - **الاستغفار**: ماذا يأخذ من وقتك.. كم دقيقة تستغرقها لفظة: أستغفر الله والله ولا نصف دقيقة.. ورسول الله ﷺ يقول في ثواب ذلك: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»[1].

والاستغفار تفتح به أبواب الرزق والبركات، وتتنزل به الرحمات، بل ويرفع الله به عن الأمة العذاب، فانظر كم يفوتك في تلك اللحظات اليسيرة من خير كثير، وثواب كبير.. ﴿ **فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ۝** ﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]. وقال: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝** ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وجاء في فضله قول الحبيب النبي ﷺ: «**من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار**»[2].

---

(١) صحيح رواه أحمد في «الزهد» عن أبي الدرداء، ورواه ابن ماجه عن عبد الله بن بسر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٣٠).

(٢) حسن: رواه البيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦١٩).

وقال: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْـحَىُّ الْـقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»(١).

٢ - **ومن العبادات القولية اليسيرة التي ثوابها كبير**: التسبيح والتحميد: وقد جاءت النصوص صريحة في سهولة الذكر ويسره في هذا الباب وخفته، مع عظم الثواب والأجر عند رب العالمين جل في علاه، إذ يقول: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِى الْـمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّـهِ الْـعَظِيمِ»(٢).

وقال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ يا رسول الله؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»(٣).

فتأمل أخي الحبيب، كم تأخذ مائة تسبيحة من دقائق وقتك؟!

وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَبَّحَ اللَّـهَ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللَّـهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّـهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْـمِائَةِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ، وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْـبَحْرِ»(٤).

وعند البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ،

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٢٢).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[(١)].

الله أكبر ما هذا الثواب الجزيل، والأجر العظيم، على هذه العبادة القولية اليسيرة السهلة؟! كم تأخذ هذه المائة من وقتك أيها الموحد؟!

٣ - **ومن تلك العبادات أيضًا**: قراءة القرآن الكريم: ألم يقل الحبيب المصطفى ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّـهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْـحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[(٢)].

فتأمل وتدبر كم في سورة مثل سورة الفاتحة وسورة الإخلاص، والمعوذتين وآية الكرسي من الحروف وكم تأخذ هذه السور منك في الوقت وأنت تقرؤها، إنك ربما قرأتها في دقيقة أو دقيقتين، فما بالك لو أمسكت بالمصحف، فقرأت ساعة أو ساعتين كم عدد الحروف التي تقرؤها، وكل حرف معدود بعشر حسنات.. يا له من خير عظيم.. لما نغفل عن هذا الخير؟ لماذا نغفل عن هذا الثواب؟! أمامك أيها الأخ الحبيب آلاف من الحسنات، بل ملايين الحسنات، التي يمكن أن يكتسبها المسلم ويحصلها دون مشقة، ودون جهد كبير، لو قرأت سورة الإخلاص والمعوذتين مرة واحدة تحصل على ١٩٧٠ حسنة، الإخلاص ٤٧٠ حسنة لو قرأتها عشر مرات تحصل على ٤٧٠٠ حسنة، كم الوقت الذي تقرأ فيه سورة ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝** ﴾ [الإخلاص: ١]، عشر مرات؟ تقريبًا خمس أو سبع دقائق.

أعرفتم أنه بين أيديكم ملايين الحسنات في أوقات بسيطة، وتغفلون عنها؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤١٦)، عن ابن مسعود، و«صحيح الجامع» (٦٤٦٩).

٤ - **ومن العبادات الميسرة التي ربحها كثير، وأجرها كبير:** إفشاء السلام: إنك تقابل كل يوم عشرات الناس، بل مئات الناس، تقابل جيرانك، تقابل زملائك في مصنع في أي عمل من الأعمال، تمر بأناس وأنت في طريقك إلى عملك، وأنت راجع، وأنت تشتري بعض حاجاتك.. فسلم عليهم، فإن السلام مفتاح المحبة بين المسلمين، وهو من أسباب دخول الجنة، لأنه دليل على الهداية، وسلامة القلب، قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**»[(١)] .

ولما خطب ﷺ عندما دخل المدينة المنورة، نورها الله ببركته، قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**»[(٢)] .

كم حسنة في إفشاء السلام؟

عن عمران بن حصين رضي الله عنه جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَّ عليه السَّلام ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «**عِشْرُونَ**». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «**ثَلاَثُونَ**»[(٣)] .

وفي رواية عند الطبراني من حديث سهل بن حنيف أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: السلام عليكم، كتبت له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله، كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتبت له ثلاثون حسنة**»[(٤)] .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه والدارمي عن عبد الله بن سلام، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٨٦٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٧١٠).

(٤) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٧١١).

ثلاثون حسنة في مائة مسلم بثلاثة آلاف حسنة في اليوم الواحد.. كم يستغرق منك السلام في الوقت.. إنه لا يستغرق شيئًا.

٥ - **ومن العبادات المجانية الميسرة:** الصلاة والسلام على خير الأنام محمد ﷺ في دقيقة واحدة تنال صلاة الله ﷻ وملائكته الكرام - عشر مرات.. قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[١].

وفي حديث أبي بريدة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلاةً صَادِقًا بِهَا فِي قَلْبِ نَفْسِهِ، إلا صَلَّى اللَّـهُ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سيئاتٍ**»[٢].

الله أكبر.. الله أكبر.. ما أعظم هذا الثواب؟ وما أكرم الكريم إذا جاد بالرحمة على عباده تصلى على رسولك وحبيبك ﷺ مرة واحدة، يصلي عليك مولاك عشر مرات.. والصلاة من الله رحمة.. ويرفعك بتلك الصلاة عشر درجات، ويكتب لك عشر حسنات، ويمحو عنك عشر سيئات.. كم تستغرق منك هذه الصلاة من الوقت.. إنها لا تحتاج إلى جهد، ولا إلى مشقة.. لا تحتاج إلى وضوء، ولا إلى أذان، ولا إلى ركوع، ولا سجود.. يا سبحان الله! ألم أقل لكم: إن لديكم ملايين الحسنات ولكنكم تغفلون عنها؟!

٦ - **ومن العبادات القولية المجانية الميسرة:** ترديد الأذان مع المؤذن، فهو من مكفرات الذنوب، وهو أمر هين لا يكلفك جهدًا ولا مشقة، ولا يأخذ منك وقتًا، قال ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْـمُؤَذِّنَ فَقولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّـهَ لِيَ الْـوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْـجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّـهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ**

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) حسن صحيح: رواه النسائي والطبراني والبزار، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٥٩).

الْـوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[١].

مجرد أنك تردد الأذان بلسانك، مع إقرار قلبك، وتعلقه بالله ﷻ فإنه تحل لك شفاعة الحبيب النبي ﷺ وفي صحيح البخاري من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّـهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْـقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْـوَسِيلَةَ وَالْـفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِى وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْـقِيَامَةِ»[٢].

وفي صحيح مسلم: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْـمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّـهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[٣].

٧ - ومن العبادات المجانية الميسرة: «دعاء كفارة المجلس» قال ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِى مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجلسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غَفَرَ اللَّـهُ لَهُ مَا كَانَ فِى مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»[٤].

فهو يمحو ما كان في المجلس من اللغط واللغو والإثم بإذن الله ﷻ.. لكن فماذا عن الأفعال؟ كل ما ذكرناه أمثلة للعبادات القولية أما أمثلة العبادات الفعلية الميسرة منها:

١ - صلة الرحم: فأنت في دقيقة واحدة تستطيع أن تصل رحمك بالهاتف قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِى أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٥]. فصلة الأرحام تزيد في الرزق، وتبارك في الأجل.

---

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر، وأبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٣) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

(٤) صحيح: «صحيح سنن الترمذي» للألباني (٣٤٣٣)، و«صحيح الجامع» (٦١٩٢).

(٥) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

٢ - في وقت قصير وجهد يسير، تستطيع أن تنال ثواب عمرة تامة، أو حجة وعمرة تامتين: قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْـغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّـهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**». ثم قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**تَامَّةٍ، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ**»[1].

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[2]. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. إلهي نحمدك يا رب كما علمتنا أن نحمدك، وإن كنت في غنى عن حمدنا لك، لكنها نعمة ومنة مننت بها علينا، أن رضيت لنا أن نحمدك.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير شهادة تنفع قائلها يوم نضع الموازين القسط ليوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئًا. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. النبي المصطفى، والرسول المجتبى..اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

٣ - **ومن العبادات اليسيرة، التي أجرها كبير:** صلاة ركعتي الضحى.. احرصوا عليها فإنها تسمى صلاة الأوابين.. قال ﷺ: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ**

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[١].

وفي الحديث القدسي عند رب العزة والجلال سبحانه: «**يَا ابْنَ آدَمَ، ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، أَكْفِكَ آخِرَهُ**»[٢].

٤ - ومنها: عيادة المريض، وهذه العيادة أو تلك الزيارة، كم تكلفك؟ كم تأخذ من وقتك؟ لا شيء سوى دقائق معدودات.. لكن تأملوا لها ثوابها، وأجرها.. يقول الحبيب النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً، إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**»[٣].

وعن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَ**». قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»[٤].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً**»[٥].

وهذا حديث قدسي جليل من أعظم الأحاديث قدرًا وفضلاً.. يقول رب العزة والجلال: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي.**

---

(١) رواه مسلم والنسائي عن أبي ذر.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (١٣١٣)، و«صحيح الجامع» (٤٣٣٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (١٣١٣)، و«صحيح الجامع» (٤٣٣٩).

(٤) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

(٥) حسن: رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٧٤).

قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْـعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِى فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِى عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِى. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْـعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِى فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِى، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِى، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْـعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِى فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ، وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِى»(١). الله أكبر.. إنه ثواب عظيم، وأجر كبير على عمل سهل ميسور.

أخي الحبيب...

ومن ذلك أيضًا: المحافظة على صلاة النافلة (الراتبة) قال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعاً غَيْرَ الْـفَرِيضَةِ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْـجَنَّةِ»(٢).

اللهمَّ أمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهمَّ من أراد بالإسلام سوءًا فاشغله بنفسه، ورد كيده في نحره.

اللهمَّ ارحم عبادك المستضعفين من المؤمنين في كل مكان.. اللهم سدد سهامهم.. واحقن دماءهم، وصن أعراضهم.

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.. اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر.. والطف بنا يا مولانا فيما جرت بها المقادير.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم.

وأقم الصلاة.

الخطبة الرابعة والسبعون

فيروسات تصيب الأمة

الحمد لله.. فالق الإصباح، أنعم على المؤمنين بالهدى والتقى والصلاح.. جعل الدنيا دولاً، فجمعت بين الهموم والأفراح وجعل الآخرة دارين: دار مقيل بارد ومستراح، ودار العويل والصياح.

أحمده سبحانه وأشكره على ما من به من الإسلام دين الفطرة والفلاح تطمئن به القلوب، وتعلوها به الفسحة والانشراح.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. المبدئ المعيد الفعّال لما يريد، أمهل عباده ليتوبوا إليه ووعدهم بالجنة والمزيد.. سبحانه لا ند له.. ولا صاحبة له.. ولا ولد له.. ولا شبيه له.. ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد عبد الله ورسوله.. فتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا.. هدى الله به بعد الضلالة، وعلم به بعد الجهالة..

كل القلوب إلى الحبيب تميل	ومعي بهذا شاهد ودليل
أما الدليل إذا ذكرت محمدًا	صارت دموع العارفين تسيل
هذا رسول الله هذا المصطفى	هذا لكل العالمين رسول
هذا الذي رد العيون بكفه	لّما بدت على الخدود تسيل
هذا الذي ظللته الغمامة إذا مشى	كانت تقيل إذا الحبيب يقيل
صلى عليك الله يا علم الهدى	ما لاح برق في السماء دليل

أما بعد...

حياكم الله جميعًا أيها الإخوة الأعزاء، وطبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا المسجد المبارك على طاعته، أن يجمعنا على حوض نبينا ﷺ لنشرب من يده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا حتى ندخل جنة ربنا.. لأننا يوم نلتقي على حوض النبي ﷺ منا من يشرب بيد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومنا من يشرب بيد سيدنا عمر، ومنا من يشرب بيد عثمان، ومنا من يشرب بيد علي، ومنا من يشرب بيد الحبيب محمد ﷺ ومنّا من ترفع الكؤوس على فمه، فيتساءل: من الذي سقانا، فيقال لهم: ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان: ٢١].

في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

لقاؤنا اليوم من الأهمية بمكان، وهو بعنوان: «**فيروسات تصيب الأمة**» فأعيروني القلوب والأسماع.

هذه الفيروسات، ليست فيروسات لأمراض جسدية، ولا فيروسات في

الأجهزة الإلكترونية، إنما هي فيروسات تنخر في جسد الأمة المحمدية.

يحدثنا عن تلك الفيروسات، خير البريات، وسيد الكائنات ﷺ فيما يرويه عنه الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْـمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّـهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْـفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْـمِكْيَالَ وَالْـمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْـمَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْـقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْـبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّـهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّـهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّـهُ إِلاَّ جَعَلَ اللَّـهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**»[1].

إنه والله حديث جامع مانع لما عسى أن يصيب الأمة من دمار وهلاك، وذلك بسبب فساد القرى والمجتمعات.

هذا الحديث الشريف ناطق بما عليه واقع المسلمين اليوم في كل المجتمعات، وفي كل مجالات الحياة، وفيه دليل صريح على تلك العقوبات التي تبتلي بها هذه الأمة، وذلك إذا أعرضت عن كتاب ربها ﷻ.

وقد اشتمل هذه الحديث على فيروسات خمسة، من أخطر الفيروسات التي تهدد كيان الأمة المحمدية، فما هي تلك الفيروسات؟

أولها: ظهور الفاحشة، والمجاهرة بها، فقال ﷺ: «**لَمْ تَظْهَرِ الْـفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**».

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه واللفظ له، ورواه البزار والبيهقي والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٧٨)، و«صحيح الترغيب» (١٧٦١).

صدقت والله يا سيدي يا رسول الله، ووالله ما سمعنا قبل ذلك بمرض نقص المناعة الذي يسمى بـ (الإيدز) إلا في هذا العصر، ولو فتشنا ونقبنا في الدراسات والأبحاث لعلمنا أن الفاحشة من الزنا والشذوذ، وعمل قوم لوط، هم الذين يصابون بهذا المرض الخطير، حتى بلغ عدد المصابين بهذا المرض من الشواذ في قلعة الكفر والإلحاد، أمريكا، ما يزيد عن ٢٠ مليون إنسان.

وقد قرأت إحدى إحصائيات المؤسسة الأمريكية الاجتماعية أن هناك على الأقل مائة ألف فتى وفتاة في الولايات المتحدة يمثلون الأفلام الجنسية، وهناك ثلاثة ملايين ولد من الجنسين يعملون في الدعارة.

في أمريكا جامعة باسم (سيرجورج وليمز) لديها الكثير من المنح الدراسية، وتشترط في المتقدم لها أن يكون لوطيًا أو مخنثًا.

وفي مدينة (لوس أنجلوس) في كليفورنيا يجتمع أكثر من ٣٠٠ ألف من الشاذين جنسيًا وكانت جمعيات الشذوذ الجنسي موجودة في أمريكا وبريطانيا تحت مسمى (كلوزت براكتيس) وكانوا يقومون بمزاولة كل أعمالهم في الخفاء، حتى قام أحد ضباط الصف اليهود بوضع لوحة كبيرة خلفه وفي مكتبة العسكري في أمريكا، وكتب عليها: (أنا لوطي) إنه يعلن عن فاحشته.. فقام الجيش بطرده، فقامت الدنيا، ولم تقعد، لاتخاذ الجيش مثل هذه الخطوة، ونشرت (التايمز الأمريكية) صورته على غلاف الصفحة الأولى، ودعى هذا اللوطي الخبيث إلى عدد من المؤتمرات ليلقي فيها محاضرات، وبعدها فجأة انتشرت جمعياتهم في كل مكان، فلم تبق جامعة تقريبًا في الولايات المتحدة إلا وفيها فرع للشذوذ الجنسي.

انتشرت أيها الأحبة الفواحش في العالم، فظهرت الأمراض المستعصية كالإيدز، الذي يدمر خلايا الجسم، ويدمر الجهاز المناعي للجسم، فيكون الجسم عرضة للإصابة بأي مرض من الأمراض بعد ذلك قليلها وكثيرها.. ولم تستطع

أكبر دول العالم قوة، وأعلاها تقدمًا أن تواجه طاعون القرن الخامس عشر (الإيدز) إنها عقوبة إلهية لأمة كفرت بشريعته، واستباحت محارمه، إنه فيروس متناهي الصغر يقتل الملايين سنويًا، من أهل الزنا واللواط، والفاحشة.

ما كانت الأمة تسمع قبل ذلك عن مرض (الهربس) و(الزهري) و(السيلان) إنها أمراض فتاكة مدمرة.

وقد حذرنا النبي ﷺ من فاحشة الزنا، لأنها تحل عقاب الله، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما ظهر في قوم الزنا، أو الربا،إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله»** (١).

وعن ميمونة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَيُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّـهُ عز وجل بِعِقَابٍ»** (٢).

وقد ذم الله قوم لوط، لأنهم كانوا يرتكبون الفاحشة، وسماهم مرة مسرفين، ومرة فاسقين، ومرة عادين.. ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝** ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١]. وقال عنهم: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

واللواط فاحشة من أقبح الفواحش، وكبيرة من أكبر الكبائر التي حرمها الله عز وجل ورسوله قال ﷺ: **«إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي، عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ»** (٣).

---

(١) جيد: رواه أبو يعلى، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٨٦٠).

(٢) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٤٠٠).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه وأحمد والترمذي، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٤١٧)، و«صحيح الجامع» (١٥٥٢).

وقد لعن النبي ﷺ من فعل فعلتهم، فقال: «**لَعَنَ اللَّـهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ**»(١). قالها ثلاث مرات .

في بعض الولايات الأمريكية يجوز الزواج بين الشاذين (رجل من رجل) أو (امرأة من امرأة) ويصدر عقد بذلك، ويعتبرونها أسرة محترمة.

أيها الأحبة الكرام...

إن من أسباب العذاب العاجل للأمم: فشو الفواحش وشيوعها، وتقصير الأمة بواجبها في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

قال القرطبي رحمه الله: وهذه سنة الله في عباده، إذا فشا المنكر، ولم يُغير، عوقب الجميع.

الفيروس الثاني: التطفيف في المكيال والميزان، قال سيد الخلق: «**وَلَمْ يَنْقُصُوا الْـمِكْيَالَ وَالْـمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْـمَؤُنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ**».

قال الله ﷻ: ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ** ﴿١﴾ **الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ** ﴿٢﴾ **وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴿٣﴾ **أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ** ﴿٤﴾ **لِيَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴿٥﴾ ﴾ [المطففين: ١ - ٥].

وقد أمر الله ﷻ بالوفاء والإتمام في الكيل والوزن، فقال سبحانه: ﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ** ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال ﷻ: ﴿ ۞ **أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ** ﴿١٨١﴾ **وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ** ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨١، ١٨٢].

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان والبيهقي والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٤٢١).

ادخلوا الأسواق، وسوف ترون التطفيف والتلاعب في الأوزان والمكاييل، وترون الغش والتدليس، والحلف بالأيمان الكاذبة.. ناهيك عما يحدث في المناقصات، والأعمال الحكومية من بعض الموظفين، الذين لا يخافون الله رب العالمين.

وهذه المعاملات المحرمة من أعظم الأسباب الموجبة للعقوبات، ونزع البركات، كتفشي المجاعات، وتضييق الأرزاق، وظلم الولاة، وجور السلاطين، كما أشار إلى ذلك النبي الأمين ﷺ.

لكن المؤمن التقي، خلقه الرضا بما قسمه الله له، والقناعة بما أعطاه الله ﷻ والاكتفاء بحلاله عن حرامه، دون تطلع إلى ما في يد غيره..

هي القناعة فالزمها تعش ملكًا لو لم يكن لك فيها إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأسرها هل راح منها بغير القطن والكفن

أيها المسلمون ، أحباب رسول الله ﷺ...

الفيروس الثالث: منع الزكاة، وقد أشار إلى ذلك الحبيب النبي ﷺ فقال: «**وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**».

وفي عصرنا الحاضر نرى منع الزكاة، وعدم أدائها لمن يستحقها، أمر ملموس ومشاهد في كثير من المجتمعات الإسلامية، والتي تقدر زكاتهم فيها بالمليارات.. والله لو أن كل واحد من هؤلاء أدى زكاة ماله، ما رأينا فقيرًا واحدًا، كما حدث في عهد الخليفة العادل الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه، لقد جمعت الزكاة في عصره، وأراد أن يوزعها، فلم يجد فقيرًا واحدًا في الأمة، وكأن الدولة العمرية عقمت أرحامها فلم تلد مسكينًا واحدًا، فماذا فعل عمر؟

لقد أصدر قرارًا بأداء الديون من بيت مال المسلمين.. ومع ذلك، فاض المال، وزاد فماذا فعل بعد أداء الديون؟ أصدر أمرًا بأن من كان عنده عبدٌ ويريد عتقه، فليأخذ ثمنه من بيت المال، فأعتق العبيد، ففاض المال، فأصدر قرارًا آخر: أيما

شاب أراد أن يتزوج، فزواجه على حساب بيت مال المسلمين، فزوج الشباب كلهم وبقي المال.. أدى الديون، وأعتق العبيد، وزوج الشباب.

ومانع الزكاة يعاقب بعقوبتين:

الأولى: عقوبة في الدنيا: وهي منع المطر، الذي هو سبب الأرزاق والأقوات الأرضية، التي يحيى بها الله العباد والبلاد، وقد سماها الله ﷻ في القرآن رزقًا قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [غافر: ١٣].

وقال ﷺ: «ما تلف مال في بر ولا بحر، إلا بحبس الزكاة»(١) .

فما من آفة في الزرع، ولا خسارة في المال، ولا حرق ولا تلف إلا بسبب منع الزكاة قال ربنا ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وإياكم أن تُخدعوا من قِبل الشيطان اللعين، الذي يفتح لكم أبواب الفقر على مصراعيها، ليحول بينكم وبين أداء فريضة الزكاة.. وصدق مولانا إذ يقول: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

أيها الموحدون الكرام...

وأما العقوبة الأخروية، فهي النار، وبئس القرار ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

---

(١) ضعيف: رواه البيهقي، ورواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عمر بن هارون وهو ضعيف «المجمع» (١/ ٤٨١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٠٤٧).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْـقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْـعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْـجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»(١).

وقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**مَنْ آتَاهُ اللَّـهُ مَالاً، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِى شِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾** [آل عمران: ١٨٠]»(٢).

كل هذه عقوبات لمانع الزكاة في الآخرة.. وهذه عقوبة أخرى، قال ﷺ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلاَ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّى زَكَاتَهَا، إلاَّ جَاءَتْ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، كُلَّمَا نَفَذَتْ أُخْرَاهَا أَعَادَتْ عَلَيْهِ أُولاَهَا، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ**»(٣). أو كما قال.

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. ولي الصالحين. وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبد الله ورسوله، اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم والبخاري والنسائي مختصرًا وأحمد في مسنده.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه وابن حبان والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٨٩٩).

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

الفيروس الرابع: نقض العهد مع الله ورسوله.. وإليه كانت الإشارة بقوله: ولم ينقضوا عهد الله، ولا عهد رسوله.. ما عقوبة ذلك؟ إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم.. لما نقضنا العهد مع الله ﷻ.. أي عهد هذا؟ إنه العهد الذي أخذه علينا ونحن في عالم الذر ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فالعهد هو ما ركزه في عقولهم من الحجة على توحيد الله ﷻ.. ونقض العهد عدم الوفاء به.. لما نقضنا العهد مع الله ﷻ ومع رسوله، سلط علينا أخس وأحقر أمم الأرض، وأصبحت الأمة قصعة مستباحة لإخوان القردة والخنازير من أذناب اليهود.. لما تركنا ما أمرنا الله ﷻ به، وارتكبنا ما نهانا الله عنه، كانت النتيجة الحتمية، والخاتمة السيئة، سلط الله علينا عدوًّا من غيرنا وإذا أردنا أن نعرف دليلاً على هذا الواقع الأليم، فانظروا إلى فلسطين، والعراق، وانظروا إلى أفغانستان والأندلس، وغيرهم كثير وكثيرًا.

قال ابن القيم رحمه الله: إنَّ بقدر إجلال العبد لمولاه، يجله الله ﷻ وبقدر تعظيم قدره واحترامه، يعظم قدر العبد وحرمته.

الفيروس الخامس: عدم تحكيم شرع الله ﷻ، لقد نحى الساسة والحكام كتاب الله، وجعلوه وراء ظهورهم.. بل خرج لنا من أبناء الأمة أو أدعيائها من يقول: بأن الشريعة الإسلامية لم تعد تتفق مع روح هذا العصر.. لقد كانت صالحة في عصر الخيمة والبعير لكنها اليوم لا تصلح في عصر المركبات الفضائية، فلا بد من آراء أهل العلم الحديث، التي تناهض وتواكب متطلبات عصر الذرة.

لما فشا الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ، كانت النتيجة الحتمية، التي لا شك فيها، فجعل الله بأسهم بينهم شديد.

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومرة قال: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧].

ومرة: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وأيم الله ﷻ لن تجتمع هذه الأمة إلا على دين الحق، ولن تتوحد إلا على كلمة التوحيد.

ولن يكون ذلك إلا إذا جعلنا القرآن الكريم قائدنا.. إلا إذا عملنا بالقرآن، وحكمنا شريعة الرحيم الرحمن.. ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

اللهمَّ حبب إلينا الطاعات، وارزقنا القبول والتوفيق، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهمَّ إنا نسألك طهارة قلوبنا، وزكاة نفوسنا، وعفة ألسنتنا، وغض أبصارها، وصون أسماعنا عن كل ما حرمت علينا.. ربنا أصلح أحوالنا وتب علينا.. واغفر ذنوبنا، وتولنا برحمتك.. ارزقنا فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين.

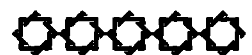
اللهمَّ ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام.. وأخرجنا من الظلمات إلى النور.. طهر بيوتنا من المنكرات، واجعلنا في مستقر رحمتك.. وأورثنا الفردوس الأعلى.. نسألك إيمانًا كاملاً.. ويقينا صادقًا.. وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وعملاً متقبلاً.. وتوبة قبل الموت، ومغفرة بعد الموت برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم.. واستغفروه يغفر لكم وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ.

وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة والسبعون

أمير الأعضاء

الحمد لله رب العالمين.. يا رب..

مـا زلـت أعـرف بالإسـاءة دائـمًا ويكـون مـنك الـصفح والغفـران

لم تنقـصني إن أسـأت وزدتنـي حتـى كـأن إسـاءتي إحـسان

مـنك التفـضل والتكـرم والرضـا أنـت الإلـه المـنعم المـنان

أحمدك يا رب حمدًا يوافي نعمك، ويكافئ المزيد من جودك وفضلك وإحسانك أسندت إليك ظهري، وفوضت إليك أمري.. ولا إله إلا أنت.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. هو سلوة الطائعين.. وملاذ الهاربين، وملجأ الخائفين.. هو الأنيس في الوحشة.. والنصير في القلة من أراد مؤنسًا فالله يكفيه.. ومن أراد واعظًا فالموت يكفيه.. ومن أراد القناعة فالزهد يكفيه، ومن لم يكفه شيء من ذلك كله، فإن النار تكفيه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا.. ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد رسول الله ﷺ .. كان إذا نطق لا ينطق إلا ذكرًا.. وإذا صمت لا يصمت إلا فكرًا.. وإذا نظر لا ينظر إلا عبرًا.

سيدي يا رسول الله ..

كـيف ترقـي رقـيك الأنبـياء يـا سـماء مـا طولـتها سـماء

لم يـساووك في عـلاك وقـد حـال سـنًا مـنك دونهـم وثـناء

صلى عليك الله يا علم الهدى.. صلاة وسلامًا عليك، وعلى آلك وصحبك ومن اهتدى بهديهم، واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أمة الحبيب المصطفى ﷺ...

أمير الأعضاء.. هذا هو عنوان خطبتنا في هذا اليوم المبارك، أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا اليوم المبارك، وفي هذا المسجد المبارك أن يجمع بيننا وبين حبيبنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أمير الأعضاء.. أتدرون من هو ذلكم الأمير؟

إنه القلب.. الذي قال عنه صاحب أعظم وأرق وأرحم قلب في هذه الدنيا ﷺ: «**إِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْـقَلْبُ**»[1].

وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد.. قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه.

القلب.. من القلب يُعرف الإنسان.

القلب مفتاح الإنسان ومدخله.

قلوب البشر هي عناوينهم.

القلب هو الكائن الذي يتقلب بين الحين والآخر.

وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.. ولذلك كان الرحمة والهدى يقول: «**اللَّـهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْـقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[2].

فإذا كان هذا هو حال إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع المذنبين،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه عن أم سلمة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٠١).

كان لا يأمن على نفسه، وهو رسول الله ﷺ، فكيف بنا نحن خاصة مع تلاطم أمواج الفتن في هذا الزمان.

القلوب محط نظر الإله ﷻ.. وهي منبع العمل ومحركه، وهي أصله وأساسه، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[١].

فمحل نظر الله ﷻ هو قلب العبد، فإذا صلح قلبه، صلحت أعماله، وكان مقبولاً عند الله تعالى - وإذا كان القلب فاسدًا، فلربما ركع صاحبه وسجد، وهو في الدرك الأسفل من النار.

فيا لله العجب من أقوام صرفوا جل همتهم في تحسين الظواهر، وغفلوا عن قلوبهم وأفئدتهم.. وما أصدق قول الإمام ابن القيم رحمه الله في نونيته:

فالفضل عند الله ليس بصورة ... الأعمال بل بحقائق الإيمان

بالقلب يعرف العبد ربه ومولاه، فيتعرف على أسمائه وصفاته، وبالقلب يعرف العبد أمر الله ونهيه، وبالقلب يحب العبد ربه، ويخافه ويرجوه، وبالقلب يفلح العبد، وينجو من هول يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. أي أتى الله بقلب سليم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره ونبأه.

وبالقلب - عباد الله - يُقطع سفر الآخرة، فإن السير إلى الله تعالى سير القلوب، لا سير الأبدان.. تقطع المسافة بالقلوب إليه.. لا بالسير فوق مقاعد الركبان.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: فأفضل الناس من سلك طريق النبي ﷺ وخواص الصحابة في الاجتهاد في الأحوال القلبية، فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب، لا بسير الأبدان.

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

أيها الموحدون...

يا من ترجون الله ورسوله، والدار الآخرة، عليكم بحفظ قلوبكم في صلاحها، وحسن النظر فيها، وبذل المجهود في استقامتها، واعلموا أنه لن يتم لكم ما ترجون من صلاح قلوبكم، حتى تسلم قلوبكم من أربعة أمور:

الأمر الأول: أن تسلم من الشرك صغيره وكبيره، فإنه من أعظم مفسدات القلوب.

قال ابن القيم رحمه الله: ولا صلاح له - أي للقلب - إلا بتوجيه محبته وعبادته وخوفه ورجائه.

الأمر الثاني: أن تسلم من البدعة ومخالفة السنة، فإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فإذا امتلأ القلب بالبدع أظلم، وإذا أظلم، مرض ولم يصح.

الأمر الثالث: أن تسلم القلوب من الشبهات، التي تزيغها، وتحملها على اتباع الهوى والتكذيب بالحق.

الأمر الرابع: أن تسلم من الشهوات، التي تمرضها وتفسدها.

أيها المسلمون...

إنَّ السلامة من هذه الآفات الكبرى لا تتأتى إلا بأسباب لابد من الأخذ بها، ومقدمات لابد من تحصيلها.. ومن أعظم أسباب الصلاح والاستقامة لهذه القلوب: الأخذ بكتاب الله عز وجل.. بأن نتلوه حق تلاوته، ونتدبره حق التدبر وأن نقف على حدوده.. فإن الله عز وجل جعله شفاء لما في صدور المؤمنين، ورحمة لهم، قال سبحانه: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾** ﴾ [يونس: ٥٧].

فالقرآن الكريم أعظم وأبلغ موعظة، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.. بل وهو أنفع الأدوية للقلوب، من أمراض الشهوات والشبهات.

قال ابن القيم رحمه الله: جماع أمراض القلوب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن شفاء للنوعين.

فأقبلوا على القلوب فداووها بالقرآن، فإنه لا صلاح لكم، ولا سعادة إلا بالتمسك به، فاعتصموا به، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

يقول الحسن البصري رحمه الله: داوِّ قلبك، فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم، ولن تحب الله تعالى، حتى تحب طاعته.

أمة القرآن...

من عرف قلبه، عرف ربه، وكم من جاهل بقلبه ونفسه، والله يحول بين المرء وقلبه.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: هلك من لم يكن له قلب، يعرف المعروف، وينكر المنكر.

وقال أصدق الخلق، وحبيب الحق ﷺ: «**لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ...**»[1].

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: «يا هذا، طهر قلبك من الشوائب، فالمحبة لا تلقى إلا في قلب طاهر، أما رأيت الزارع يتخير الأرض الطيبة، ويسقيها ويرويها، ثم يثيرها ويقلبها، وكلما رأى حجرًا، ألقاه، وكلما شاهد ما يؤذي نحاه، ثم يلقي فيها البذر، ويتعاهدها من طوارق الأذى؟!».

وهكذا المؤمن مع قلبه.. مثل الرجل البستاني مع بستانه.

وقد أعجبني كلام الشيخ محمد حسين يعقوب - حفظه الله - حيث قال:

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده»، وابن أبي الدنيا في «الصمت» عن أنس، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٥٥٤)، والصحيحة (٢٨٤١).

وفي القلب عشرة بساتين، يدخل كل صباح بساتين قلبه، ويخرج، يقلع ويزرع، فيقلع ما لا يصلح فيها، ويزرع ما تحتاج إليه

وإليك بساتين قلبك، جهزها للمزراعة، واقلع ما فيها من حشائش ضارة، ثم ازرعها، بما يجعلها تليق بأن تكون موضع حب الله، والشوق إليه سبحانه:

١ - **بستان التوحيد**: يقلع الشك والشرك، والرياء، والنفاق.

ويزرع التوحيد، والإخلاص، والصدق.

٢ - **بستان اليقين**: يقلع الحرص، والأمل، والشين، والحقد، والرغبة.

ويزرع: الرضا، والقناعة، والصبر، والغنى بالله.

٣ - **بستان معرفة الله**: فيقلع التشبيه، والتمثيل، والتأويل، والتعطيل.

ويزرع: الإثبات مع التنزيه، والأدب، والتسليم.

٤ - **بستان المحبة**: يقلع الانشغال بالأغيار، وحب الخلق والديار.

ويزرع: تعلق القلب بالله وحده، والأنس والهيبة.

٥ - **بستان العلم**: يقلع الجهل، والحمق، والتسرع.

ويزرع الصبر، والتواضع، واحتقار النفس.

٦ - **بستان الحلم**: يقلع الغضب، والحمية، والتعزز، والخيانة، والعجز.

ويزرع التسامح، والعفو، وحسن الظن، والنصح.

٧ - **بستان النقل والسنة**: يقلع البدعة، والمحدثات، والزينة، والأهواء

ويزرع الاتباع والتجرد ومخالفة الهوى.

٨ - **بستان الحلال**: يقلع الحرام، والشبهة، والطمع، والاستكثار.

ويزرع السعي والرضا، والقناعة، والزهد.

٩ - **بستان البذل والسخاء:** يقلع البخل والمنع، والطمع.

ويزرع الكرم، والجود، والإيثار، وغنى النفس

١٠ - **بستان التواضع والخشوع:** فيقلع الكبر، والعجب، والغرور، والقسوة.

ويزرع الانكسار، والعفو، والذلة للمؤمنين.

وكما أن القلوب مثل البستان صاحبها يزرع هذا، ويقلع ذاك، فإن هذه القلوب تعرض عليها الفتن، كما أخبرنا بذلك خير البشر ﷺ حيث قال: **«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»**[(١)].

والقلب كالبحر.. لماذا؟ لأنه يحتوي على أسرار عجيبة، وغموض كبيرة، وأحوال متقلبة، سواء كانت منكرة كالغفلة، القسوة، النفاق، الرياء.. والنتيجة هي الطبع، والختم والموت.

القلب يصدأ كما يصدأ الحديد، أو كالمرآة.. وجلاؤه ذكر الله، وتلاوة القرآن والقلب يعري كما يعري البدن، وزينته ولباسه التقوى.

ولذلك فإن النبي ﷺ حينما ذكر التقوى، أشار بيده إلى صدره، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«التَّقْوَى هَا هُنَا، التَّقْوَى هَا هُنَا، التَّقْوَى هَا هُنَا»**[(٢)].

ويشير إلى صدره الشريف ﷺ فالتقوى محلها القلب.. والقلب يجوع ويظمأ، كما يجوع البدن.. وطعامه وغذاؤه وشرابه، معرفة الله تعالى وحبه والتوكل عليه، والإنابة له سبحانه، ودوام طاعته وعبادته.. والله ﷻ جعل مدار السعادة أو

---

(١) صحيح: رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) صحيح: صححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٢٧).

شقوة على القلب، فإذا ملئ القلب إيمانًا وتصديقًا، ويقينًا وإدراكًا لمراد الله تعالى ومراد رسوله، كان ذلك دليل الصحة والسلامة، وصاحبه ناج في الدنيا من الفتن والشبهات والشهوات.

قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝ ﴾ [ق: ٣١ - ٣٣].

فأين القلب المنيب؟ وهذا القلب إذا لم يتعهده صاحبه بالذكر والمراقبة، ودوام الخشية منه، فإن الشهوات سرعان ما تتسرب إليه، وتبدأ بوادر المرض تغزوه بسطة المعاصي والذنوب والمخالفات، فيمرض القلب، وقد يموت - والعياذ بالله -.

عباد الله...

اتقوا الله، واعتنوا بأمير الأعضاء، اعتنوا بالقلب.. قال سيدنا داود عليه السلام: إن لكل ملك خزائن، فما هي خزانتك؟

فأوحى الله تعالى إليه: يا داود، إن لي خزانة هي أعظم من العرش، وأوسع من الكرسي، وأطيب من الجنة، وأنور من الشمس، وهي قلب عبدي المؤمن.

سارعوا إلى تطهيره وتزيينه بالإخلاص، فما أرى إلا أن قلوب العباد، قد انشغلت بالشهوات، والملذات.. انشغلت بالدنيا.. انشغلت بالدرهم والدينار.

فلا أدري فما لقلب العزيمة قد قلب، وما لنور البصيرة قد حجب، وما لسبيل الهداية قد سلب.. انظروا إلى صاحب هذا القلب.. الذي ملأه بالتوحيد والإخلاص.

قال بعض الصالحين: لقيت غلامًا في طريق مكة يمشي وحده، فقلت له: ما معك مؤنس؟ قال: بلى.. قلت: فأين هو؟ قال: الإخلاص، والتوحيد، والإيمان والتوكل.. فقلت له: هل لك في مرافقتي؟ قال: الرفيق يشغل عن الله، ولا أحب أن أرافق من يشغلني عنه طرفة عين.

قلت: أما تستوحش في هذه البرية؟ قال: إنَّ الأنس بالله، قطع عني كل وحشة، فلو كنت بين السباع ما خفتها.

فقلت له: ألك حاجة؟ قال: نعم، إذا رأيتني فلا تكلمني، فقلت له: ادع لي، فقال: حجب الله طرفك عن كل معصية، وألهم قلبه الفكر فيما يرضيه.

فقلت له: أين ألقاك؟ قال: أمَّا في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقائي، وأما في الآخرة، فإنها مجمع المتقين.

فهل تأملتم صاحب هذا القلب؟ الذي تعلق قلبه بربه ومولاه؟!

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، و«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي خلص قلوب عباده المتقين من ظلم الشهوات، وأخلص عقولهم عن ظلم الشبهات.

أحمده حمد من رأى آيات قدرته الباهرة، وبراهين عظمته القاهرة، وأشكره شكر من اعترف بمجده وكماله، واغترف من بحر جوده وإفضاله وإنعامه.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. مقلب القلوب، وغفار الذنوب، يقبل توبة من تاب ويستر من رجع وأناب.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقدوتنا سيدنا محمد عبد الله ورسوله، وحبيبه وخليله المبعوث إلى كافة البريات.. بالآيات والمعجزات.. والمنعوت بأشرف الخلال الزكيات- اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله الأئمة الهداة، وأصحابه الفضلاء، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون الموحدون...

وكما قال الحسين بن المهلب رحمه الله: القلب مضغة، وهو محل الأنوار، وموارد الزوائد من الجبار، وبه يصح الاعتبار، جعله الله أميرًا، فقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

فهو المخطط، والجوارح له منفذون.

نعم هو يخطط ويدبر.. والأعضاء تنفذ.. إذا أحب القرآن، أمر اللسان فتلا كتاب الله.. إذا فهم وعقل فضل البر.. أمر الجوارح فبرت.

القلب إذا علم وفهم فضل الجماعات، ساق الجسد إليها.

القلب إذا علم فضل الصدقة، سارعت اليد فتصدقت.

القلب إذا علم فضل الصيام، سابق الجسد فصام.

القلب إذا أحب الذكر، أمر اللسان، فتحرك بذكر الله.

القلب إذا فقه فضل العلم، أمر الأعضاء والجوارح، فانقادت إلى طلبه.

أما إذا لم يفقه القلب، فعلى الدنيا السلام.. قال الله عز وجل: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

القلوب السليمة الصحيحة هي آنية الله عز وجل من أهل الأرض، قال صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها»**[1].

تلك هي القلوب الرقيقة اللينة، التي كتب الله عز وجل لها السعادة والهناء أما الذين قست قلوبهم.. أما الذين طبع الله على قلوبهم، فهم أهل الشقاء والبلاء.. فلينوا قلوبهم بذكر الله عز وجل.. وطاعة ربكم.

(١) صحيح: «السلسلة الصحيحة» (١٦٩١)، و«صحيح الجامع» (٢١٦٣).

قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله وكان من الصالحين الزاهدين: إذا رأيت قساوة من قلبك، فجالس الذاكرين، واصحب الزاهدين، وأقلل مطعمك، واجتنب مرادك، وروض نفسك على المكاره.

عباد الله...

اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.. من أراد أنيسًا، فليجعل القرآن أنيسه، ومن أراد رفيقًا، فاجعل الملائكة رفقاءك، ومن أراد حبيبًا فالله يتولى قلوب أحبابه، ومن أراد الزاد، فاليقين بالله نعم الزاد.

اللهمَّ اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. اللهمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا.. وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.. اللهمَّ ارزقنا قلوبًا آمنة مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك وتقنع بعطائك.. اللهمَّ إنا نعوذ بك من درك الشقاء وشماتة الأعداء، وجهد البلاء، وعضال الداء.

اللهمَّ أعزّ الإسلام والمسلمين.. وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين.. وانصر عبادك الموحدين بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم.. واستغفروه يغفر لكم.. واشكروه يزدكم، أكثروا من الصلاة والسلام على حبيبي محمد ﷺ. وأقم الصلاة.



الخطبة السادسة والسبعون

أما آن الأوان؟!

الحمد لله.. نحمده على حلو القضاء ومره، ونعوذ به من سطوته ومكره لا إله إلا هو.. عدة الصابرين، وسلوة المصابين، الكريم الشكور، الرحيم الغفور، المنزه عن أن يظلم أو يجور، الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيباري، ولا ند له فيداري مفرج الهموم، ومنفس الكروب، ومبدد الأشجان والأحزان والغموم، جعل بعد الشدة فرجًا، وبعد الضر والضيق سعة ومخرجًا كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوا، وعقبى الكافرين النار.. قدر مقادير الخلائق وأقسامها، وبعث أمراضها وأسقامها، وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.. جعل للمحسنين الدرجات، وللمسيئين الدركات.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، بعثه ربه للإيمان مناديًا وفي مرضاته ساعيًا، وبالمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، بلغ رسالة ربه، وصدع بأمره، وتحمل ما لا يتحمله بشر.

اللهمَّ اجزه عنا خير ما جزيت نبيًا عن أمته، ورسولاً عن دعوته، فاللهمَّ صلِّ وسلم، وزد وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.. صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ ...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذا المسجد المبارك أن يجمعنا مع حبيبنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى إنه ولي ذلك والقادر عليه وفي بداية هذا اللقاء المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنه قد فاز المتقون وسعدوا فبها تشرف النفس، ويثقل الميزان، ويعلو القدر، ويعظم الجاه، ويحصل القرب من الباري جلّ شأنه، فما خاب من اكتنفها، ولا أفلح من جفاها.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

لقاؤنا اليوم بعنوان: (**أما آن الأوان؟**) أسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

بينما هناك خلق غرتهم الحياة الدنيا فانغمسوا في أوحال الشهوات والشبهات.. فطغوا، وبغوا، وآثروا الحياة الدنيا.. وأظهروا في الأرض الفساد، فانشغلوا عما يصلح دنياهم وآخرتهم.

وإلى أولئك الذين أسرفوا على أنفسهم نسطر لهم هذه الكلمات لعله أن يأن لهم الرجوع قبل فوات الأوان.

فيا من أسرف على نفسه وغرته دنياه، أما آن الأوان.. أوَ ما علمت أن هذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة؟ وأنه سبحانه ما نظر إليها منذ خلقها؟..

قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّـهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[1].

ومكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت لهم وتزينت لهم، إني قد قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك، ما خلقت خلقًا أهون علي منك، كل شأنك صغير وإلى الفناء تصيرين، قضيت عليك، من يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد»[2].

إنها دار غرَّارة.. ودنيا خدَّاعة.. عَمَارُها إلى خراب.. ومتاعُها إلى زوال.. عزيزها ذليل.. وشبابها يَهْرم.. وحَيها يموت دار إذا حلت أو حلت وإذا كست وكست وإذا دنت أودنت ولقد وصفها خالقها في كتابه فقال سبحانه: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠ ﴾ [الحديد: ٢٠].

فإذا كان هذا حالها أما آن لنا أن نقنع منها باليسير، ونتزود منها ليوم الرحيل؟ فما نحن فيها إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة، نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقالوا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا، إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[3]. فهل ترون الظل يدوم له؟ أم هل تروه يرضى بالزائل ويترك الدائم؟

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وابن أبي الدنيا، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٢٤)، و«الصحيحة» (٦٨٦).

(٢) حسن: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥٨)، وابن أبي الدنيا (١١٥) في «ذم الدنيا».

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٦٦٨).

أيها المسرف على نفسه... أما علمت أن الموت نهاية كل حي؟ هل فكرت فيه؟

إنَّه هادم اللذات، ومفرق الجماعات، ومنغص الشهوات وميتم البنين والبنات.. هل تذكرتم يوم ترتخي اليدان، وتشخص العينان، ويعجز عن النطق اللسان؟ هل تخيلت سكراته؟

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق: ١٩].

أحبتي في الله...

استمعوا إلى هذا الوصف للموت - من الصحابي الجليل - كعب بن مالك رضي الله عنه حيث يقول: «إن الموت كشجرة شوكٍ أدخلت في جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق منها ثم جذبها رجل شديد القوى فقطع منها ما قطع وأبقى منها ما أبقى».

الله أكبر! كم آلامه شديدة، وغصصه مريرة. والله لهو أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض.

هـو المـوت مـا مـنه ملاذ ومهرب   متـى حُطَّ ذا عن نعشه، ذاكَ يركب

فهل من توبة قبل الفراق؟ والتفاف الساق بالساق، وهل من ندم قبل أن لا ينفع الندم؟

أيها الإخوة الأعزاء...

هل سمعتم عن بيت الظلمة، بيت الوحشة، بيت الدود، مخرق الأكفان، وممزق الأبدان، يمص الدم، ويأكل اللحم، يَنْزِع الكفين من الذراعين والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين والساقين من القدمين.

إنه القبر، فهل تخيلتم ظلمته، واللحد وضمته؟

هناك حيث لا أنيس ولا جليس، إلا ما قدمت من العمل.

فالبدار البدار قبل فوات الأوان، فإن الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل.

يا من بدنياه اشتغل	وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة	والقبر صندوق العمل

أيها العاصي تذكر يوم ينفخ في الصور، فتقوم ليوم الحشر والنشور، هناك ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

أيها الحبيب..

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا	مستعطفًا، قلق الأحشاء حيرانًا
النار تزفر من غيظ ومن حَنَق	على العُصاة، وتلقى الرب غضبانًا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل	وانظر إليه ترى هل كل ما كانا
لّما قرأتُ كتابًا لا يغادر لي	حرفًا وما كان سرًّا وإعلانًا
قال الجليل خذوه يا ملائكتي	مروا بعبدي إلى النيران عطشانًا
يا رب لا تخزنا يوم الحساب ولا	تجعل لنا فينا اليوم سلطانًا

أحبتي الكرام..

أما سمعتم عن دار البوار جهنم وبئس القرار؟ دار مظلمة موحشة.. طعام أهلها الزقوم وشرابهم الحميم ثم إنهم ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٥٢ - ٥٤].

إنها سقر: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩].

إنها لظى: ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [المعارج: ١٦ - ١٨].

هل تخيلت حال المجرمين فيها: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝ ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

يا من فرط في عمره وانغمس في لهوه.. هل ترضى أن تكون لك هذه الدار دار مقام؟ وما دمت لا ترضى فالبدار البدار قبل فوات الأوان!!

أيها المسرف على نفسه...

أما اشتقت إلى دار السعادة، دار القرار، دار لا يموت ساكنوها، ولا تبلى ثيابهم، لا يبولون لا يتمخضون، ولا يسأمون وهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون.

إنهم ﴿ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٦].

إنهم ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ [الطور: ٢٠].

إنهم ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٢٨ - ٣٤].

إنهم: ﴿ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

إنهم: ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

إنهم: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٣ - ٢٦].

وفي الحديث قال ﷺ: «قَالَ اللَّـهُ ﷻ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١).

(١) رواه مسلم.

مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّـهِ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧].

الله أكبر.. يا له من نعيم! ويا لها من لذة لا تساويها لذة! ولا يقدر قدرها أحد!

«وكيف يُقدَّر قدر دار غرسها الله بيده! وجعلها مقرًا لأحبابه! وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه! ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص!» ابن القيم.

يا من إلى الجنة تسعى وعن النار تنأى، احذر الذنوب صغيرها وكبيرها، فإن عواقبها وخيمة وأضرارها جسيمة، فهي ظلمة في القلب وبعد عن الرب جل جلاله إنها سبب لحرمان العلم والرزق ومحق لبركة العمر والمال، إنها عارٌ وشنارٌ، وعاقبتها النار.

ومن عقوباتها المعيشة الضنكة في الدنيا والآخرة: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤].

ومن أعظم عقوباتها نسيان الله سُبْحَانَهُ وتعالى للعاصي: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٥، ١٢٦]. ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩].

«الحذر الحذر من المعاصي فإن عواقبها سيئة وكم من معصية لا يزال صاحبها في هبوط أبدًا مع تعثر أقدامه، وشدة فقره وحسراته على ما يفوته من الدنيا، وحسده لمن نالها، فوا أسفًا لمعاقب لا يحس بعقوبته، وآه من عقاب يتأخر حتى يُنسى سببه»[1].

---

(١) «صيد الخاطر» (١٨١).

أخي ها هو ربك يناديك: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

ها هو يدعوك للتوبة وبين لك فضلها فيقول: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

إنه يحبك إذا تبت إليه، وأقلعت عن معاصيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ويفرح سبحانه بتوبة التائب. وندم النادم، قال عليه الصلاة والسلام: «لَلَّـهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ» [متفق عليه].

فيا أخي لا تقنط من رحمة الله ولا تيأس من روحه، وسارع إلى التوبة والمغفرة فإن الله أعد للمسارعين جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين المستغفرين لذنوبهم: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥].

بادروا بالتوبة النصوح قبل فوات الأوان وأكثروا من الاستغفار فإن نبيكم ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: تُوبُوا إِلَى اللَّـهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّـهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»[1].

هل آن الأوان للرجوع إلى رحيم الرحمن..؟

---

(١) رواه مسلم وغيره.

هل من توبة صادقة تقلع فيها الذنوب والعصيان..؟

وتندم فيها عمَّا سلف وكان من الذنوب والطغيان..؟

هل من توبة تعزم فيها على عدم العود لبراثن الشهوات والملذات، واتباع خطوات الشيطان..؟

عجل الآن قبل فوات الأوان، فالعمر قصير، والزاد قليل، والطريق طويلة، والمآل إما إلى جنة أو نار.

أيها المسرف على نفسه... «الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة، الإفاقة الإفاقة، فقد قرب وقت الفاقة، ما أحسن قلق التواب، وما أحلى قدوم الغياب، ما أجمل وقوفهم بالباب» [من كلام ابن رجب].

أيها المفرط... إلى متى وأنت في عصيانك؟ إلى متى وأنت تسوف في التوبة أتضمن العيش إلى غد؟ أم على علم بدنو أجلك؟.

يا من يعد غدا لتوبته ... أعلى يقين من بلوغ غد

المرء في زلل على أمل ... ومنية الإنسان بالرمد

أيام عمرك كلها عدد ... ولعل يومك آخر العدد

فتوبوا قبل أن يفجأكم الأجل. واعلم أن الباب ما زال مفتوحًا ما لم تبلغ الروح الحلقوم أو تخرج الشمس من مغربها، قال تعالى: ﴿ **وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾** ﴾ [النساء: ١٨].

وقال ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّـهُ عَلَيْهِ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ قِبَلِ الْـمَغْرِبِ بَابًا مَسِيرَةُ عَرْضِهِ أَرْبَعُونَ أَوْ سَبْعُونَ عَامًا،**

---

(١) رواه مسلم.

فَتَحَهُ اللَّـهُ لِلتَّوْبَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَلاَ يُغْلِقُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ»(١).

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»(٢) . ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي جعل الدنيا دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب ولا عمل.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. لا يظلم الناس مثقال ذرة، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، هدانا إلى الخير، ودعانا إلى الرشاد، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

يكفي من الدنيا أنها مزرعة إلى الآخرة، وأنها موسم العبادات، وزمن الطاعات، فيها نتزود للآخرة، ونسير مرحلة مرحلة إلى الآجلة.

قال الفضيل بن عياش رحمه الله: لقد جعل الله عز وجل الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت مفتاح الزهد في الدنيا.

وأوحى الله إلى نبيه داود عليه السلام: يا داود، إني لأنظر إلى الشيخ في كل يوم

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

ـــخ ومساءً، وأقول له: يا عبدي، كبر سنك، ورمق جلدك، ودق عظمتك، ـِحـ ـ قدومك عليَّ، فاستحى مني، فإني أستحي منك.

ٔحبتي في الله...

ـنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي ذلك بهم ـ ـخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها فافعل، فإن ـنقضـع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما ـت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك.

وهذا سفيان الثوري رحمه الله يعظنا موعظة عظيمة، فيقول موصيًا أحد طلابه: حذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، واحذر أن يراك وأنت لا ـرضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئًا من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك.

إنَّ من قسم الأرزاق في هذه الدنيا هو الله، فلا بد أن ترضى بما قسم الله لك، قل أم كثر، أتى أو ذهب، وسواء أقبلت الدنيا أو أدبرت، لابد أن ترضى بنصيبك منها، ولا تشغل بالك.. ولا تنظر إلى من هو أعلى منك في الدنيا، ولكن انظر إلى ـصالحين والأخيار..

مـن شـاء عيـشا رحيبا يستطيل به	في ديـــنه ثـــم في دنـــياه إقـــبالا
فلينظـــرن إلى مـــن فـــوقه ورعًـــا	ولينظـــرن إلى مـــن دونـــه مـــالاً

وخير من ذلك كله قوله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ ﴾ [طه: ١٣١].

أخي الحبيب...

ما تذكر أحد الموت إلا هانت الدنيا في عينيه، وزالت الغشاوة من أمام ناظره، فإنها سنوات معدودة مهما جمعت فيها، ومهما حصلت من أموالها، فإن وراء ذلك هاذم اللذات، ومفرق الجماعات.

قال الحسن البصري رحمه الله: إنَّ الموت فضح الدنيا، فلم يترك لذي لب فيها فرحًا.

خـــذ مـــن الـــرزق عاكفًـــا	ومـــن العـــيش مـــا صـــفا
كـــل هـــذا سينقـــضي	كـــسراج إذا انطفـــأ

اللهمَّ أذهب عنا الهم والحزن، واطرد من نفوسنا القلق، اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا إلى النار مصيرنا، واجعل الجنة هي دارنا، واغفر لنا جميع ما مضى من ذنوبنا، واشف مرضانا وارحم موتانا، وعليك بمن عادانا، وبلغنا ما يرضيك آمالنا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا، وأمنا في دورنا وفي أوطاننا، وتوفنا وأنت راض عنّا يا كريم.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأقم الصلاة.



الخطبة السابعة والسبعون

ثلاث مهلكات

الحمد لله.. المنفرد بالبقاء والقهر، الواحد الأحد، ذي العزة والستر لا ند له فيباري، ولا شريك له فيداري.

سبحانه.. قدر مقادير الخلائق وأقسامها، وبعث أمراضها وأسقامها، مفرج الهموم، ومنفس الكروب، ومبدد الأحزاب والأشجان والغموم جعل بعد الشدة فرجًا، وبعد الضيق والضر سعة ومخرجًا، نحمده كما حمد نفسه، فهو أهل الحمد والثناء، ونحمده كما حمده الأولون والآخرون، ونشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. شهادة عبده وابن عبده، وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته، إقرارًا بوحدانيته.. وإخلاصًا لربوبيته.

ابن آدم..

تــزود مــن معاشــك للمعــاد ... وقـــم واعمـــل خـــير زاد

ولا تــركن مــن الدنــيا كثــيرًا ... فـــإن المـــال يجمـــع للـــنفاد

أتــرضى أن تكــون رفــيق قــوم ... لهـــم زاد وأنـــت بغـــير زاد؟!

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله.. أرسله ربه رحمة للعالمين وقدوة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، شرح الله به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا..

قـد كـان هذا الكون قبل وصوله ... شـــؤمًا لظالمـــه وللمظلـــوم

لمــا أطــل محمــد زكــت الــرُّبا ... واخــضر في البــستان كــل هــشيم

صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله، ما تعاقب الليل والنهار

وغردت الأطيار، وأورقت الأشجار، وأينعت الثمار، ونزلت الأمطار وعلى آله وأصحابه الأطهار، وعلى آل بيته الأبرار وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته مع سيد الدعاة، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين سيدنا محمد ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الإيماني المبارك أوصيكم ونفسي بتقوي الله ﷻ فهي وصية الله ﷻ للأولين والآخرين، قال ربكم في محكم التنزيل، وهو أصدق القائلين: ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾ [النساء: ١٣١].

وقال سبحانه: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

هيا بنا أيها الأحبة في الله لنقف وقفات مع حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي يقول فيه الحبيب النبي ﷺ: «**ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلاثٌ مُنَجِّيَاتٍ، وَثَلاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ:**

فَأَمَّا الْـمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْـمَرْءِ بنفْسِهِ.

وَأَمَّا الْـمُنَجِّيَاتُ: فَالْـعَدْلُ فِي الْـغَضَبِ، وَالرِّضَى، وَالْـقَصْدُ فِي الْـفَقْرِ وَالْـغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّـهِ فِي السِّرِّ وَالْـعَلانِيَةِ.

وَأَمَّا الْـكَفَّارَاتُ: فَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، وَإِسْبَاغُ الْـوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْـجَمَاعَاتِ.

وَأَمَّا الدَّرَجَـاتُ: فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَـاءُ الـسَّلامِ، وَصَـلاةٌ بِـاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ» [1].

هيا بنا لنعيش مع بنود هذا الحديث العظيم، الجامع لخصال عظيمة من الخير، ذلك الحديث الذي ينبغي لكل مسلم أن يتدبره ويتأمله، ويسعى جاهدًا لعمل ما فيه من خصال الخير، والنجاة من تلك المهلكات، والمبادرة إلى تلك الكفارات، وأن يترقى إلى ما فيه من الدرجات.

تعالوا بنا لنعيش مع البند الأول، وهو الثلاث المهلكات، **فما هي؟**

أما المهلكات:

١ - شح مطاع.

٢ - هوى متبع.

٣ - وإعجاب المرء بنفسه

شح مطاع: وقد سميت هذه الثلاثة مهلكات، لأنه يردين فاعلهن في الهلاك.. والشح هو البخل، وخص المطاع، لينبه أن الشح في النفس ليس مما يستحق به ذم إذ ليس هو من فعله، وإنما يذل بالانقياد له.

وهذه الصفة الذميمة حذر منها النبي ﷺ الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ في أحاديث كثيرة منها حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْـبُخْلِ فَبَخَلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْـقَطِيعَةِ**

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» (٦٥١)، و«الأوسط» (٥٦١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٠٠٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٥٣)، و«صحيح الجامع» (٣٠٤٥).

فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»(١).

والشح أشد البخل.. وقيل: البخل مع الحرص.

وفي رواية عند مسلم وأحمد وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ قَدْ دَعَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»(٢).

وقد بين ﷺ أن الشح نقيض الإيمان ولا يجتمع معه في قلب عبد، قال صلوات ربي وسلامه عليه: «**لا يجتمع الإيمان والشح في قلب عبد أبدًا**»(٣).

وشر الأخلاق والمساوئ شحٌّ يحمله على الحرص على المال، والجزع على ذهابه، قال ﷺ: «**شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ**»(٤).

وهذا الخلق الذميم فشوه بين الناس علامة من علامات الساعة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ...**». أي يلقي في قلوب أهله أي على اختلاف أحوالهم، حتى يبخل العالم بعلمه، والصانع بصنعته، والغني بماله، وليس المقصود وجود أصله، لأنه موجود في فطرة الإنسان إلا من حفظه الله تعالى، ولذا قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٩].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٧٨).

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) صحيح: رواه ابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٣١١٢)، و«صحيح الترغيب» (٢٦٠٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» عن أبي هريرة رقم (٣٧٠٩).

وكان النبي المصطفى ﷺ يستعيذ بالله تعالى من البخل، أو الشح، فكان يقول: «**اللَّـهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْـعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْـقَبْرِ**»[1].

وقد ورد في بعض الآثار أن رب العزة والجلال، لما خلق الجنة، وشق فيها أنهارها، وأهدل ثمارها، وزخرفها، قال: «وعزتي وجلالي، لا يجاورني فيك بخيل» وقد ذم السلف الصالح - رضوان الله عليهم - البخل والبخلاء، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أفٍّ للبخل، والله لو كان طريقًا ما سلكته، ولو كان ثوبًا ما لبسته.

وقال محمد بن المنكدر رحمه الله: كان يُقال: إذا أراد الله بقوم شرًّا، أمر عليهم شرارهم، وجعل أرزاقهم بيد غُلائهم - أي الأشحاء منهم -.

وقال ابن حبان البستي: البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا، من تعلق بغصن من أغصانها، جره إلى النار، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها، جره إلى الجنة، والجنة دار الأسخياء»[2].

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: الجنة دار الأسخياء، والنار دار البخلاء.

وقد اعتبره أستاذ البشرية ﷺ من الموبقات، وعده منها، فقال كما في سنن النسائي: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّـهِ، وَالشُّحُّ...**»[3].

وإنَّ من مقومات القيادة والسيادة والرئاسة، الجود والكرم، فالبخيل الشحيح لا يصلح أن يكون رئيسًا ولا زعيمًا أبدًا.

---

(١) رواه البخاري والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) «روضة العقلاء» لابن حبان.

(٣) صحيح: «صحيح سنن النسائي» للألباني رقم (٣٦٧١).

روى الزهري والطبراني من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك أنَّ النبي ﷺ قال لبني ساعدة: **«من سيدكم؟»** قالوا: الجد بن قيس، قال: **بمَّ سودتموه؟** قالوا: إنه أكثرنا مالاً، وإنا على ذلك لنزنه بالبخل - أي نتهمه - فقال النبي ﷺ: **«وأي دواء أدوى من البخل؟!»**. قالوا: فمن سيدنا يا رسول الله؟ قال: **«بشر بن البراء بن معرور»**، وفي رواية: **«عمرو بن الجموح»**[1].

ورضي الله عن سيدنا علي بن أبي طالب عندما قال واعظًا: من آتاه الله منكم مالاً، فليصل به القرابة، وليحسن فيه الضيافة، وليفك به العاني والأسير وابن السبيل، والمساكين والفقراء المجاهدين، وليصبر على النائبة، فإنه بهذه الخصال ينال كرم الدنيا، وشرف الآخرة.

عباد الله...

وثاني الخصال المهلكات: هوى متبع: وتلك والله صفة أخرى ذميمة، بل ومن أقبح الصفات وقد جاءت النصوص الكريمة بذمها، والتحذير المسلمين منها، فما ضل من ضل عن سبيل الهدى والرشاد، وهو عن العقل صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج عن الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها.. والهوى مطية الفتنة، والدنيا دار المحنة فأنزل عن الهوى تسلم، وأعرض عن الدنيا تغنم ﴿ **فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ** ﴾ [النساء: ١٣٥].

والله ﷻ يقول لنبيه داود عليه السلام: ﴿ **يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦** ﴾ [ص: ٢٦]. فاتباع الهوى على الشهادة بغير الحق، وعلى الجور في الحكم إلى غير ذلك من المفسدات.

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» وقال الهيثمي: رجال الأوسط رجال الصحيح غير شيخ الطبراني كما في «المجمع» (٤/ ٢٥٨).

قال الشعبي رحمه الله: لقد أخذ الله ﷻ على الحكام ثلاثة أشياء: ألا يتبعوا هوى، ألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمنًا قليلاً.

ولقد شبه الله ﷻ من اتبع هواه، وركن إلى الدنيا بأخس مخلوقاته، وهو الكلب.

قال سبحانه: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]. فشبه من أتاه كتابه، وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخراه، بالكلب الذي هو أخبث الحيوانات، وأوضعها قدرًا.

أيها الأحبة الكرام...

وقد حذر رب العزة والجلال حبيبه ومصطفاه من الذين يتبعون أهواءهم، وحثه على الصبر في مجالسة الضعفاء الذين يدعون ربهم مخلصين له الدين، قال رب العالمين مخاطبًا النبي الأمين: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال محذرًا من اتباع الهوى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [طه: ١٦].

وقد يكون الهوى إلهًا يعبد من دون الله، إذا تمرد على الشريعة، كما قال رب العزة والجلال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئًا ركبه، وكلما اشتهى شيئًا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى.

واتباع الهوى مهلك لصاحبه، لأن جميع المعاصي والبدع، إنما تنشئ من اتباع الهوى.

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: فجميع المعاصي، إنما تنشئ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله تعالى المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠]. وكذلك البدع، إنما تنشئ تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى أهلها (أهل الأهواء).

وسلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - قد حذروا من اتباع الهوى، قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة.

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: يا أبا سعيد، أي الجهاد أفضل؟ قال: جهاد هواك.

وقال ابن تيمية رحمه الله: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم، حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً ثم يخرج إليهم.

إن اتباع الهوى فخ يرصده الشيطان لبني آدم، كما قال النعمان بن بشير رضي الله عنه: إنَّ للشيطان مصالي وفخوخًا، وإن مصالي الشيطان وفخوخه، البطر بأنعم الله، والكبرياء على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله.

واتباع الهوى يجلب الشر والفساد كما قال ابن القيم رحمه الله: وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كذبت الرسل، وعصي الرب، ودخلت النار، وحلت العقوبات، ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى فتنه هواه، وصاحب دنياه أعجبته دنياه.

وقال بشر الحافي رحمه الله: البلاء كله في هواك، والشقاء كله في مخالفتك إياه -

ي الله رب العالمين -: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

ورحم الله ابن المبارك حين قال:

ومن البلاء وللبلاء علامة … أن لا يُرى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها … والحر يشبع تارة ويجوع

أحبتي في الله...

كيف يتخلص العبد من اتباع هواه؟

اعلموا أنه لا نجاة من اتباع الهوى إلا بمخالفته، وسؤال الله ﷻ أن يعينه على ذلك قال بعض العارفين: إن شئت أخبرتك بدائك، وإن شئت أخبرتك بدوائك؟ قال: داؤك هواك، ودواؤك ترك هواك ومخالفته.

وليعلم العبد أن مخالفة الهوى تورث قوة في البدن، وقوة في القلب، وقوة في اللسان إذا خالف العبد المسلم هواه، فإنه يكون بإذن الله من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله.. أتدرون لماذا؟ لأن الإمام العادل لا يتمكن من العدل إلا إذا خالف هواه، والشاب الذي آثر عبادة ربه، لولا مخالفته هواه لم يقدر على ذلك.. والرجل الذي قلبه معلق بالمساجد، إنما حمله على ذلك، مخالفة الهوى.. والمتصدق المخفي لصدقته، لولا قهره لهواه، لم يقدر على ذلك، والذي دعته المرأة ذات الحسب والجمال، فخاف الله، وخالف هواه، والذي ذكر الله ﷻ ففاضت عيناه من خشية الله، إنما أوصله إلى ذلك مخالفته لهواه.

يتم التخلص من هذه الآفة بعزيمة حر يغار لنفسه وعليها، وجزعة صبر، يُصبّر نفسه على مرارتها، وقوة نفس تشجعه.. ويتفكر في أنه لم يخلق للهوى، وألا يختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالاً منه.

يقول بعض العلماء: ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من

شهوة بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم.

وقال الحسن البصري رحمه الله: إن قومًا ألهتهم الأماني، حتى خرجوا من الدنيا وما لقوا حسنة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن، كذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل.

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان، أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».

الخطبة الثانية

الحمد لله.. على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه... وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين.. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، به علا منار الإسلام، وارتفع بنيانه، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون؛ عباد الله...

وثالث المهلكات المذكورة في الحديث: (إعجاب المرء بنفسه) والإعجاب بالنفس يورث الكبر في الباطن، الذي يثمر وينتج عنه التكبر في الأقوال والأفعال والأحوال، وهو يدعو صاحبه إلى نسيان التوبة من الذنوب، ويجعل صاحبه يستعظم العبادات والأعمال ويمن على الله بفعلها.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال سبحانه: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا** ﴾.

ومن السنة النبوية قول النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

قال القرطبي رحمه الله: إعجاب المرء بنفسه، هو ملاحظته لها بعين الكمال، مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم.

وأقوال السلف كلها تذم هذا الداء الوبيل، قال ابن مسعود رضي الله عنه: الهلاك في اثنين: القنوط والعجب.

وقال مطرف: لأن أبيت نائمًا، وأصبح نادمًا، أحب إليَّ من أن أبيت قائمًا، وأصبح معجبًا، وقيل للسيدة عائشة رضي الله عنها: متى يكون الرجل مسيئًا؟ قالت: إذا ظن أنه محسن.

وقال الأحنف بن قيس: عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر؟

والإنسان المعجب إما أن يعجب ببدنه، بجماله وهيئته، وصحته وقوته، وحسن صوته، وينسى أنه نعمة من الله عليه، وينسى أنه معرضٌ للزوال في أي وقت.

وعلاجه يكون بالتفكر في أقذار بطنه في أول مرة، وفي آخره، وفي الوجوه الجميلة، والأجسام الناعمة الرشيقة، كيف تمزقت في التراب، وأنتنت في القبور.

وقد يعجب ببطشه وقوته، وهناك من هو أشد منه قوة، وأشد بطشًا وصحة وقوة وعلاجه: أن يشكر مولاه على ما رزقه من العقل، ويتفكر في أدنى مرض يصيبه.

ومن الناس من يعجب بنسبه الشريف، وعلاجه أن يعرف أن أكرم الناس

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأحمد بنحوه.

عند الله أتقاهم وقد يعجب بكثرة الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، كما قال الكفار: ﴿ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا ﴾ [سبأ: ٣٥].

وعلاجه أن يتفكر في ضعفه وضعفهم، وأنهم سيتفرقون عنه إذا مات، فيدفن في قبره مسكينًا ذليلاً مهينًا وحده، لا يرافقه أحد من أهل ولا ولد، ولا قريب، ولا حميم.

وإن أعجب بماله، كما قال صاحب الجنتين: ﴿ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٤].

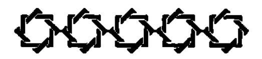
وعلاجه أن يتفكر في آفات المال، وكثرة حقوقه، وينظر إلى سؤال الله له عن كل دينار أو درهم من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وإلى فضيلة الفقراء، وسبقهم إلى الجنة.

اللهمَّ طهر نفوسنا من هذه الخصال المهلكة، وانهج بنا مناهج المفلحين، وألبسنا يا ربنا حلة الإيمان واليقين، وخصنا منك بالتوفيق المبين.

اللهمَّ اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا بتقواك، اللهمَّ لا تحرمنا من فضلك بتقصيرنا ولا تجعل ذنوبنا حائلاً دون رحمتك.. اللهمَّ إننا نرفع أكف الضراعة إليك أن تنعم برحمتك علينا.. اللهمَّ إنا نسألك صبرًا يبلغنا ثواب الصابرين لديك، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.



الخطبة الثامنة والسبعون

ثلاث منجيات

الحمد لله رب العالمين.. يا رب..

أنا من أنا؟ أنا في الوجود وديعة وغدًا سأمضي عابرًا في رحلتي

أنا ما مددت يدي لغيرك سائلاً فارحم بفضلك يا مهيمن ذلتي

يا ذا العزة التي لا ترام.. والملك الذي لا يضام.. يا من لا يهزم جنده ولا يُغلب أولياؤه.. أنت حسبنا، ومن كنت حسبه فقد كفيته.. أنت إله الأولين والآخرين.. وقيوم السماوات والأرضين، ومالك يوم الدين نحمدك كما ينبغي أن نحمد، ونشكرك فأنت أولى من شكر.

ونشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له في ألوهيته، ولا شريك له في ربوبيته.. ولا شريك له في ذاته، ولا أفعاله، ولا شريك له في أوصافه.. سبحت له السماوات وأملاكها، والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والنجوم والجبال والشجر والدواب، والآكام والرمال، وكل رطب ويابس، وكل حي وميت ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.. عرف حقيقة الدنيا، فقال لعبد الله بن عمر: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله..

يا سيد العقلاء يا خير الورى يا من أتيت إلى الحياة مبشرًا

وبعثت بالقرآن فينا هاديًا وطلعت في الأكوان بدرًا نيرًا

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي الحديث القدسي الجليل: «**يَا عِبَادِي: إِنِّى حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِى، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا...**»[1].

ولذلك نجد أنَّ أول قاعدة وضعها الله ﷻ يوم القيامة لمحاسبة الناس هي: العدل التام، الذي لا يشوبه ظلم ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾** ﴾ [النساء: ٤٠].

وقد بين النبي المصطفى ﷺ جزاء أهل العدل والقسط، فقال: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّـهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِى حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»[2].

ولقد بين رسول الله ﷺ أن العادلين أحب الناس إلى مولاهم، وأقربهم منه منزلة، بل وأشد الناس عذابًا يوم القيامة الإمام الجائر، قال ﷺ: «**أشد الناس يوم القيامة عذابًا إمام جائر**»[3].

وقد أخبرنا ﷺ أن العدل صدقة تكتب في ميزان العبد قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ**»[4].

وأخبرنا أن الإمام العادل لا ترد دعوته.. فقال ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ**»،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم والنسائي وغيرهما.

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو يعلى، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٠١).

(٤) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

وذكر منهم: «**الإِمَامُ الْـعَادِلُ**»[١]، وهو من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله.

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ . .

والعدل مطلوب في كل شئون الحياة.. اعدل بين أولادك، اعدل مع زوجتك، اعدل مع أصهارك، اعدل بين موظفيك، موظف مقرب، معرفة لا تحاسبه إطلاقًا، وآخر تقيم عليه النكير إذا تكلم، أين العدل؟ والإنسان يرقى بالعدل، ويسقط من عين الله بالظلم مع الموظفين، مع الأولاد، مع الجيران، اعدل بين ابنتك وزوج ابنتك، إياك أن تفرق بينهما.. احذر أن تكيل بمكيالين.. والعالم كله يئن من الكيل بمكيالين، مئتا رأس نووي، ولا أحد يتكلم عند أعدائنا، لكن مشروع يورانيوم سلمي، تقوم الدنيا ولا تقعد.. يكيلون بمكيالين.. وهذا هو الظلم.. والظلم ظلمات يوم القيامة.

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها، لِـمَ لم تُصلح لها الطريق يا عمر؟ نحن نحاسب على البهائم.. الآن المشكلة ليست في البهائم.. لكن مع شعوب بأكملها، مع شعوب تموت من الجوع شعوب تقتل، شعوب تستباح ثروات بلادها، وتستباح أرضها.

كن عادلاً مع أقرب الناس إليك، مع أولادك، قال النبي ﷺ: «**اعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ، اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ**»[٢].

وفي رواية: «**اعدلوا بين أبنائكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف**»[٣].

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٢) صحيح: «صحيح سنن أبي داود» للألباني رقم (٣٥٤٤).

(٣) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٤٦).

اعدلوا في الحكم، قال ﷺ: **«إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم، فأحسنوا، فإن الله يحب المحسنين»**(١).

كان بين سيدنا عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه وبين يهودي خصومة، فذهب إلى القضاء مع خصمه اليهودي إلى القاضي، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما حضرا مجلس القضاء، قال عمر: اجلس بجانب اليهودي يا أبا الحسن، فتغير وجه سيدنا عليٍّ رضي الله عنه ولما حكم سيدنا عمر في القضية لصالح اليهودي قال له: يا أبا الحسن، أغضبت لتحقق العدالة؟ قال له علي: لا، ولكني غضبت لفواتها، ناديتني بالكنية، والكنية تكريم، وناديت خصمي باسمه المجرد، فأين العدالة يا عمر؟ فتعجب اليهودي من عدل الإسلام، فدخل في الإسلام.

أحبتي في الله...

وأما الخصلة الثانية، فهي: القصد في الفقر والغنى:

وهي خصلة من المنجيات لصاحبها.. وهذا أمر عزيز، وهو حال النبي ﷺ فقد كان مقتصدًا في حال فقره وغناه.. والقصد هو التوسط، فإن كان فقيرًا لم يقتر خوفًا من نفاذ الرزق ولم يسرف، فيحمّل ما لا طاقة له به، ولقد أدب الله تعالى نبيه ﷺ بذلك، فقال له: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وإن كان غنيًا، لم يحمله غناه على السرف والتبذير، بل يكون مقتصدًا مثل عباد الرحمن، فقد مدحهم الله بقوله: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وذلك هو النهج الذي أراده الله لعباده المؤمنين، ولكنك حين تتأمل واقع كثير من الناس اليوم رجالاً ونساء، فإنّ عينيك لن تخطئ مظاهر كثيرة من الخلل في

---

(١) حسن: رواه الطبراني عن أنس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٤).

لالتزام بهذا المنهج الإسلامي القويم، فهناك طائفة من الناس يعيشون في هذه الدنيا، لا هم لهم إلا الطعام والشراب، يغدون ويروحون، ولا شاغل يشغلهم إلا أن يجمع على مائدته ألوان الطعام والشراب، فيمعنون في التشبع والامتلاء ويبتكرون في وسائل الطهي، وضروب التلذذ، وقد جاء في الحديث: «**إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا، أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[1].

ومن المعروف طبيًا أن عددًا كبيرًا من الأمراض الشديدة، والعلل المنهكة، إنما ينشأ بسبب اكتظاظ المعدة بما لا تطيق من الطعام والشراب، فلا تقدر على هضمه وفي الحديث: «**مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ، فَثُلُثُ طَعَامٍ، وَثُلُثُ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**»[2]. وكما يقولون: المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء.

وقال عمر رضي الله عنه لابنه عاصم: يا بني، كل في نصف بطنك، ولا تطرح ثوبًا حتى تستخلقه، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم، وعلى ظهورهم.

وهذا سفيان الثوري رحمه الله يوصي أحد طلابه، فيقول: عليك بالقصد في معيشتك، وإياك أن تتشبه بالجبابرة.

وسيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: كفى بالمرء سرفًا أن لا يشتهي شيئًا، إلا اشتراه، فأكله.

ولله در الشاعر الحكيم القائل:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت	**ولم ينهها تاقت إلى كل باطل**
وساقت إليه الإثم والعار بالذي	**دعته إليه من حلاوة عاجل**

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه والبيهقي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٩٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٧٤).

والنبي ﷺ يقول موصيًا أمته: «**الْـقَصْدَ الْـقَصْدَ تَبْلُغُوا**» (١).

أحبتي في الله...

إنَّ ملذات الطعام والشراب واللباس، وحطام الدنيا أنزل قدرًا من أن يتفانى الناس فيها على هذا النحو الشائن في عصرنا، هذا وحدث عما يفعله الناس في رمضان ولا حرج.. وحين ننظر إلى أناس آخرين، فإننا نراهم يتنافسون ويهتمون جل اهتمامهم، ويعتنون عناية فائقة بأنواع اللباس، بل ويتباهون بها ويختالون فيها، وهذا الداء موجود في الرجال والنساء، وإن كان في النساء أظهر، غير أنه أصبح في هذا الزمن بعض الرجال يتفنن في هذا المجال، حتى غلبوا النساء فيه.

وإنه لمن الحماقة حقًا أن يجعل الشاب من جسمه معرض أزياء يسير بها بين الناس لماذا؟ لأنه يترقب نظرات الإعجاب التي تنهال عليه من هنا وهناك.

وهناك بعض الكثيرين أيضًا من الرجال والنساء في صوالين الحلاقة والكوافير لاستكمال وجاهتهم، والاطمئنان على أناقتهم، ولو أنهم كلفوا بذل هذا الوقت في التزود من علم أو التفقه في الدين، لنفروا ونكصوا.

وقد ندد الإسلام بهذا الطيش، ونفر منه أشد التنفير، قال ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللَّـهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، ثُمَّ أَلْـهَبَ فِيهِ نَارًا، وَمَن تَشَبَّهَ بِقَومٍ فَهُوَ مِنهُم**» (٢). وقد أخبرنا النبي ﷺ عن أولئك.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سَيَكُونُ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَشْرَبُونَ أَلْوَانَ الشَّرَابِ، وَيُلْبِسُونَ أَلْوَانَ اللِّبَاسِ، وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْـكَلامِ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي**» (٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) حسن: رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٠٨٩)، وصحيح الجامع (٦٥٢٦).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٦٣)، و«صحيح الترغيب» (٢١٤٨).

ولا يفهم من هذا أن الإسلام لا يريد أن يراك تلبس ثيابًا جميلة، بل إنه يريد أن تظهر أثر نعمة الله عليك، لكن ليس بهذه الطريقة التي فيها إسراف وتبذير، وقد نهانا الإسلام عنهما.. سأل رجل عبد الله بن عمر: ما ألبس من الثياب؟ فقال: ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبك فيه الحكماء. وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فرآه سيئ الهيئة، فقال له: «هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ؟». قَالَ: نَعَمْ، مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ آتَانِي اللَّهُ. فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لَكَ مَالٌ فَلْيُرَ عَلَيْكَ»(١).

وسأل وهيب بن الورد عالمًا، ما البناء الذي لا سرف فيه؟ قال: ما سترك عن الشمس، وأكنك عن المطر.. فقال: ما الطعام الذي لا سرف فيه؟ قال: ما سد جوعتك.. فقال في اللباس، فقال: ما ستر عورتك، ووقاك من البرد.

أحبتي الكرام...

قال النبي ﷺ: «السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالِاقْتِصَادُ، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(٢).

«البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان و«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمد عبد الله ورسوله، الداعي إلى رحمة ربه

---

(١) صحيح: رواه النسائي والترمذي عن عوف بن مالك، وهو أبو الأحوص، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠١٠) عن عبد الله بن سرجس.

ورضوان.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

وأما الخصلة الثالثة من المنجيات فهي: خشية الله في السر والعلانية:

ومعناها: أن يخشى العبد ربه ومولاه ظاهرًا وباطنًا، في الغيب والشهادة.

خشية الله تعالى.. ملكت قلوب العارفين.. واستحوذت على أفئدة الصادقين.

الخوف من الله ﷻ في الدنيا طريق للأمن في الآخرة، وسبب للسعادة ودليل كمال الإيمان، وحسن الإسلام.. ودليل صفاء القلب، وطهارة النفس.. إذا سكن الخوف في قلب العبد، أحرق موضع الشهوات فيه، وطرد بهرج الدنيا عنه الخوف من الله سوط يقوِّم به الشاردين عن بابه، ويرد به الآبقين عن رحابه وقد أمرنا الله بخشيته والخوف منه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله...

وقد امتدح الله ﷻ عباده الخائفين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٩]. وقال: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق: ٣٣].

والذي يخشى ربه في دنياه، ويخافه يكون جزاؤه أن يؤمنه الله يوم القيامة، ويجعله من أهل الجنة.. ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال الله ﷻ في حديثه القدسي الجليل: «**وعزتي وجلالي، لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا، أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا، أمنته يوم أجمع فيه عبادي**»(١).

خشية الله ﷻ والخوف من عقابه سبب من أسباب فلاح الأمم، وتمكينهم في الأرض وإهلاك عدوهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

الخوف من الله أصل كل خير في الدنيا والآخرة، كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: أصل كل خير في الدنيا والآخرة، هو الخوف من الله ﷻ وكل قلب ليس فيه خوف الله، فهو قلب خرب.

فأين القلوب الممتلئة بخوف الله المفعمة بخشيته، المترعة بمهابته؟ أين القلوب التي ذلت لعزة الجبروت، وخشعت لصاحب الملكوت، وأعدت لما بعد الموت؟

الخوف شجرة طيبة، إذا ثبت أصلها في القلب، امتدت فروعها إلى الجوارح، فآتت أكلها الطيبة بإذن ربها، وأثمرت عملاً صالحًا، وقولاً رابحًا، وسلوكًا قويمًا، وفعلاً كريمًا تخشع الجوارح، وينكسر القلب، ويرف الفؤاد، وتزكو النفس، وتجود العين. الخوف منه سبحانه.. مانع للذنب، عاصم من الخطأ، حافظ من الذلل، مبعد عن الخلل، موقظ للضمير.. الخائف من الله ﷻ عاقبته الأمن والسلامة، وثوابه أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ذكر النبي ﷺ السبعة الذين

---

(١) صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٩٨) عن شداد بن أوس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٤٢)، و«صحيح الجامع» (٤٣٣٢).

يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّى أَخَافُ اللَّـهَ». وذكر منهم: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّـهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

أحبتي في الله...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد.. اللهمَّ ارزقنا محبته واتباعه ظاهرًا وباطنًا.. اللهمَّ توفنا على ملته، واحشرنا في زمرته.. واسقنا من حوضه. وأدخلنا في شفاعته.. اللهمَّ اجمعنا به في جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللهمَّ ارض عن خلفائه الراشدين وعن زوجاته أمهات المؤمنين، وعن الصحابة أجمعين.. اللهمَّ ارفع عنا الوباء والبلاء والغلاء.. اللهم ارفع عنا الزلازل والمحن يا أرحم الراحمين يا من يجير ولا يجار عليه، نسألك أن تجيرنا من الخزي في الدنيا، ومن العذاب والخزي في الآخرة يا أرحم الراحمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

الخطبة التاسعة والسبعون

ثلاث كفارات

الحمد لله.. يا رب.. يا حنان.. يا منان، يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام.. يا ذا الطول والإنعام.. يا عظيم الشأن يا واضح البرهان.. يا من هو كل يوم في شأن.. يا مؤوى المنقطعين ويا من عليه يتوكل المتوكلون.. انقطع الرجاء إلا منك، وخابت الظنون إلا فيك.. وضعف الاعتماد إلا عليك.. يا من رفعت السماء بقدرتك.. وبسطت الأرض بعظمتك.. ورزقت العباد برحمتك وسيرت الأفلاك بحكمتك.. والكون كله في قبضتك.

نحمدك حمد من تاب إليك وأناب.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه لما حضرت بلالاً ابن رباح الوفاة، وهو يعالج سكرات الموت، قامت زوجته وصاحت وقالت: وامصيبتاه.. واحزناه.. فلما أفاق بلال قليلاً قال لها: بل قولي: وافرحتاه.. غدًا ألقى الأحبة.. محمدًا وصحبه ابن آدم..

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته	أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أقبل على النفس واستكمل	فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وامدد يديك بحبل الله معتصمًا	فإنه الركن إن خانتك أركان

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله، النبي المصطفى والرسول المجتبى.. سيدي أبا القاسم يا رسول الله..

أرسلت داعية إلى الرحمن	دعوت فاهتز لك الثقلان
أخرجت قومك من أضاليل	وهديتنا للواحد الديان

صلى عليك الله يا علم الهدى، ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم..

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

وما زال لقاؤنا موصولاً مع حديث الثلاثيات النبوية، وبعد أن عشنا مع الثلاث المنجيات، وهي: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية.. فنعيش اليوم مع الكفارات، فما هي الكفارات الثلاث؟ نسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجعلنا من أهلها، ويجعلنا ممن تكفر عنهم ذنوبهم، وتحط عنهم خطاياهم.

وفي بداية هذا اللقاء الإيماني المبارك، أوصيكم يا أمة خير البرية ونفسي بتقوى الإله في سركم وعلانيتكم، فالتقوى مفتاح سعادة العبد في الدنيا، وسر نجاحه وفلاحه في الآخرة..

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥].

معاشر الأحبة...

ما هي الكفارات؟

يقول سيد الكائنات عليه أفضل الصلوات: «**وأمَّا الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات**»[١].

فمع هذه الثلاث نعيش اليوم بمشيئة الله تعالى، نسأل الله العظيم، أن يجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه.

---

(١) سبق تخريجه.

لماذا شرع ربنا الرحمن الرحيم هذه الكفارات؟

إنه شرعها رحمة منه بعباده.. وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها.. إنه شرعها لتكمل ما عسى أن يكون قد نقص من ثواب أعمالهم.. ولتسد الخلل والتقصير، الذي حصل في عبادتهم، ولذا يقول رب العزة والجلال والكمال في الحديث القدسي الجليل: «**يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ... يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى... يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّـهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ**»(١).

والعبد دائمًا مفرط في جنب الله تعالى، وتلك طبيعته.. كل إنسان يعاملك، ليربح منك، ويكسب من ورائك.. أمَّا مولاك أمَّا الله رب العالمين، فإنه يعاملك، لتربح أنت، وتكسب أنت من ورائه.. فالحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.. لأنه يحبك.. والسيئة عليك بواحدة، وهي أسرع شيء في المحو، دمعة واحدة تمحو آلاف الخطايا، وخطوة قصيرة في الطاعة، تنسف أطنان الذنوب اسمع إلى لذيذ كلامه حين يقول: «**مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّى ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(٢).

لماذا؟ ماذا سيكسب من ورائك؟ ماذا سيربح منك؟ حاشاه. إنما يريد مصلحتك إنه يحب لك الخير.. لذلك قد دلك على ما يكفر به ذنوبك، ويمحو سيئاتك.

وأول هذه الكفارات: انتظار الصلاة بعد الصلاة:

وإن انتظرت الصلاة بعد الصلاة، فهذا دليل على أن قلبك، تعلق بها، وأحبها، وحينئذٍ تكون من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله.

---

(١) رواه مسلم وهو جزء من حديث طويل.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

فمنهم: «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْـمَسَاجِدِ**»[١].

والذي تعلق قلبه بالمساجد، يسارع بل ويحرص على التكبيرة الأولى، قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى لِلَّـهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»[٢].

وقد كان السلف - رضوان الله عليهم - إذا فاتتهم التكبيرة الأولى (تكبيرة الإحرام) عزوا أنفسهم ثلاثة أيام، وإذا فاتتهم الجماعة، عزوا أنفسهم سبعة أيام[٣].

وعن سليمان بن مهران رحمه الله قال: كان الأعمش قريبًا من السبعين، ولم تفته التكبيرة الأولى وإبراهيم التيمي رحمه الله كان يقول: إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يديك منه[٤].

من قلبه معلق بالمساجد يكون أول من يغدو إليها، لينتظر الصلاة بعد الصلاة.. قال الحبيب النبي ﷺ: «**من توضأ ثم أتى المسجد، فصلى ركعتين قبل الفجر، ثم جلس، حتى يصلي الفجر، كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأبرار، وكتب في وفد الرحمن**»[٥].

من قلبه معلق بالمساجد، ليس له هم إلا انتظار الصلاة في المسجد بعد الصلاة، قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ، مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ**»[٦].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٦٥).

(٣) «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» (٢/ ٤٥).

(٤) «حلية الأولياء» (٤/ ٢١٥) لأبي نعيم.

(٥) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس، وصححه الألباني.

(٦) صحيح: رواه النسائي ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٣١٣).

وقال ﷺ: «**الْـقَاعِدُ عَلَى الصَّلاَةِ كَالْـقَانِتِ، وَيُكْتَبُ مِنَ الْـمُصَلِّينَ مِنْ حِينِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ**»[١].

أيها الإخوة الأعزاء...

وأي شرف وخير أغلى من أن تصلي الملائكة على من ينتظر الصلاة، قال الحبيب النبي ﷺ: «**الْـمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ: الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يَقُمْ أَوْ يُحْدِثْ: تَقُولُ: اللَّـهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّـهُمَّ ارْحَمْهُ**»[٢].

ما أعظم أن يكون المسجد مكانًا يتوطنه المسلم، ولا يمل الجلوس فيه، بل تتوق نفسه للرجوع إليه، كلما خرج منه.. فإن مولاه يفرح بقدومه.. قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْـمَسَاجِدَ لِلصَّلاَةِ وَالذِّكْرِ، إِلاَّ تَبَشْبَشَ اللَّـهُ لَهُ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْـغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ**»[٣].

والتبشبش أي فرح به، وأقبل عليه، بمعنى أنه يتلقاه ببره وإكرامه، وإنعامه من حين خروجه من بيته.

وهذا الحديث من أجمل وأعظم الأحاديث التي قرأتها في هذا الباب، يرويه الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: صلينا مع النبي ﷺ المغرب، فرجع من رجع، وعقب من عقب، فجاء رسول الله ﷺ، قد حفزه النفس قد حسر عن ركبتيه، فقال: «**أَبْشِرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمُ الْـمَلاَئِكَةَ، يَقُولُ، انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى**»[٤].

---

(١) صحيح: صحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٣٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦٧٢٧).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٠٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٤٥)، =

فهل تحبون أن يباهي بكم ربكم ومولاكم ملائكته؟!

عباد الله...

إن هذه العبادة العظيمة وهي الجلوس في بيوت الله ﷻ في انتظار صلاة بعد صلاة، يغفل عنها كثير من الناس، خاصة عقب صلاة الفجر، حتى تطلع الشمس فعن أبي أمامة ؓ قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاةَ الْغَدَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، انْقَلَبَ بِأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**»[١].

وفي رواية عن عبد الله بن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ ثَبَتَ فِي الْمَسْجِدِ يُسَبِّحُ اللَّهَ سُبْحَةَ الضُّحَى كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ تَامًّا لَهُ حَجَّتُهُ وَعُمْرَتُهُ**»[٢].

قال أبو الدرداء ؓ لابنه: يا بني، ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ المساجد بيوت المتقين، فمن كانت المساجد بيوته، ضمن الله له بالروح والرحمة، والجواز على الصراط إلى الجنة**»[٣].

وسيدنا عطاء بن رباح ؒ التابعي الجليل، والعالم الزاهد، التقي الورع كان المسجد فراشه عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة، كما ذكره الذهبي في السير.

لكن ما ثاني هذه الكفارات؟

= و«صحيح الجامع» (٣٦).

(١) حسن صحيح: رواه الطبراني بإسناد جيد كما قاله المنذري، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٦٧).

(٢) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٦٩)

(٣) صحيح: «الزهد» لهناد بن السري (٢/ ٣٦٢).

ثانيه: إسباغ الوضوء على السبرات:

والسبرات جمع سبرة، وهي شدة البرد والمقصود إكمال الوضوء في حال شدة البرد على أكمل وجوهه الشرعية، وقد جاء في بعض الروايات (بالمكاره) لأنه أمر تكرهه النفس، ويشق عليها..

وقال بعض أهل العلم: المكارم هي الأحوال التي يثقل على المسلم فيها الوضوء إمّا لشدة البرد، أو لوجود آلام في الجسد.

وقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّـهُ بِهِ الْـخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْـوُضُوءِ عَلَى الْـمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْـخُطَا إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[1].

فالمواظبة على الطهارة ونحوها كالجهاد، وقيل: إن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي، وتكفه عن المحارم وجاء في رواية بتكرار لفظ: (فذلكم الرباط) للاهتمام بهذه الأمور، وتعظيم شأنها، والمداومة على فعلها.

أحبتي في الله...

وقد عدَّ النبي ﷺ الوضوء أو الطهارة شطر الإيمان فقال: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»[2]. وفي بعض الروايات: «**نِصْفُ الإِيمَانِ**». وعند النسائي وابن ماجه «**إِسْبَاغُ الْـوُضُوءِ شَطْرُ الإِيمَانِ**»[3].

لكن ما معنى أن الوضوء شطر الإيمان، قيل: معناه: أن الإيمان يجبُّ ما قبله من الخطايا والذنوب، وكذلك الوضوء، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان..

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي وأحمد عن أبي مالك الأشعري.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه والنسائي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٢٥).

وقيل: شطر الصلاة، لأنها لا تصح إلا به إنّ الوضوء ليس مجرد تنظيف للأعضاء الظاهرة، وليس مجرد تطهير للجسد يتوالى عدة مرات في اليوم، بل إنَّ الأثر النفسي، والسمو الروحي، الذي يشعر به المسلم بعد الوضوء لشيء أعمق من أن تعبر عنه الكلمات، خاصة مع إسباغ الوضوء وإتقانه.. وللوضوء دور كبير في حياة الإنسان، وهو يجعله دائمًا في يقظة وحيوية وتألق.

قال ﷺ: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ، نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ**»[١].

وفي صحيح مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلاَتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ نَافِلَةً لَهُ**»[٢].

وفي رواية عند مسلم أيضًا أن عثمان رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ، فأحسن الوضوء، ثم قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ هَكَذَا ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ** - أي لا يخرجه إلا الصلاة - **غُفِرَ لَهُ مَا خَلاَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٣].

والوضوء لا يحافظ عليه إلا مؤمن، قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**اعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاَةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ**»[٤].

---

(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) رواه مسلم وغيره.
(٣) رواه مسلم وغيره.
(٤) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما، وررواه ابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٩٧).

والوضوء أمانة يُسأل عنها العبد أمام الله ﷻ يوم القيامة كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا: «**الصلاة أمانة، والوضوء أمانة**»[(١)].

والذي يسبغ الوضوء، ثم يأتي بيت الله فهو زائر لربه ومولاه، وحق على لمزور أن يكرم الزائر.. كما جاء في حديث سلمان أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْـوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْـمَسْجِدَ، فَهُوَ زَائِرُ اللَّـهِ، وَحَقٌّ عَلَى الْـمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ**»[(٢)].

ولو جمع المسلم بين إسباغ الوضوء ثم الدعاء بعده، ثم صلاة ركعتين، فقد فاز برضوان الله ﷻ وجنته، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْـوُضُوءَ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّـهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْـمُتَطَهِّرِينَ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْـجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[(٣)].

وعند أحمد وأبو داود والحاكم من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يَسْهُو فِيهِمَا، غَفَرَ اللَّـهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٤)].

وتأملوا ماذا وصل العلم الحديث لفوائد الوضوء، ومع أنه عبادة من أعظم العبادات.

إن عملية غسل الأعضاء المعرضة دائمًا للأتربة من جسم الإنسان لا شك أنها

---

(١) حسن: رواه البيهقي وأحمد في الزهد وسئل عنه الإمام أحمد فقال: إسناده جيد.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» بإسنادين أحدهما جيد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٢٢).

(٣) صحيح: رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦١٦٤).

(٤) صحيح: رواه أحمد والحاكم وأبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٢٨)، و«صحيح الجامع» (٦١٦٥).

في منتهى الأهمية للصحة العامة، فأجزاء الجسم هذه تتعرض طوال اليوم لعدد مهول من الميكروبات تعد بالملايين في كل سنتيمتر مكعب من الهواء، وهي دائمًا في حالة هجوم على الجسم الإنساني من خلال الجلد في المناطق المكشوفة منه، وعند الوضوء تفاجأ هذه الميكروبات بحالة كسح شاملة لها من فوق سطح الجلد، خاصة مع التدليك الجيد وإسباغ الوضوء، وهو هدي الرسول ﷺ، وبذلك لا يبقى بعد الوضوء أي أثر من أدران أو جراثيم على الجسم إلا ما شاء الله.

المضمضة: أثبت العلم الحديث أن المضمضة تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات وتحفظ اللثة من التقيح، وكذا فإنها تقي الأسنان وتنظفها بإزالة الفضلات الغذائية التي تبقي بعد الطعام في ثناياها، وفائدة أخرى هامة جدًا للمضمضة، فهي تقوي بعض عضلات الوجه وتحفظ للوجه نضارته واستدارته، وهو تمرين هام يعرفه المتخصصون في التربية الرياضية، وهذا التمرين يفيد أيضًا في إضفاء الهدوء النفسي على المرء لو أتقن تحريك عضلات فمه أثناء المضمضة.

غسل الأنف: أظهر بحث علمي حديث أجراه فريق من أطباء جامعة الإسكندرية أن غالبية الذين يتوضئون باستمرار قد بدا أنفهم نظيفًا خاليًا من الأتربة والجراثيم والميكروبات، ومن المعروف أن تجويف الأنف من الأماكن التي يتكاثر فيها العديد من هذه الميكروبات والجراثيم، ولكن مع استمرار غسل الأنف والاستنشاق والاستنثار بقوة - أي طرد الماء من الأنف بقوة - يحدث أن يصبح هذا التجويف نظيفًا خاليًا من الالتهابات والجراثيم، مما ينعكس على الحالة الصحية للجسم كله، حيث تحمي هذه العملية الإنسان من خطر انتقال الميكروب من الأنف إلى الأعضاء الأخرى في الجسم.

غسل الوجه واليدين: ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين فائدة كبيرة جدًا في إزالة الأتربة والميكروبات فضلاً عن إزالة العرق من سطح الجلد، كما أنه ينظف

جند من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية، وهذه تكون غالبًا موطنًا ملائمًا جدًا لمعيشة وتكاثر الجراثيم.

غسل القدمين: أما غسل القدمين مع التدليك الجيد فإنه يؤدي إلى الشعور بالهدوء والسكينة، لما في الأقدام من منعكسات لأجهزة الجسم كله، وكأن هذا الذي يذهب ليتوضأ قد ذهب في نفس الوقت يدلك كل أجهزة جسمه على حدة بينما هو يغسل قدميه بالماء ويدلكهما بعناية. وهذا من أسرار ذلك الشعور الطاغي بالهدوء والسكينة الذي يلف المسلم بعد أن يتوضأ.

أسرار أخرى: وقد ثبت بالبحث العلمي أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين، والأطراف السفلية من القدمين والساقين أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز المنظم للدورة الدموية وهو القلب، ولذا فإن غسل هذه الأطراف جميعًا مع كل وضوء ودلكها بعناية يقوي الدورة الدموية، مما يزيد في نشاط الجسم وحيويته. وقد ثبت أيضًا تأثير أشعة الشمس ولا سيما الأشعة فوق البنفسجية في إحداث سرطان الجلد، وهذا التأثير ينحسر جدًا مع توالي الوضوء لما يحدثه من ترطيب دائم لسطح الجلد بالماء، خاصة تلك الأماكن المعرضة للأشعة، مما يتيح لخلايا الطبقات السطحية والداخلية للجلد أن تحتمي من الآثار الضارة للأشعة.

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».



الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى.. وسلام على عباده الذين اصطفى. وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

أما الخصلة الثالثة من الكفارات فهي «نقل الأقدام إلى الجماعات» ويكثر الأجر ويعظم كلما كثرت خطوات الإنسان إلى بيوت الله ﷻ.. فعن أبي موسى ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِى الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِى يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِى يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ**»[1].

وقد جاءت هذه الخصال في حديث ابن عباس ﵄ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَتَانِى رَبِّى ﷻ اللَّيْلَةَ فِى أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِى فِيمَ يَخْتَصِمُ الْـمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لاَ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَىَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَىَّ - أَوْ قَالَ نَحْرِى - فَعَلِمْتُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِى فِيمَ يَخْتَصِمُ الْـمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِى الْـكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ. قَالَ: وَمَا الْـكَفَّارَاتُ؟ وَالدَّرَجَاتُ؟ قَالَ: الْـمُكْثُ فِى الْـمَسَاجِدِ وَالْـمَشْىُ عَلَى الأَقْدَامِ إِلَى الْـجُمُعَاتِ وَإِبْلاَغُ الْـوُضُوءِ فِى الْـمَكَارِهِ... وَالدَّرَجَاتُ: بَذْلُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلاَمِ، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٧٤٨)، و«صحيح الترغيب» (٧٤٨).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ، فَخَطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخَطْوَةٌ تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ ذَاهِباً وَرَاجِعاً»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «الأَبْعَدُ فَالأَبْعَدُ مِنَ الْمَسْجِدِ أَعْظَمُ أَجْرًا»[2].

وعن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدًا أبعد من المسجد منه وكانت لا تخطئه صلاة، فقيل له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء، وفي الرمضاء فقال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللَّـهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»[3].

والجزاء من جنس العمل، والله ﷻ يبدل الظلمة في الدنيا بنور يوم القيامة.. «بَشِّرِ الْـمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْـمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ، يَوْمَ الْـقِيَامَةِ»[4].

بشرهم بالنور التام، الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي أنهم لما قاسوا مشقة المشي في ظلمة الليل، جازاهم الله ﷻ بنور يضيء لهم ويحيطهم.

فاللهمَّ نور قلوبنا في الدنيا بطاعتك، ونور أبصارنا بهداك، ونور قبورنا برحمتك يا أرحم الراحمين، واجعلنا من الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، وبشرنا بالنعيم المقيم، وبالفضل العظيم يا رب العالمين.

---

(١) حسن: رواه أحمد وابن حبان والطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٦).

(٣) رواه مسلم.

(٤) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٨٢٣)

اللهمَّ اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وسائر قراباتنا.. اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين وعاف المبتلين، واقض الدين عن المدينين، وفرج كرب المكروبين.. واجعل لنا ولكل مسلم من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل بلاء عافية.

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأقم الصلاة إنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.



الخطبة الثمانون

ثلاث درجات

الحمد لله رب العالمين.. نور السموات والأرض.. ذو الجلال والإكرام مجيب لمضطرين.. مغيث الملهوفين.. أظهر الجميل، وستر القبيح لا تراه العيون.. ولا تخالطه الظنون

يا من له ستر عَلَيَّ جميل — هل لي إذا اعتذرت قبول؟

أبديتني ورحمتني وسترتني — كرمًا فأنت لمن رجاك كفيل

وعصيت ثم رأيت عفوك واسعًا — وعليَّ سترك دائمًا مسبول

فلك المحاق والمحاسن والثِنا — يا من هو المقصود والمسئول

أحمده حمدًا يليق بذاته، وأشكره شكرًا يليق بإنعامه وجوده وإكرامه وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، جعل للمحسنين الدرجات، وللمسيئين الدركات.. فسبحانه من إله كريم شكور.. رحيم غفور.. منزه عن أن يظلم أو يجور.. خلق الظلمات والنور.. له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.. يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمدًا رسول الله ﷺ، هو أرحم الناس بالناس.. كان يحمل بين جنبيه قلبًا أطهر من ماء الغمام.. هو الرحمة المهداة.. وهو النعمة المسداة.. سيدي أبا القاسم يا رسول الله..

لو أن إنسان تخير ملة — ما اختار إلا دينك الفقراء

المصلحون أصابع جُمعت يدًا — هي أنت بل أنت اليد البيضاء

صلى عليك الله يا علم الهدى.. ما هبت النسائم، وما ناحت على الأيك الحمائم.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته مع سيد الدعاة سيدنا محمد ﷺ وفي بداية هذا اللقاء المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ تفلحوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة، قال ربكم في محكم التنزيل، وهو أصدق القائلين: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣].

وقال: ﴿ **لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** ﴿٢٠﴾ ﴾ [الزمر: ٢٠].

وما زال حديثنا موصولاً مع حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلاثٌ مُنَجِّيَاتٍ، وَثَلاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلاثٌ دَرَجَاتٌ: فَأَمَّا الْـمُهْلِكَاتُ** - وقد وقفنا معها -: **فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْـمَرْءِ بِنَفْسِهِ.**

وَأَمَّا الْـمُنَجِّيَاتُ - وقد وقفنا معها أيضًا -: **فَالْـعَدْلُ فِي الْـغَضَبِ، وَالرِّضَى، وَالْـقَصْدُ فِي الْـفَقْرِ وَالْـغِنَى، وَخَشْيَةُ اللَّـهِ فِي السِّرِّ وَالْـعَلانِيَةِ.**

وَأَمَّا الْـكَفَّارَاتُ - وقد وقفنا معها كذلك -: **فَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، وَإِسْبَاغُ الْـوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَنَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْـجَمَاعَاتِ.**

وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ - وهي التي نقف معها اليوم، ونعيش مع كل واحدة منها -: **فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلامِ، وَصَلاةٌ بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ**».

والدرجات جمع درجة، والدرجة هي المكانة العليا عند الله ﷻ والمنزلة الكبرى.

وما بين الدرجة والأخرى في الجنة كما بين السماء والأرض.

والدرجات عكس الدركات.. فالدرجات في الجنة، والدركات في النار.. نسأل الله تعالى أن يجيرنا منها.. ورسولنا الحبيب ﷺ يوم أن دخل المدينة المنورة، عززها الله ﷻ ببركته وقف ليخطب في الناس قائلاً: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْـجَنَّةَ بِسَلاَمٍ»**[1].

فقد جمع الحديث بين هذه الثلاث - أي الدرجات - وزاد (وصلوا الأرحام) وقد جاء في فضلها حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قال: **«إِنَّ فِي الْـجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مَنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّـهُ لِمَنْ أَلاَنَ الْـكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»**[2].

أيها المسلمون. . عباد الله...

هلموا بنا نرتقي أولى هذه الدرجات التي أرشدنا إليها سيد الكائنات، وحبيب رب الأرض والسموات ﷺ وهي:

إطعام الطعام:

وهي طاعة من أعظم الطاعات، وقربة من أجل القربات، وأعظم الحسنات.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والدارمي وأحمد وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٦١٦)، و«صحيح الجامع» (٧٨٦٥).

(٢) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٤٧)، و«صحيح الجامع» (٢١٢٣).

ومعناه: بذل الطعام، وإعطاؤه لمن يحتاج إليه بسخاوة نفس، وطيب روح من صاحبه وقد مدح الله أهله، وأثنى عليهم الثناء الحسن الجميل، فقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨ - ١٠].

والإطعام من القربات التي يحبها الله ﷻ من عبده، ويثيبه عليها ثوابًا عظيمًا.. يقول الله ﷻ في حديثه القدسي الجليل: «يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْـعَالَمِينَ؟ - كيف أطعمك والإطعام إنَّما يحتاج إليه الضعيف، الذي يتقوت به، فيقيم به صلبه، ويصلح به عجزه، وأنت مربي العالمين؟ قَالَ الله ﷻ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ، لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْـعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ، فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ، وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[١].

ولما سئل أستاذ البشرية ﷺ أي الإسلام خير؟ أيْ: أيّ خصاله أعظم ثوابًا.. قال ﷺ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[٢]. وعن حمزة بن صهيب الرومي رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لصهيب: أي رجل أنت، لولا خصال ثلاث فيك، قال: وما هن؟

قال: اكتنيت وليس لك ولد، وانتميت إلى العرب، وأنت من الروم، وفيك سرف في الطعام.. قال: أمّا قولك: اكتنيت، ولم يولد لك، فإن رسول الله ﷺ كناني أبا يحيى، وأما قولك: انتميت إلى العرب، ولست منهم، وأنت رجل من الروم فإني رجل من النمر بن قاسط، فسبتني الروم من الموصل، بعد إذ أنا غلام،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وغيرهم.

عرفت نسبي وأما قولك: فيك سرف في الطعام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خياركم من أطعم الطعام**»[(١)]. أي أقومكم وأفضلكم عند الله ﷻ.

ولقد جعل نبينا الكريم، ورسولنا العظيم ﷺ أن من أفضل الأعمال التي تزحزح صاحبها عن النار، وتدخله الجنة إطعام الطعام، فقال ﷺ: «**أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا**»[(٢)].

وأيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع، أطعمه الله ﷻ يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة ماء على ظمأ، إلا سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: ذكر لي أن الأعمال تتباهى - أي تتفاخر - فتقول الصدقة: أنا أفضلكم.

ومهما قل أو صغر ما يطعمه الإنسان غيره، فإنه يعظم عند الله ﷻ حين تصحبه نية صالحة، ففي الحديث: «**إِنَّ اللَّـهَ لَيُرْبِي لأَحَدِكُمُ التَّمْرَةَ، كَمَا يُرْبِي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ**»[(٣)].

والعبرة أيها الأحبة الكرام - بصلاح النية، حتى ولو كانت الصدقة شيئًا قليلاً.

ففي حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ سئل: أي الصدقة أفضل؟

---

(١) صحيح: أخرجه ابن عساكر (١/ ٤٣)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٦/ ١)، والألباني في «الصحيحة» رقم (٤٤).

(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (١١٢)، والبيهقي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٩٦).

(٣) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان وأحمد في «مسنده» عن عائشة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨١٥).

فقال ﷺ: «**جُهْدُ الْـمُقِلِّ**»[١]. أي قدر ما يحتمله حال قليل المال.

وقيل: المراد بالمقل، الفقير الصابر على الجوع.

وفي الحديث: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَكَيْفَ؟ قَالَ: «**رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ، فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا**»[٢].

لكن لو اجتمع صلاح النية وصدقها مع النفقة الكثيرة فهو خير إلى خير، فالله يضاعف له ما أنفقه عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

عباد الله...

إنَّ الذاهب من المال هو الذي يبقى لصاحبه، والباقي هو الذي يذهب ويفنى.

فقد ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ للسيدة عائشة ﵂: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**». قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ: «**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**»[٣].

ومن أراد أن يستر وجهه من النار يوم القيامة، فليطعم مسكينًا أو فقيرًا ولو شق تمرة قال ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ**»[٤].

وتذكروا يوم القيامة بأهواله، والشمس تدنو من رؤوس العباد، ويكون في الناس في كرب شديد، فيكون المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة، قال ﷺ: «**كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة**»[٥].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٨٨٢)، و«صحيح الجامع» (١١١٢).

(٢) حسن: رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان، والحاكم، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٨)، والترغيب (٨٨٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب».

(٤) رواه مسلم وغيره.

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» عن عقبة بن عامر ورواه ابن حبان، وابن خزيمة والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥١٠).

قال يزيد - أحد رواة الحديث -: فكان أبو مرثد لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه، ولو بكعكة أو بصلة بل من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ، مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**».

وقد عد بعض أهل العلم سقي الماء من أفضل الصدقات، وأعظم القربات.. فعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إنَّ أمي ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: «**الْمَاءِ**»، فحفر بئرًا، وقال: هذه لأم سعد.

بل إنَّ هذا النوع من الصدقة مما يستشفي بها - بإذن الله - حدَّث علي بن حسن قال: سمعت ابن المبارك وقد سأله رجل، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، قرحة خرجت من ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج، وسألت الأطباء فلم أنتفع به؟ قال: اذهب، فانظر موضعًا يحتاج الناس فيه للماء، فاحفر هناك بئرًا، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل، فشفي بإذن الله.

قـــدّم لنفـــسك خـــيرًا وأنـــت مالـــك مالـــك
مـــن قـــبل أن تـــصبح فـــردًا ولـــو حالـــك حالـــك
ولـــست والله تـــدري أي المـــسالك ســـالك
إمـــا لجـــنة عـــدن أو في المهالـــك هالـــك

عباد الله...

والدرجة الثانية في الحديث: «إِفْشَاءُ السَّلاَمِ» :

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى فهو السلام، ومنه السلام، وإليه يرجع السلام، وجنته ودار نعيمه دار السلام وسميت بذلك لسلامة من يدخلها من الآفات، ففيها بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعزٌّ بلا ذل، وصحة بلا سقم. ومعنى إفشاء السلام: نشره بين الناس، ليحيوا سنته، وقد ورد ذكره في آيات الذكر

الحكيم في نحو ثلاثين موضعًا بمعانيه المختلفة وما أعظم السلام، وما أعظم أثره على العبد في حياته الدنيوية والأخروية، حيث قال نبي السلام ﷺ: **«لاَ تَدْخُلُوا الْـجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»** (١).

وإذا ساد المجتمع المحبة والود، علت فيه راية الأمن والأمان والسلام، التي رغب فيها رسول الإسلام ﷺ حين قال: **«إنَّ من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء»** قيل: من هم لعلنا نحبهم يا رسول الله؟ قال: **«هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام، ولا أنساب، وجوههم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم تلا النبي ﷺ قوله** تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]» (٢).

والسلام حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، قال ﷺ: **«حق المسلم على المسلم ست: (فذكر منها): إذا لقيه فليسلم عليه..»** (٣).

ومن يبخل بالسلام، كان أبخل الناس، قال ﷺ: **«أَبْخَلُ النَّاسِ، مَنْ بَخِلَ بِالسَّلامِ»** (٤).

فهل رأيتم أبخل من ذلك؟

هل رأيتم أبخل ممن يحرم نفسه ثواب السلام؟

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه النسائي وابن حبان وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب (٣٠٢٣) عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم وأحمد في مسنده والترمذي وغيرهم.

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن عبد الله بن مغفل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٦٦).

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلاَمُ عليكم. فَرَدَّ عليه السَّلام ثُمَّ جَلَسَ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ السلام عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّـهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «عِشْرُونَ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ السلام عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّـهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ: «ثَلاَثُونَ»[١].

فلمَ تضيع من أجرك وثوابك حسنات السلام؟! ألم يقل النبي ﷺ: «أفشوا السلام كي تعلو»[٢]. ألم يقل الحبيب النبي ﷺ: «أَفْشُوا السَّلاَمَ تَسْلَمُوا»[٣].

جاء رجل إلى النبي ﷺ الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني بشيء يوجب لي الجنة، فقال ﷺ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلامِ، وَطِيبُ الْكَلامِ»[٤]. وفي رواية: «بَذْلُ السَّلامِ».

إنها خصلة حميدة، وسنة كريمة توجب لصاحبها دخول الجنات، وترفعه في الدرجات فلماذا نتكاسل عنها؟

عباد الله...

إنَّ إفشاء السلام بين المسلمين يكفر عنهم الذنوب والخطايا، قال ﷺ: «**إنَّ المؤمن إذا لقي المؤمن، فسلم عليه، وأخذ بيده فصافحه، تناثرت خطاياهما، كما يتناثر ورق الشجر**»[٥].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧١٠).

(٢) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٠١) عن أبي الدرداء و«صحيح الجامع» (١٠٨٨).

(٣) حسن: رواه البخاري في «الأدب المفرد» ، وأحمد في «مسنده»، وأبو يعلى وابن حبان ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٦٩٦).

(٤) صحيح: رواه الطبراني وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٦٩٩).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٩٢)، و«صحيح الترغيب» (٢٧٢٠).

وقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «**السَّلامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّـهِ وَضَعَهُ فِي الأَرْضِ، فَأَفْشُوهُ فِيكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَلَّمَ عَلَى الْـقَوْمِ فَرَدُّوا عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ، لأَنَّهُ ذَكَّرَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ**»(١).

عباد الله...

وقد وردت النصوص النبوية بتحريم الهجران بين المؤمنين، والحث على التصافي والتواد، فقال ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ. فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»(٢).

فاستمسكوا بسنة الحبيب النبي ﷺ واتبعوه لعلكم تفلحون.. واستغفروا ربكم لعلكم ترحمون..

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»(٣). ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه. وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، وعد عباده المتقين جنات النعيم، وتوعد الكافرين بالعذاب الأليم. وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبده ورسوله.. المبعوث رحمة للعالمين، وهو إمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين.. اللهمَّ صلي وسلم وبارك عليه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

وأما الدرجة الثالثة من الدرجات الثلاث المذكورات في النبي الحبيب ﷺ

---

(١) صحيح: رواه البزار والطبراني عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٠٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) سبق تخريجه.

صلاة ركعات بالليل والناس نيام.. وقيام الليل دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون إلى خالقهم وبارئهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله.

قيام الليل مدرسة تتربى فيها النفوس، وتهذب فيها الأخلاق، وتزكى فيها القلوب إذا أعلن أحد كبار المسئولين عن حضوره ليلاً إلى المدينة، ليحل لنا مشاكل المواطنين ويلبي رغباتهم، ومتطلباتهم.. فماذا يمكن أن تفعلوا؟

بالطبع لن تناموا في تلك الليلة، وسنجد أن جميع الناس في المدينة أو معظمهم يستعدون لهذه المقابلة بأجمل منظر، وأطيب رائحة.. فإذا حضر سنجد الجميع يحاولون أن يتقربوا إليه بأنواع الطرق.. ونظرًا لأن هذا المسئول تواضع وحضر إليك مبادرًا بمساعدتك، فلن تنسى له هذا الفضل أبدًا.. كل هذا في حق هذا الإنسان، فما بالكم إذا كان الذي يأتي إلينا هو الله ﷻ ملك الملوك، ومالك الملك، يناديكم ويعطيكم الموعد، ليلبي لكم كل ما تريدون.. وهو خالق هذا الكون ومالكه.. إنه يفعل ذلك كل ليلة. ينزل إلى سماء الدنيا، يمد لنا يد العون، وينادينا من قريب، ليلبي حاجتنا: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر، فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر؟!

ألا تخجلون من ربكم جل شأنه وهو يناديكم فلا تجيبون نداءه؟ الذي يملك الدنيا بأسرها.. الذي يملك لك سعادتك وشقاءك.. الذي يملك غناك وفقرك وحياتك وموتك.. بماذا تنشغل عنه؟! بالدنيا الزائلة أم بالنوم والراحة؟

أحبتي في الله...

إنَّ قيام الليل هو أفضل الصلاة بعد الفريضة.. فقد سئل النبي ﷺ عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة؟ فقال ﷺ: «**الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه النسائي والطبراني وغيرهما عن جندب بن سفيان، وصححه الألباني في =

والحسن البصري رحمه الله يقول: «لم أجد شيئًا من العبادة أشد من الصلاة في جوف الليل».

لذا فإنه لا يستطيعه إلا الرجال الأبطال الأطهار، ومن النساء القانتات الأبرار. ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

وقال في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٤].

وأولى خطوات تعويد النفس على قيام الليل، أن ينام المسلم ناويًا القيام.

وفي الحديث: «**مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلاَّ، قَالَ الْـمَلَكُ: اللَّـهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلاَنٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا**»[1].

وفي سنن أبي داود من حديث معاذ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِرًا، فَيَتَعَارُّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّـهَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[2]. بل إنَّ من كان من أهل قيام الليل، فغلبته عينه ليلة، فنام، كتب له أجره، وكان نومه صدقة من ربه عليه، لقول الحبيب النبي ﷺ: «**مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حَتَّى يُصْبِحَ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ**»[3].

وما أجمل ساعات الليل ودقائقه، حين يصف العبد قدميه، ويقف بين يدي

= «صحيح الترغيب» (١٠١٦)، و«صحيح الجامع» (١١١٦).

(١) حسن: رواه ابن حبان عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٥٩٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود عن معاذ بن جبل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٥٤)، و«المشكاة» (١٢١٥).

(٣) صحيح: رواه النسائي وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي الدرداء أو أبي ذر، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٦٠١).

ربه ومولاه «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»(١).

وقد أوصانا الحبيب المصطفى ﷺ بقيام الليل، لما فيه من مصالح للعبد، مصالح دنيوية، وأخرى أخروية.. يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ**»(٢).

وقد أثبت طائفة من الأطباء المسلمين في بعض بحوثهم الطبية التي قدموها لبعض المؤتمرات الإسلامية، ومفادها أن الجهاز الدوري والتنفسي، ومرونة مفاصل العظام، وخاصة العمود الفقري، أكثر كفاءة عند من يقوم الليل، ويحافظ على صلاة التراويح بخلاف غيرهم.

أحبتي في الله...

وقد ورد في حديث الطبراني أن الله يحب الذين يقومون الليل.. بل ويباهي بهم الملائكة قال المصطفى ﷺ: «**ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم** - أي يُقبل عليهم ويجزل عطاياهم، ويبالغ في إكرامهم، وذكر منهم: **الذي له امرأة حسنة، وفراش لين حسن، فيقوم الليل، فيقول الله: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد..**»(٣).

ولأجل هذا الثواب العظيم، والأجر الكبير حرص الرسول الأعظم، والنبي الأكرم على قيام الليل هو وأصحابه الكرام.. فكان يقوم من الليل حتى تتفطر

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود والحاكم عن عمرو بن عبسة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٧٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي والحاكم، والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٧٩).

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٢٥).

قدماه، فيقال له: لم تفعل ذلك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟**».

باع الحسن بن صالح رحمه الله جارية فلما صارت عند الذي اشتراها، قامت في جوف الليل، فقالت: الصلاة الصلاة، قالوا: طلع الفجر؟ قالت: أو لا تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم، فرجعت إلى الحسن، وقالت: بعتني إلى قوم سوء لا يصلون بالليل، فردني فردها.. فاتقوا الله عباد الله... وعليكم بهذه الدرجات تفوزوا وتسعدوا، وتنصروا.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات.. والمؤمنين والمؤمنات.. اللهمَّ احفظنا بالإسلام قائمين.. واحفظنا بالإسلام راقدين، وأحينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين، واجعلنا يا ربنا هداة مهديين، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا.. واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اجعلنا لكتابك من التالين ولك به من العاملين وبما صرفت فيه من الآيات منتفعين وإلى لذيذ خطابه مستمعين ولأوامره ونواهيه خاضعين وبالأعمال مخلصين، اللَّهُمَّ عاملنا بلطفك وإحسانكَ، ووفقنا لطاعتك ومرضاتك، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللَّهُمَّ أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين، اللَّهُمَّ يا من عم العباد فضله ونعماؤه، ووسع البرية جوده وعطاؤه، نسأل منك الجود والإحسان، والعفو والغفران، والصفح والأمان، والعتق من النيران، وتوبة تجلو أنوارها ظلماتِ الإساءة والعصيان، يا كريم.

اللَّهُمَّ ثبت إيماننا بك ثبوت الجبال الراسيات، ونوِّر قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين وأصلح أولادنا واغفر لآبائنا وأمهاتنا واجمعنا وإياهم مع عبادك الصالحين في جنات النعيم.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة الحادية والثمانون

صدقات بالمجان

الحمد لله.. رب العالمين.. له التسبيح والعظمة، والملك والقدرة والحول والقوة.. كتب الآجال، وأحصى الأعمال، فما أجل شأنه، وما أعظم سلطانه.. لا يقدره أحد حق قدره، ولا يشكره أحد حق شكره، ولا تهتدي العقول لصفته، ولا تبلغ الأوهام حده.. حارت الأبصار دون النظر إليه، فلم تره عين فتخبره عنه كيف هو؟ ولا كيف كان؟

نحمده ونستعينه ونستهديه، ونتوب إليه ونستغفره.. لا نحصي ثناء عليه هو كما أثني على نفسه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. رفع السماء بغير عمد، وبسط الأرض على ماء جمد، وجعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا، وجعل لها رواسي، وجعل بين البحرين حاجزًا من تقرب منه شبرًا، تقرب منه ذراعًا وافرًا.. ومن ذكره في نفسه كان له بين ملائكة قدسه ذاكرًا.. ومن طلبه عند شدته.. ودعاه عند كربته وجده لضره كاشفًا، ولخذلانه ناصرًا.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا ومعلمنا محمدًا عبد الله ورسوله.. من تمسك بشريعته، نال فضلاً جسيمًا، وحاز في الجنة نضرة ونعيمًا اختار له ربه أصحابه الأخيار.. فأبو بكر مؤنسه في الغار، وعمر وزيره وأمينه على الأسرار.. وعثمان المقتول بين العدوان شهيد الدار، وعليٌّ وارث علمه الفارس الكرار.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه عدد ورق الأشجار، وعدد قطر الأمطار.. وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ ...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله رب العالمين الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته، وأن يسقينا من حوض حبيبنا ﷺ شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا حتى ندخل جنة ربنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه وفي بداية هذا اللقاء الإيماني المتجدد، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنها أعظم الوصايا، وأنعم بها عدة وذخرًا، فإن تقواه أفضل مكتسب، وطاعته أعلى نسب.

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١** ﴾ [النساء: ١].

فمن اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن عصاه، أذاقه نار جهنم.

أحبتي في الله...

لقاؤنا اليوم بعنوان: «صدقات بالمجان» فأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه.

كم سمعنا الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تحثنا على فضل الصدقة وثواب المتصدقين، «**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»(١).

وهي دليل على صدق الإيمان، وسبب قوي لحب الرحيم الرحمن، كما جاء في الحديث القدسي الجليل: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا**

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ...»(١).

وكان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول: عجبت ممن يبقى معه مال، وهو يسمع قوله تعالى: ﴿ **إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ** ﴾ [التغابن: ١٧].

والصدقة كفارة للذنوب والمعاصي، وتكفير للخطايا، كما جاء في البخاري ومسلم وغيرهما من حديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْـمَعْرُوفُ**»(٢).

والمتصدقون لهم باب في الجنة خاص بهم يدخلون منه، فإذا دخلوا أغلق دونهم كما في الحديث المتفق عليه «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، نُودِيَ فِي الْـجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّـهِ، هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ...**»(٣).

وإذا حشر الناس يوم القيامة، واشتد الكرب، ودنت الشمس من رؤوس الخلائق، فإن المتصدقين يتفيئون في ظل عرش الرحمن جل جلاله، وتسترهم صدقاتهم من لفح جهنم، كما ثبت في حديث البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّـهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**» وذكر منهم «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ**»(٤).

وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ، حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**»(٥).

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهما.

(٥) صحيح: رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٨٧٢).

والصدقة سبب في بسط الرزق، وطول العمر، وهي تدفع البلاء والأمراض عن المتصدق وأهل بيته، وتمنع ميتة السوء، ومصارع السوء، كما قال النبي ﷺ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات..**»[١].

وفي رواية: «**صَنَائِعُ الْـمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ**»[٢]. وقال: «**دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»[٣].

وإذا ذكرت الصدقة، فإن كثيرًا من الناس يظنون أنها لا تكون إلا بالمال، وأنها حكر على الأغنياء، ولا شك عباد الله أن الصدقة بإنفاق المال من أشرف الصدقات وهي المقصودة عند الإطلاق، ومن الجميل أن يكون للمسلم نصيب منها، ولو كان بالقليل، إلا أنها ليست موضوعنا اليوم، وإنما حديثنا اليوم عن: «صدقات مجانية» فما هي هذه الصدقات؟ هل يمكن أن يتصدق المسلم دون أن ينفق جنيهًا واحدًا؟ وكيف ذلك؟ وما هي أنواع هذه الصدقات؟

نعم.. لأن للصدقة في الإسلام معنًى واسعًا، فهي تشمل كل عمل خير يقوم به المسلم، ومن هذه الصدقات المجانية، أو بعبارة أخرى «**عبادات يسيرة**» أجورها كبيرة:

١ - ذكر الله ﷻ:

فهاهم فقراء الصحابة - رضوان الله عليهم - المحبون للبر، السابقون إليه، لكنهم لم يكن لديهم مال يتصدقون به، فجاؤوا إلى الحبيب النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور - أي أصحاب الأموال - بالأجور، يصلون كما

---

(١) حسن: رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) حسن: رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) حسن: رواه الطبراني وأبو الشيخ عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٧٤٤).

نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال لهم: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّـهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟! إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْىٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ؟**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ أَيَأْتِى أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِى حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِى الْـحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[1].

أحبتي في الله...

بل إنَّ الصدقة بذكر الله تعالى، بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل قد تكون أفضل من صاحبها عند ربه ومولاه من الصدقة بالمال.. أفضل من الصدقة بالذهب والفضة.. قال النبي المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِى دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْـوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**». قَالُوا: وَذَلِكَ مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**ذِكْرُ اللَّـهِ ﷻ**»[2].

إذن يوم أن يلهج لسانك بالتسبيح والتحميد، والتهليل والتكبير، وتصدع بالذكر والدعاء والثناء على الكبير المتعال فذاك صدقة من أعظم الصدقات تتصدق بها على نفسك، وترفع بها ذكرك عند ربك، وتسعد بها يوم حشرك.. قال ﷺ: «**سَبَقَ الْـمُفَرِّدُونَ**». قَالُوا: وَمَا الْـمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللَّـهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[3].

وقد جاء النص صريحًا بسهولة الذكر وخفته مع عظيم أجره عند الله ﷻ، حيث قال ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِى الْـمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى**

---

(١) رواه مسلم عن أبي ذر.

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٩٤).

(٣) رواه مسلم.

الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّـهِ الْـعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ»[١] .

٢ - ومن الصدقات بالمجان: الإحسان إلى الناس، وقضاء حوائجهم:

وهذا والله باب من أوسع الأبواب، لأنه يدخل فيه أو تحته الكثير من أعمال البر والخيرات، فكل معروف تقدمه إلى أي مخلوق من المخلوقات، صغر أم كبر، سواء كان بقول أو فعل، فهو صدقه من الصدقات، التي تودع في صحيفة حسناتك، مثل ماذا؟ مثل سقيك للعطشان، وإطعامك الجوعان، ونصحك للمستنصح، قيامك بحق جيرانك، حسن تعاملك مع الناس، كل خير تقدمه لإنسان أو حيوان أو طيران فهو صدقة.

قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا؟ وكأن الصحابة - رضوان الله عليهم - كان يدور بخلدهم وعقولهم أن الصدقة لا تصح إلا بالدرهم والدينار.. لكن رسول الله ﷺ، **قَالَ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْـخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالأَمْرُ بِالْـمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْـمُنْكَرِ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُدِلُّ الْـمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْـمُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٢].

إسماع الأصم.. هداية الأعمى.. دلالة المستدل على حاجته.. إعانة الضعيف.. كل هذه صدقات منحة من رب الأرض والسموات.. ليرفع بفاعلها الدرجات ويكفر عنه الخطيئات.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه ابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٩٧١)، وفي «صحيح الجامع» (٤٠٣٨).

أحبتي في الله...

حتى لو وجد أحدكم رجلاً أرتم، أي عاجز عن التعبير عن حاجته لثقل في لسانه مثلاً فلو عبرت لأحد من الناس، وبينت مقصوده، فهذه صدقة عظيمة منك إليه وإلى نفسك.

اسمعوا إلى هذا الحديث، الذي يقول عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: حدث نبي الله ﷺ بحديث، فما فرحنا بشيء منذ عرفنا الإسلام أشد من فرحنا بهذا الحديث، قال: «**إنَّ المؤمن ليؤجر في إماطة الأذى عن الطريق، وفي هداية السبيل وفي تعبيره عن الأرتم، وفي منحة اللبن، حتى إنه ليؤجر في السلعة تكون مصرورة فيلمسها، فتخطئها يده**»(١).

٣ - **ومن الصدقات الميسرة**: التي منحها خالق الأرض والسموات: **الكلمة الطيبة، والعدل بين الاثنين صدقة، وإعانة الرجل على دابته برفع المتاع ونحوه.**

كل هذه صدقات مسطرات في سنة خير البريات ﷺ يقول الحبيب النبي ﷺ: «**كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ الاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»(٢).

والسلامي أي المفصل، قال أهل العلم: خلق الله كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، وقيل هو: كل عظم مجوف صغير.. وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ**

---

(١) حسن: رواه ابن حبان والبيهقي مختصرًا عن أبي ذر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٧٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي.

تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ»(١).

فمن الصدقات أن تلقى أخاك بوجه طلق، كما في هذا الحديث، وكما في حديث: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (٢). وهذا كما أنه من الصدقات، فهو من حسن الأخلاق.

قال الماوردي رحمه الله: أن يكون المسلم سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه قليل النفور، طيب الكلمة.

وقال ابن بطال رحمه الله: طيب الكلام من جليل عمل البر، لقوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]. والدفع قد يكون بالقول، كما يكون بالفعل.

فالكلمة الطيبة، والبسمة الحانية لها ثمرات لا يعلمها إلا الله.. فلا تكاد تجد إنسانًا صاحب بسمة حانية، وكلمة طيبة، إلا وتنساق له القلوب، وتحبه حبًّا جمًّا.

٤ - ومن الصدقات المجانية: المشي إلى المساجد:

وكل خطوة يخطوها المسلم إلى بيت من بيوت الله فيها صدقة يتصدق بها على نفسه، حيث يرفعه الله عز وجل بكل خطوة درجة، ويغفر له ذنبًا، ويملأ صحيفته بالحسنات.. يقول نبي الهدى صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»(٣).

٥ - ومن الصدقات المجانية أيضًا: إماطة الأذى عن الطريق:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». فيسير المسلم في طريقة فيجد

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٦٨٤).

(٢) حسن: رواه الترمذي وابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٢١).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داود.

حجرًا ينحيه أو شوكًا أو زجاجًا فيزيله، فيكون ذلك له صدقة.. بل إنَّ هذا العمل اليسير قد يكون سببًا للمغفرة، ودخول الجنة.

في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّـهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». وفي لفظ عند مسلم، فقال: «وَاللَّـهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْـمُسْلِمِينَ لاَ يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْـجَنَّةَ»[1].

٦ - ومن الصدقات بل ومن جلائل القربات: صلاة الضحى، بل إنَّ هاتين الركعتين تجزئ عن صدقات اليوم كله.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، إلى أن قال: وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[2]. يصليهما المسلم وقت ما يكون الناس في ذروة الانهماك والانشغال بأعمالهم، فيقوم المسلم مقبلاً على ربه، راكعًا ساجدًا بين يديه، فإن ذلك من أعظم القربات، والتي ترفع العبد الكثير من الدرجات والحسنات.

٧ - ومن الصدقات المجانية: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

لقوله: «وَأَمْرٌ بِالْـمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْـمُنْكَرِ صَدَقَةٌ».

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجب كل مسلم كل بحسب طاقته، وبحسب إمكاناته.

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: أشرف الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء، الذين يبلغون الناس شرع الله ﷻ، ويعرفون الناس دين

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه مسلم.

لله ﷻ ويحببون الناس في الله ﷻ.. قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»(١) . ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي بيده المحيا والممات، عالم غيب الأرض والسموات، وفق عباده لاغتنام الأوقات، فيما فيه السعادة في الدنيا وبعد الممات.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهد بوحدانيته الحجر والنبات، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. قدوة القدوات، وخير البريات، فصلى اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه،

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

٨ - **ومن الصدقات المجانية**: غرس النخيل والأشجار، فشجرة يغرسها المسلم، أو نخلة يتعهدها، وثمرة يسقيها، وإن كانت مملوكة له، فإنه لا يأكل منها إنسان أو طير أو حيوان، إلا كان صدقة له.

ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل نخلاً لأم مبشر الأنصارية فقال: «**مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟**». فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ.

---

(١) سبق تخريجه.

فَقَالَ: «لاَ يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلاَ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلاَ دَابَّةٌ، وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ»[١].

٩ - ومن الصدقات المجانية: يوم أن ترى من فاتته صلاة الجماعة، ولم يجد من يصلي معه في جماعة ليدرك خمسًا أو سبعًا وعشرين درجة، فمن الصدقة أن تصلي معه، ليحصل على هذا الأجر: فتكون صلاتك معه نافلة وصدقة، وهي أعظم من مال كثير.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر، فدخل رجل من أصحابه، فقال له: **«مَا حَبَسَكَ يَا فُلاَنُ عَنِ الصَّلاَةِ؟»**. **فَذَكَرَ شَيْئاً اعْتَلَّ بِهِ. فَقَامَ يُصَلِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «أَلاَ رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا فَيُصَلِّيَ مَعَهُ»**[٢]. أي من يعيد معه الصلاة ليحصل له ثواب الجماعة؟ فقام رجل من القوم، فصلى معه.

١٠ - ومن الصدقات المجانية: أن تقرض أخاك المسلم وتمهله أو تنظره إذا كان معسرًا:

يوم تراه وقد أصابتك نائبة من نوائب الدهر، فتمد يدك إليه فتقرضه أو تسلفه بعض المال دون فائدة، من غير منٍّ ولا أذى، فقد تصدقت عليه وعلى نفسك.. وتلك من الصدقات المجانية لقول الحبيب النبي ﷺ: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ»**[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (١١٤٦)، و«صحيح الجامع» (٢٦٥٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح (٦/ ١١٧).

قال السبكي رحمه الله في معناه: أي وزع أجره على الأيام، يكثر بكثرتها، ويقل بقلتها وسره: ما يقاسيه المُنظر من ألم الصبر مع تشوق القلب لماله، فلذلك كان ينال كل يوم عوضًا جديدًا.

قال المناوي رحمه الله وقد تعلق بهذا من ذهب إلى أن إنظاره أفضل من إبرائه، فإن أجره، وإن كان أوفر، لكنه ينتهي بنهايته[١].

ما شاء الأجر.. إذا أنظرت المعسر وأمهلته، يكتب الله لك أجر الصدقة كل يوم بمقدار الدين، إذا كان قبل حلول موعد السداد، فإذا حل الموعد، وأمهلته، كتب الله لك أجر الصدقة كل يوم بمقدار الدين مرتين.

لذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: لأن أقرض مرتين، أحب إليَّ من أن أتصدق به مرة.

١١ - ومن الصدقات المجانية: التصدق بالعرض، بالعفو عن المظالم.

أحبتي في الله...

يا من أعزكم الله بالإسلام، تيقظوا فإليكم يوجه الخطاب، تنبهوا قبل أن تناخ للرحيل الركاب، قبل هجوم هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، ومذل الرقاب ومشتت الأحباب، فيا له من زائر لا يعوقه عائق، ويا له من نازل لا يستأذن على الملوك، ولا يلج من الأبواب.

يـا نفـس قـد أزف الـرحيل	**وأظلـك الخطـب الجلـيل**
فتأهبـي يـا نفـس	**لا يلعـبن بـك الأمـد الطـويل**
فلتنـزلن بمنـزل ينـسى	**الخلـيل فـيه الخلـيل**
وليركـبن علـيك فـيه	**مـن الثـرى ثقـل ثقـيل**
قـرن الفـناء بـنا جمـيعًا	**فـلا يبقـى العزيـز ولا الذلـيل**

(١) «فتح القدير» (٦/ ١١٧) للمناوي.

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: الدنيا حانوت المؤمنين، والليل والنهار رؤوس أموالهم، وصالح الأعمال بضائعهم، وجنة الخلد أرباحهم، ونار الأبد خسرانهم.

إنَّ من جد وجد، ومن سهر ليس كمن رقد، والفضائل تحتاج لوثبة أسد فاتقوا الله حق تقواه، واستعدوا بصالح الأعمال ليوم لقاه.

اللهمَّ اجعل يومنا هذا يوم قرب منك وطاعة.. اللهمَّ نسألك العفاف والتقى اللهم ألف على الخير قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام اللهمَّ لا تصرفنا من هذا المقام إلا بذنب مغفور، وسعي مشكور، وتجارة لن تبور برحمتك يا عزيز يا غفور. اللهمَّ اجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر يا ذا الجلال والإكرام.

اللهمَّ ارزقنا حسن النية، وسلامة الطوية، اللهمَّ فرج هم المهمومين وكرب المكروبين، واليتامى والأرامل والمساكين. اللَّهُمَّ يا من خلق الإنسان في أحسن تقويم وبقدرته التي لا يعجزها شيء يحيي العظام وهي رميم نسألك أن تهدينا إلى صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك نفسًا مطمئنة، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك، يا أرأف الرائفين، وأرحم الراحمين. اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال، ونسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا رب العالمين. اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المحبين، الغر المحجلين الوفد المتقبلين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه يزدكم، واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

ثانيًا:

أناس لا يحبهم الله

الخطبة الثانية والثمانون

إن الله لا يحب المفسدين

الحمد لله.. الكريم الوهاب، هازم الأحزاب، ومنشئ السحاب، ومنزل الكتاب، ومسبب الأسباب، وخالق الناس من تراب.

سبحانه.. سبحانه.. قدَّم من شاء بفضله.. وأخّر من شاء بعدله.. لا يعترض عليه ذو عقل بعقله.. ولا يسأله مخلوق عن علة فعله.. ذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطن ذوي الألباب.. وقامت بكلمته السموات السبع والأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت البحار، وهو الله الواحد القهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. الكريم الشكور.. الرحيم الغفور، المنزه عن أن يظلم أو يجور، الذي خلق السموات، وجعل الظلمات والنور.. يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون - فالق الحب والنوى.

وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبد الله ورسوله.. النبي المصطفى، والرسول المجتبى، أشرف الخلق عجمًا وعربًا، المبعوث في أم القرى.

سيدي يا رسول الله ..

نفسي لك الفداء وما ملكت يدي	إني وقفت لنشر دينك همتي
وسعادتي ألا بغيرك أقتدي	لك معجزات باهرات جمة
وأجلها القرآن خير مؤيدي	ما غُيرت أو حرفت كلماته
شلت يد الجاني وتاه المعتدي	وأنا المحب ومهجتي لا تنثني

عـن وجـدها وغـرامها بمحمـد قـد لامنـي فـيه الكفـور ولـو دري

نعـم الإيـمان بـه لكـان مـؤيدي فـيا رب صـلي وسـلم عـلى الحبيب

واجعله بفضلك شافعنا في غدِ

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ﷺ ما غرد طير وناح.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب رسول الله ﷺ ...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة على حوض نبينا وحبيبنا ﷺ لنشرب من يده الشريفة شربة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا، حتى ندخل جنة ربنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وفي بداية هذا اللقاء الإيماني المتجدد.. أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فهي خير الزاد.. ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

تقوى الله هي الحصن الحصين، والحرز الأمين من كيد الكائدين ومكر الماكرين. عليكم بتقوى الله تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة، واسمعوا لوعد الله، الذي لا يخلف، وهو يقول: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾** ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أحبتي في الله...

وما زال اللقاء موصولاً مع أولئك الذين يبغضهم الله ﷻ واليوم نعيش مع صنف منهم، قال الله عنهم.. ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص: ٧٧].

وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في موضعين:

الموضع الأول: عندما أخبر الله ﷻ عن اليهود عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة، بأنهم وصفوا الله ﷻ بأنه بخيل. وهم أسخياء، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء،

قال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٤].

تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا فهو سبحانه واسع العطاء، جزيل الفضل والإنعام، ما من شيء إلا عنده خزائنه، قال ﷺ: «**يَدُ اللَّـهِ مَلأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**» (١).

ويقول لكل عبد من عباده: «**أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (٢).

فهو سبحانه ينفق كيف يشاء، لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه، مما أراد، بل قد بسط فضله وإحسانه، وأمر عباده أن يتعرضوا لنفحات جوده.. فخيره في جميع الأوقات مدرارًا، يفرج همًّا، ويزيل غمًّا، ويغني فقيرًا، ويفك أسيرًا ويجبر كسيرًا، ويجيب سائلاً، ويعطي فقيرًا عائلاً، ويجيب المضطرين.. ويستجيب للسائلين.. وينعم على من لم يسأله.. ولا يحرم من خيره وجوده من كان له عاصيًا، بل خيره وجوده وإحسانه يرتع فيه البر والفاجر.. ولو عامل سبحانه وتعالى هؤلاء اليهود القائلين هذه المقالة، لهلكوا، وشقوا في دنياهم.. ولكنهم يقولون تلك الأقوال، ومع ذلك يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم.. لأجل ذلك هم مفسدون في الأرض، والله يبغض أشد البغض من كان مفسدًا، وسوف يجازيهم على ذلك.

أيها المسلمون...

واليهود من أشد الناس إفسادًا في الأرض.. ولفسادهم في الأرض صورًا

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

متعددة، وألوان مختلفة فمنها:

١ - **أنهم قتلوا الأنبياء**، فهم سفاكون للدماء، وحاولوا قتل نبي الله عيسى عليه السلام.. قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

نجاه الله عز وجل منهم.. ولم يكتفوا بمحاولة القتل بل أخذوا يتفاخرون بعملهم الإجرامي، وهم قد قتلوا شبيهًا له، وقد حاولوا نفس المحاولة مع نبينا وحبيبنا ﷺ يوم أن جاءته اليهودية بكتف الشاة المسمومة لكن الله عز وجل نجاه.. في غزوة خيبر أهدت زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم رسول الله ﷺ شاة مسمومة قد سمتها، وسألت: أي اللحم أحب إليه؟ فقالوا: الذراع، فأكثرت من السم في الذراع فلما انتهش من ذراعها، أخبره الذراع بأنه مسموم، فلفظ الأكلة ثم قال: «**اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ**». فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟**». فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**». فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ»[1].

حفظه الله من مكرهم وغدرهم.. وفسادهم.. وها هم اليوم يقتلون إخواننا في فلسطين، وهذه الصورة من أخطر صور الفساد في الأرض.. إن ما يفعله هؤلاء اليهود في الأرض المقدسة من عدوان سافر، وفساد وبغي.. من قتل وهدم وتشريد، وحصار لم يستثن شيخًا كبيرًا، ولا شابًا نضيرًا.. ولا طفلاً صغيرًا، ولا غرو فإنها حلقة من سلسلة من حلقات إفسادهم في الأرض، ووالله الذي لا إله غيره، إنهم لو قدروا على أن يقتلوا أمة الإسلام بأثرها لفعلوا وما توانوا في ذلك.

---

(١) رواه البخاري وأبو داود.

إخوة الإسلام والإيمان...

اليهود قوم خونة لا يوفون بعهد ولا ميثاق.. لم يوفوا مع ربهم الذي خلقهم وصورهم ورزقهم، فهل يوفون مع الناس، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء: ١٥٥].

اليهود بلغ من فسادهم.. وفساد أخلاقهم.. وفساد عقيدتهم، أنهم تجرؤوا على كتاب ربهم فحرفوه، وبدلوه عن علم.. ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣].

فقوم هذه حالهم مع كتاب ربهم، ألا يحرفون عهودهم ومواثيقهم مع عباده؟ اليهود قوم أهل إفساد في الأرض يشعلون الحروب، ليشغلوا البشرية بها عن كشف حقيقتهم، وقد وصفهم من خلقهم بذلك، فقال: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن صور إفسادهم في الأرض أكلهم أموال الناس بالباطل، من رِبًا واحتيال وخداع بشتى صوره، وهم سادة العالم في ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المائدة: ٦٢].

وقال عنهم: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ [النساء: ١٦١].

اليهود تركوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فلعنهم الله في كتابه، فقال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

هؤلاء هم اليهود، وهذا هو فسادهم في الأرض.

فماذا عن الموضع الثاني؟

أيها المسلمون. . عباد الله...

وأما الموضع الثاني ففي سورة القصص عندما تحدثت السورة عن قارون وطغيانه وفساده، حتى نصحه قومه، فقالوا له كما حكى القرآن الكريم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧].

قارون كان من قوم سيدنا موسى عليه السلام، فتح الله عليه أبواب النعيم، وسبل الرزق، وطرق الكسب، فعظمت أمواله، وكثرت كنوزه، وفاضت خزائنه وآتاه الله بسطة في الرزق، ورخاء في العيش، وكثرة في المال، فعاش في ترف وبذخ، وكبر وبطر، وفخر وخيلاء، فطغى وتجبر، وفسق وتمرد، وتطاول وتمادى، فزاد نهمه، وكثر خدمه، وعظم حشمه، حتى ظن أنه لا يقدر عليه أحد، فعميت بصيرته، وعظم زهوه، وزاد غروره.

فقام أهل الخير والصلاح، بنصحه وإرشاده، نصحوه أن لا يغويه المال، والثراء، وأن يأخذ من الدنيا بنصيبه، ومن الآخرة بنصيبه، فإن لله حقًا، وللناس حقًا، وللنفس حقًا، وللزوجة حقًا، فيجب أن يعطي كل ذي حق حقه، ونهوه عن الفرح الذي يدفع إلى الزهو والغرور.. وبينوا له أن الله تعالى يمقت الفساد والمفسدين، وأن هذا المال ظل زائل، ووديعة مستردة، فلا يفرح ولا يغتر.. فماذا كانت ثمرة الموعظة؟ وماذا كان نتيجة النصح؟

أجابهم بجملة واحدة تحمل شتى معاني الفساد والإفساد، جملة تحمل في طياتها الكبر والبغي والطغيان.. ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨]. أوتيته بمهارتي.. بقدرتي.. بأفضليتي واستحقاقي لهذا المال.

لكن ربكم يمهل ولا يهمل.. ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

ليكون عبرة لمن اعتبر، وعظة لمن اتعظ.. ابتلعته الأرض، وساخت فيها أمواله وقصوره.. وبعد هذه النهاية الخاسرة، أصبح الذين تمنوا مكانه يحمدون ربهم أن منّ عليهم ونجاهم من الخسف.

فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين؟ انظروا كيف كان عاقبة المتكبرين الطاغين؟

أيها المسلمون. . عباد الله...

إنّ الله تعالى لما خلق هذا الإنسان، وجعله خليفته في أرضه، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب.. فصلحت الأرض صلاحًا هو غاية الصلاة وأكمله، وأنفعه، الصلاح الذي جاء به الدين في كل عقائده، وكل شرائعه، فجاء العصاة والطغاة، ومن وسوست لهم الشياطين بكل المفسدات، ومن أعظم هذه المفسدات في الأرض: (الإشراك بالله تعالى) وهو صرف حق الله ﷻ من العبادة إلى غيره، وهو عين الظلم والفساد، قال تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]. إنه أشد الظلم، لأنه يسوي بين الخالق والمخلوق.. يسوي الخالق القادر الرازق المدبر، المحيي المميت المتفرد في ربوبيته، بالمخلوق العاجز الفاني.

فأي فساد أعظم من فساد من يدعو مع الله أحدًا لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياة ولا نشورًا.

والله تعالى قد نهى عن الفساد في الأرض، فقال: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦].

قال العلامة الحافظ ابن القيم رحمه الله تعليقًا على قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾: «إن عبادة غير الله، والدعوة إلى غيره، والشرك به هو

أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به ومخالفة أمره، وبالجملة في الشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود، وأن تكون الدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة، فإن الله أصلح الأرض برسوله وبدينه وبالأمر بتوحيده ونهى عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، ووجد كل شر في العالم فتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله، ومن تدبر هذا حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي حق غيره عمومًا وخصوصًا، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». انتهى كلامه رحمه الله.

يقول الحبيب النبي ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدًا: كتاب الله وسنتي**»[(١)].

وقال: البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»، أو كما قال: ادعوا الله.



---

(١) صحيح: رواه الحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).

الخطبة الثانية

الحمد لله.. وسلام على عباده الذين اصطفى.. آلله خير أما يشركون؟

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. إله الأولين والآخرين، ورب العالمين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

قال الله تعالى: ﴿ **ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾** ﴾ [الروم: ٤١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في معناها: أي بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي.

وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض، فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: «**حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الأَرْضِ، خَيْرٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»(١).

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت، انكف الناس - أو أكثرهم - عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي، كان سببًا في محاق البركات من السماء والأرض ولهذا إذا نزل نبي الله عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير، وكسر الصليب، ووضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه، ويأجوج

---

(١) حسن: رواه النسائي وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٣٥٠).

ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركتك، فيأكل من الرمانة الفئام من الناس، ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله ﷺ فكلما أقيم العدل، كثرت البركات والخيرات، ولهذا ثبت في الصحيح: «**الْفَاجِرُ يَمُوتُ، فَيَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»(١).

وروى الإمام أحمد عن أبي قحذم قال: وجد رجلٌ في زمان ابن زياد صرة فيها حَبّ، يعني من بر أمثال النوى، مكتوب عليه: هذا نبت في زمان كان يُعمل فيه بالعدل(٢).

أيها الأحبة...

فما وقع من هذا التلوث البيئي، الذي عمَّ ضرره، واتسع خطره، فتأذى به الإنسان والنبات والحيوان على الغبراء، والطير في جو السماء، والحيتان في جوف الماء، كل ذلك بسعي من الإنسان، وثمرة مرة لما صنعت يداه، بعيدًا عن الحيطة والحذر الواجبين.. ألا فاتقوا الله عباد الله، وكونوا من المصلحين تحظوا برضا الخالق رب العالمين.. وتكونوا عنده من المفلحين الفائزين.

اللهمَّ أحيينا على الإسلام سعداء، وتوفنا على التوحيد شهداء، واحشرنا في زمرة الأنبياء، ولا تشمت بنا الحاسدين ولا الأعداء، اللهمَّ أعزنا بالإسلام واحفظنا به قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين.. اللهمَّ زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا.. واجعل الموت زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي والبيهقي عن أبي قتادة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٧٢).

(٢) ذكره أحمد في مسنده.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأستغفر الله لي ولكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة الثالثة والثمانون

الله لا يحب الظالمين

الحمد لله رب العالمين.. حرم الظلم على العالمين.. فقال في حديثه القدسي الجليل: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّـهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ**».

أحمدك ربي حمدًا يتردد، وأشكرك شكرًا يتزايد، وأثني عليك ثناء يتجدد تجدد الأنفاس.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهادة مستقرة في القلب، ثابتة الأساس، سقاها الوحي من معينه، فلم تحتج مع النص إلى قياس.. سبحانه سبحانه لا يشبه الناس، ولا يدخل تحت المقياس، ولا تدركه الحواس ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، أجزل له العطا، وعلى قلوب أتباعه سطا.. تخرج في جامعته أعظم الرجال.. تخرج في جامعته المصلح القدير كأبي بكر، والعبقري الفذ كعمر، والحيي الكريم كعثمان، والمجاهد كعلي، والمفتي القدير كابن عباس، والفيلسوف البارع كسلمان.. والزاهد الورع كأبي ذر.. اسألوا التاريخ في أي الجامعات تخرج هؤلاء؟ سيجيبون بلسان حالهم: تخرجنا في جامعة كان عميدها محمد ﷺ اللهمَّ صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

عباد الله...

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

موعدنا اليوم أيها الأحبة الكرام... مع واحدة من الصفات التي لا يحبها الله ﷻ ولا يحبها رسوله ﷺ..

ما زال اللقاء موصولاً مع (**أناس لا يحبهم الله**) فمع أي صنف نعيش اليوم؟

في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

وقد تكرر ذلك في ثلاثة مواضع من كتاب الله ﷻ.. فما هي هذه المواضع؟

أما الموضع الأول ففي سورة آل عمران يقول الله ﷻ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فالله ﷻ يسلي عباده المؤمنين من أصحاب النبي الأمين ﷺ بما حصل لهم من الهزيمة، وبين الحكم العظيمة المترتبة على ذلك.. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح - أي الجرح والقتل - ومن هذه الحكم: أن هذه الدار يعطي الله ﷻ منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة ويوم للطائفة الأخرى، لأن هذه

الدار الدنيوية منقضية، فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا وليعلم الله الذين آمنوا - وهذا أيضًا من الحكم أنه يبتلي عباده بالهزيمة والابتلاء، ليبين المؤمن من المنافق، لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام.. في الضراء والسراء، واليسر والعسر ممن ليس كذلك.

ويتخذ منكم شهداء.. وهذه أيضًا من الحكم، لأن الشهادة عند الله تعالى من أرفع المنازل والله لا يحب الظالمين، الذين ظلموا أنفسهم وتقاعدوا عن القتال في سبيله.

وأما الموضع الثاني ففي نفس السورة، في قوله جل في علاه: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٧].

وأما الموضع الثالث ففي سورة الشورى، في قوله جل في علاه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

فقد ذكرت الآية الكريمة مراتب العقوبات، فهي على ثلاث مراتب: عدل وفضل، وظلم.

فمرتبة العدل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص فالنفس بالنفس. وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.

ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠].

وأما مرتبة الظلم، فقد ذكرها بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠].

عباد الله...

الله ﷻ لا يحب الظالمين.. فما هو الظلم؟ وما هي عقوبته في الدنيا والآخرة؟

وكيف حذر القرآن الكريم والسنة المطهرة من الظلم؟ الحذر من دعوة المظلوم.. كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله تعالى.

ما هو الظلم؟

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأصل الظلم: الجور، ومجاوزة الحد والظلم هو الميل عن القصد.. يقال: فلان تظلم من فلان: أي شكا من ظلمه.. والظلمة هم الذين يمنعون أهل الحق حقوقهم.. وتظالم القوم إذا ظلم بعضهم بعضًا.

أحبتي في الله...

الظلم صفة قبيحة، ورزيلة كريهة، ومن ثمارها الخراب والدمار، والهلاك، وغضب الجبار، وذهاب الأعمار، ودخول النار.

وما أهلك ربنا الأمم السابقة إلا لأنهم سلكوا مسالك الظالمين، فعذبوا الأنفس البريئة، وعذبوا الصالحين.

وقد نسى الظالمون أن وراءهم ربًا عظيمًا، قويًا جليلاً، منتقم جبار لكل من ظلم وجار، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. وقال عن نفسه: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال في الحديث القدسي الجليل: «**يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا...**»[1].

ففي الحديث نفي الظلم عن رب العزة والجلال.. وإثبات صفة العدل له جل في علاه وفيه التحذير من الظلم.

---

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

وقد حذرنا رسولنا ﷺ من الظلم.. فقال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ»[١].

وقد حثنا على رد المظالم في الدنيا قبل الآخرة، فقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْـيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[٢].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّـهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ. ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝﴾ [هود: ١٠٢]»[٣].

ويا لها من حسرة يوم يرى الظالم حسناته وهي توزع على كل من ظلمهم.. قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْـمُفْلِسُ؟».

قَالُوا: الْـمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْـقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٤].

أيها الموحدون الكرام...

أرأيتم كيف ذم الله ﷻ الظالمين في كل عصر، وفي كل حين، وكذلك ذمهم النبي ﷺ الأمين، وصحابته - رضوان الله عليهم أجمعين -.

---

(١) رواه مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله، ورواه أحمد والطبراني عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم عن أبي موسى.

(٤) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقول سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه: الذنوب ثلاثة: ذنب يغفر، وذنب لا يغفر، وذنب مجازي به، فأما الذي لا يغفر فالإشراك بالله، وأما الذي يغفر فظلمك نفسك، وأما الذي يجازي به، فظلمك أخاك.

نعم يجازيك الله عز وجل أيها الظالم بظلمك لأخيك، فمهما قل هذا الظلم أو كثر، ... تقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه مسلم وغيره: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[1]. والجلحاء هي التي لا قرن لها.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله في بعض خواطره: اعلم أن الجزاء بالمرصاد، ... كانت حسنة، أو كانت سيئة، ومن الاغترار أن يظن المذنب إذا لم ير عقوبة أنه قد سومح، وربما جاءت العقوبة بعد مدة، وقل من فعل ذنبًا إلا قوبل عليه، قال الله عز وجل: ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ** ﴾ [النساء: ١٢٣].

آدم لم يسامح بلقمة، ودخلت النار امرأة في هرة. وأنت..

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي	**درج الجنان ونيل فوز العابد**
ونسيت أن الله أخرج آدمًا	**منها إلى الدنيا بذنب واحد**

السيدة أسماء بنت عميس رضي الله عنها تحكي أنَّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه جاءها يومًا وهم بأرض الحبشة باكيًا، فسألته عن سبب هذا البكاء فقال لها: رأيت شابًا جسيمًا مترفًا من الحبشة، مرَّ على امرأة، فطرح دقيقًا كان معها على الأرض فسفته الريح.. وهذا ظلم من الشاب إلى المرأة الضعيفة.. فماذا حدث؟

لقد قالت له المرأة شاكية إلى ربها: «أكلك إلى يوم يجلس الملك على الكرسي، فيأخذ للمظلوم من الظالم.

(١) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وسيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول عن هذا الموقف العظيم.. يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة، فينادي منادٍ على رؤوس الخلائق - أو قال: على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان، من كان له الحق، فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها، أو أمها، أو أخيها، أو زوجها، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ينادي مناد يوم القيامة: أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد منهم مد لهم حبرًا أو حبّر لهم داوة، أو بري لهم قلمًا.. إلا حضر معهم، فيجتمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم.

عبد الله...

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا	**فالظلم آخره يأتيك بالندم**
تنام عيناك والمظلوم منتبه	**يدعو عليك وعين الله لن تنم**

واحذروا دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: إنَّ النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن، أوصاه قائلاً: «**اتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**»[١].

وعن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْـغَمَامِ، يَقُولُ اللَّـهُ جَلَّ جَلالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**»[٢].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنه تصعد إلى السماء، كأنها شرارة**»[٣].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.
(٢) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٧).
(٣) صحيح: رواه الحاكم وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٢٢٨)، و«صحيح الجامع» (١١٨).

ولعلكم تعجبون أن الله ﷻ يستجيب دعوة المظلوم، لماذا؟ لأنه يستغيث بمن؟ يستغيث بالله ﷻ.. وهل أحد يغيث إلا الله؟!

قال ﷺ: «**دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ وَإِنْ كَانَ كَافِراً، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**دَعْوَةُ الْـمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِراً، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**»[2].

وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يسمى هنيًا على الحمى، فقال له: «يا هني، اضمم جناحك عن المسلمين، واتق دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم مستجابة».

وكان سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «إياكم ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل، والناس نيام، ودعوة المظلوم تصعد إلى السماء كشرار النار، حتى تفتح لها أبواب السماء».

وقال سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لما خلق الله ﷻ الملائكة، رفعت رأسها إلى السماء، فقالت: ربنا مع من أنت؟

فقال: مع المظلوم، حتى يؤدي إليه حقه.

فيا هذا، ظلمك لنفسك غاية في القبح، ألا إن ظلمك لغيرك أقبح، ويحك إن لم تنفع أخاك فلا تؤذه، وإن لم تعطه فلا تأخذ منه، لا تتشابه مع الحية، فإنها تأتي إلى الموضع، الذي قد حفره غيرها، فتسكنه.

ورحم الله من قال:

أما والله إن الظلم لؤم ... وما زال المسيء هو الظلوم

---

(١) حسن: رواه أحمد وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٢٣١).

(٢) حسن: رواه الطيالسي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٢).

إلى ديـــان يـــوم الـــدين نمـــضي وعـــند الله تجـــتمع الخـــصوم

ســـتعلم في الحـــساب إذا التقيـــنا غـــدًا عـــند الإلـــه مـــن الملـــوم؟!

أيها الأحبة الكرام...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، والتائب من الذنب، كمن لا ذنب له. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. تباركت يا الله ربي.. لك الثناء.. فحمدًا لمولانا وشكرًا لربنا بأسمائك الحسنى وأسرارها التي أقمت بها الأكوان من حضرة الفنا فندعوك يا الله.. يا مبدع الورى يقينا.. أن تقينا الهم والكرب والعنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. ولا ند له.. ولا صاحبة له.. ولا ظهير له.. ولا مثيل له.. ولا شبيه له، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا.. ومخرجنا من الظلمات إلى النور.. سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وحبيبه.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون، عباد الله...

وبعد أن عرفنا أن الظلم داء وبيل، وصفة من أقبح الصفات، هيا بنا لنتعرف على جزاء الظالمين.. وعقوبتهم في الدنيا والآخرة.

١ - فمن عقوبة الظالمين في الدنيا: محق البركة، وخراب البيوت، والظالم مهما بدا لك أنه غني، فأمواله لا بركة فيها، ومهما كان عالي البنيان، فهي أقرب إلى الانهيار بسبب ظلم العباد.. قال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾ [النمل: ٥٢].

وفي التوراة: «ابن آدم، لا تظلم يخرب بيتك».

ولقد انتبه بعض الحكام الكفار لخطورة الظلم، فخافوه وهابوه، لآثاره الظاهرة ومضاره الواضحة في الدنيا قبل الآخرة، من نزع البركات، وقلب النعم نقمات بمجرد إضمار السوء، وإبطان المكر والظلم، قبل إعلانه والإفصاح عنه.

روى المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن ملكًا من الملوك، خرج من بلده يسير في مملكته مستخف من الناس، فنزل على رجل له بقرة، فراحت عليه تلك الليلة البقرة، فحلبت مقدار ثلاثين بقرة من بقره، فعجب الملك من ذلك وحدّث نفسه بأخذها، فلما كان من الغد، غدت البقرة إلى مرعاها، ثم راحت فحلبت نصف الحلاب الأول.. فدعا الملك صاحبها، وقال له: أخبرني عن بقرتك، لم نقص حلابها؟ ألم يكن مرعاها اليوم مرعاها بالأمس؟ قال: بلى، ولكن أرى الملك أضمر لبعض رعيته سوءًا، فنقص لبنها، فإن الملك إذا ظلم، أو همَّ بظلم، ذهبت البركة.

قال: فعاهد الملك ربه أن لا يأخذها، ولا يظلم أحدًا.

قال: فغدت ورعت، ثم راحت فحلب حلابها في اليوم الأول أي مثله، فاعتبر الملك بذلك وعدل، وقال: إنَّ الملك إذا ظلم، أو همَّ بظلم، ذهبت البركة، لا جرم، لأعدلن ولأكونن على أفضل الحالات.

وذكر الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك) أنه كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرًا، ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك، فغصبها السلطان، فلم تحمل في ذلك العام ولا تمرة واحدة.

٢ - **ومن عقاب الله للظالمين في الدنيا:** أنه يسلط عليهم ظالمًا غيره، أقوى وأشد، ليذوق مما كان يسقيه لغيره وفي الأثر: «من لم يعرفني، سلط عليه من لا يعرفه».

٣ - ومن عقاب الله للظالمين في الدنيا: أنه يحيا في دنياه، ويعلم علم اليقين، وفي قرارة نفسه، أن الله ﷻ لا يحبه بل يلعنه ويبغضه، كما ذكرنا في بداية الخطبة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال: ﴿ **أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [هود: ١٨].

٤ - وفي آخر لحظات حياتهم يعاقبهم الله ﷻ بشدة السكرات عند الممات؛ يقول رب الكائنات جل شأنه: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٣].

أيها الأحبة الكرام...

هذا في الدنيا، فما عقوبة الظالمين في الآخرة؟ إنها والله عقوبة مؤلمة، وهل هناك عقوبة أشد من عقوبة النار.. قال الواحد القهار: ﴿ **إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [الكهف: ٢٩].

ترون كيف يقاوم هذا الجسد النحيف الضعيف تلك القوى الجهنمية الهائلة؟ من تؤلمه البقة، كيف يواجه لدغات العقارب والحيات؟ من لا يتحمل حرارة الصيف اللاسعة، كيف يتحدى نار الله الموقدة.

فالله الله معشر العباد.. قال الشافعي رحمه الله: «بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».

اللهمَّ أجرنا من النار ومن عذاب النار، ومن كل عمل يقربنا إلى النار.. اللهمَّ إنا نعوذ بك من الظلم، والظالمين.. وباعد بيننا وبينهم في الدنيا والآخرة يا رب العالمين.. اللهمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.. اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا، وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك أن تمطر محل قلوبنا من سحائب برك وإحسانك وأن توفقنا لموجبات رحمتك وعزائم مغفرتك إنك جواد كريم رؤوف غفور رحيم.

اللَّهُمَّ نسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، وعلمًا متقبلاً، ونسألك بركة الحياة وخير الحياة، ونعوذ بك من شر الحياة، وشر الوفاة.

اللَّهُمَّ إنا نسألك نفسًا مطمئنة، تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك، يا أرأف الرائفين، وأرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك التوفيق لما تحبه من الأعمال، ونسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك يا رب العالمين.

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المخبتين، الغر المحجلين الوفد المتقبلين.

اللَّهُمَّ إنا نسألك حياة طيبة، ونفسًا تقية، وعيشة نقية، وميتة سوية ومردًا غير مخز ولا فاضح.

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل الصلاح والنجاح والفلاح، ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة الرابعة والثمانون

إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً

الحمد لله رب العالمين.. أعطى عباده الأسماع والأبصار والأفئدة لعلهم يشكرون.. وأسدى عليهم أصناف النعم.. وسيحاسبهم عليها وعنها يسألون.. فمن استعان بها على طاعة المنعم.. فأولئك هم المفلحون.. ومن صرفها في معاصيه.. فأولئك الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين..

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

يا ابن آدم.. لا تغتر بدنيا أولها بكاء.. وأوسطها عناء.. وآخرها فناء.. واعمل لدار أولها لقاء.. وأوسطها وآخرها بقاء..

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
اعمل لدار غدٍ رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا.. وأستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد.. هو النور.. الذي أرسله النور بالنور..

هو نور... ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥].

أرسله النور... ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥].

وجاء بالنور.. ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن: ٨].

فواعجبًا لأمة ربها نور، ونبيها نور، وكتابها نور، فكيف تعيش في الظلمات.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

في بداية هذا اللقاء الإيماني المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ.. فإنها وصية الله ﷻ في الأولين والآخرين.. قال رب العالمين: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

أوصيكم بتقوى الله فإن فيها النجاة والنجاح والفلاح.. ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر: ٦١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وما زال لقاؤنا موصولاً مع (**أناس لا يحبهم الله ﷻ**) مع صنف آخر من هؤلاء.. أتدرون من هم؟ إنهم الذين يقول الله ﷻ فيهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد جاء هذا الصنف في معرض الأمر بعبادة الله ﷻ وعدم الإشراك به، وبالحث على بر الوالدين والإحسان إليهما، وكذلك صلة الأقارب، واليتامى والمساكين والوصية بالجيران.. قال ربنا ﷻ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

أي معجبًا بنفسه، متكبرًا على الخلق، فخورًا يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله... فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعهم من القيام بالحقوق ولأجل هذا ذمهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء: ٣٧].

فكما تكبروا على عباد الله، ومنعوا حقوقه، وتسببوا في منع غيرهم من البخل. وعدم الاهتداء، أهانهم بالعذاب الأليم، والخزي الدائم.

أيها المسلمون . . عباد الله...

ربنا ﷻ يبغض هذا الصنف من الناس، وهو المختال الفخور.. المتكبر.. المعجب بنفسه، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ ﷻ: الْبَيَّاعُ الْحَلاَّفُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي. وَالإِمَامُ الْجَائِرُ**»[1].

الله ﷻ يبغض أربعة أصناف في هذا الحديث:

الأول: البياع الحلاف: أي الذي يكثر الحلف، ليبيع سلعته ويروجها.. وبغضه الله ﷻ، لأن الحلاف الكثير الحلف، انتهك ما عظم الله من أسمائه، وجعله سببً وحيلة لدرك ما حقره من الدنيا، لعظمها في قلبه.. فبغضه رمقته، هذا في الحلف الصادق فما بالك بالكاذب؟

الثاني: والفقير المتكبر: لأن الله ﷻ قد زوى عنه أسباب الكبر بحمايته له عن الدنيا، فأبى لؤم طبعه إلا التكبر، ولم يشكر نعمة الفقر، وهي ابتلاء من الله واختبار له.

---

(١) صحيح: رواه النسائي وابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٩٠)، و«صحيح الجامع» (٨٨٠).

الثالث: الشيخ الزاني: يبغضه ربه، لأن عمّر عمرًا يحصل به الانزجار، واستولت عنيه أسباب الضعف، وكلها حاجزة عن الزنا، فأبى سوء طبعه إلا التهافت في معصية الله.

الرابع: الإمام الجائر: أنعم الله عليه بالسيادة والقدرة، فأبى شؤم طبعه إلا جور وكفران النعمة(١).

وقد وضح مولانا ﷻ في كتابه العزيز أنه يبغض هذا الصنف من الناس، وهم المختالون الفخورون بأنفسهم، فقال مولانا ﷻ في وصايا لقمان الحكيم لابنه: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

لماذا يزهو الإنسان ويختال، ويفتخر ويصيبه العجب والغرور؟ قال الحسن البصري رحمه الله: عجبًا لابن آدم، يغسل الخرء بيده في اليوم مرة أو مرتين، ثم يتكبر يعارض جبار السموات؟!

يا سبحان الله.. عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخليفة الراشد، قبل الخلافة مشى مختالاً في مشيته، وكان يجلس معه طاووس بن كيسان رحمه الله وهو من العبّاد، فطعنه طاووس في جنبه بأصبعه، وقال له: ليس هذا شأن من في بطنه خرء؟!(٢).

ولا تمشي فوق الأرض إلا تواضعًا ... فكم تحتها قوم همو منك أرفع
وإن كنت في عزٍّ وحرز ومنعة ... فكم مات من قوم همو منك أمنع

ثم إنَّ الإنسان قد يكون افتخاره بالنسب.. انتسب رجلان على عهد نبي الله موسى عليه السلام، فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان، حتى عدّ تسعة، فمن أنت لا أم لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، قال: «**فأوحى الله إلى كليمه موسى عليه السلام، أن قل لهذين المنتسبين: أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت**

(١) «فيض القدير» للمناوي.
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٤٦).

عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين، ففي الجنة، وأنت ثالثهم في الجنة»[1] .

يفتخر بشرف نسبه.. والنسب عند الله ﷻ لا قيمة له.. يوم القيامة.. يوم الحسرة والندامة.. لا قيمة له.. ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. النسب الأعظم هو الإسلام.. هو التقوى.. ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣].

ولذلك يرفع الله ﷻ المتقون.. الذين كانوا ينستبون إلى التقوى.. فيقول بلسان الحال: لقد جعلت لكم نسبًا، وجعلت لي نسبًا، في الدنيا فوضعتم نسبي، ورفعتم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي، وأوضع أنسابكم، أين المتقون؟

لعمرك الإنسان إلا ابن يومه — على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما — فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

وقال آخر:

لئن فخرت بآباء ذوي شرف — لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه كان إذا سئل عن نسبه، قال: الإسلام، وإذا سئل عن اسمه، قال: عبد الله، وإذا سئل عن ماله، قال: الفقر، وعن حانوته، قال: المسجد وعن كسبه، قال: الصبر، وعن لباسه، قال: التقوى والتواضع.

وإذا سئل عن فخره وشعاره: قال: سلمان منا آل البيت.. وإذا سئل عن قصده، قال: يريدون وجه الله، وإذا سئل عن سيره، قال: إلى الجنة، وإذا سئل عن إمامه، قال: إمام الخلق، وهادي الأمة سيدنا محمدٌ ﷺ

---

(١) صحيح: رواه النسائي والبيهقي و«الضياء في المختارة» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٤٩٢).

فالذي يفتخر بنسبه لابد أن يعرف نسبه الحقيقي، فيعرف أباه وجده.. فأباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد: تراب ذليل، وقد عرفه الله ﷻ هذا النسب، فقال جل شأنه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾ [السجدة: ٧، ٨]. فمن أصله التراب المهين، الذي يُداس بالأقدام.. كيف يختال ويتكبر ويفتخر؟!

وإذا اختال وافتخر بالقوة.. فهناك من هو أقوى منه.. والناس لا يقاسون بالقوة.. وهل للإنسان قوة كقوة الحمار أو البغل؟ وهل قوة هذا الرجل تكافئ قوة الحمار أو الفرس؟ لو كانت القوة هي المقياس لاستحق الحمار أن يكون مديرًا، والبغل أن يكون وزيرًا، والفيل أن يكون رئيسًا.. ولكن المدار على العقل، فبه يصل إلى ربه ومولاه.. وبه يسير في الناس سيرًا حسنًا.. وبه يتجنب المزالق والمهاوي.

إن المكارم أخلاق مطهرة فالدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والبر سادسها
والصبر سابعها والفضل ثامنها والشكر تاسعها واللين باقيها

فتأملوا - رحمكم الله - أن القوة لم تعد من المكارم، لأنها لا يكون الفخر بها إلا إذا استخدمها أصحابها في مكارم الأخلاق.

الإمام أبو حنيفة رحمه الله كان يلقي درسه كل يوم كعادته في دروس الفقه، وهو باسط رجلاه، لأنها كانت تؤلمه، وطلابه تعودوا على ذلك، فدخل رجل حسن الهيئة، طويل القامة، فجلس في الحلقة ليستمع إلى الدرس، فحينئذ ضم الإمام أبو حنيفة قدميه، احترامًا للقادم، وظل يلقي درسه، حتى وصل إلى قوله.. وقت المغرب يبدأ من غروب الشمس إلى غياب الشفق الأحمر من السماء.. فقال الرجل: يا شيخ، أرأيت إن لم تغرب الشمس؟

فقال أبو حنيفة: الآن آن لأبي حنيفة أن يمد ساقيه.. أو رجليه.

لأن ذلك دليل على خفة عقل هذا الإنسان.

عباد الله...

ومن الناس من يفتخر بكثرة أمواله، وهذا جاهل مغفل، لأنه لو كان عاقلاً، لعلم أن المال يروح ويغدو، وأنه ظل زائل، وعارية مسترجعة.. ولو تأمل لرأى في اليهود والنصارى وغيرهم من الكفرة من يزيد عليه في المال، والتجمل والثروة، فأفٍ لشرف يسبقك به يهودي ونحوه.. وقد يأتيه العطب من أي جانب من الجوانب، فيزول عنك هذا المال وتقعد فقيرًا محسورًا.. وتعود فقيرًا ذليلاً.. كصاحب الجنتين. قال ﷻ حكاية عنه: ﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا** ﴿٣٥﴾ ﴾ [الكهف: ٣٥].

فأرسل الله ﷻ على جنته حسبانًا من السماء، فتركها خاوية على عروشها.. قال سبحانه: ﴿ **وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا** ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢].

ومثل قارون الذي آتاه الله من المال، كما قال: ﴿ **مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ** ﴾ [القصص: ٧٦]. مال كثير، وعقارات، وذهب وفضة ملأت الخزائن.. ولما بغى على قومه، واختال وتفاخر.. وخرج مزهوًا بطرًا أشرًا.. ﴿ **فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ** ﴾ [القصص: ٧٩]. ماذا كانت عقوبته لما اختال وافتخر.. والله لا يحب كل مختال فخور.. ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ** ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

ولو علم هذا الفخور بماله أنه سوف يُسأل يوم القيامة عن كل درهم أو دينار قد احتواه، وصار تحت يده، لما فعل ذلك.. قال النبي ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا**

أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[1].

المـال يـذهب حلـه وحـرامه ... طـرًا وتبقـى في غـير آثامـه
لـيس التقـى بمـتق لإلهـه ... حتـى يطـيب شرابـه وطعامـه
ويطـيب مـا يحـوى ويكـسب كفه ... ويكـون في حـسن الحـديث كلامـه
نطـق النبـي لـنا بـه عـن ربـه ... فعـلى النبـي صـلاته وسـلامه

ثم ليعلم هذا المختال الفخور بماله، أن الذي وهبه هذا المال هو الله عز وجل ملك الملوك ومالك الملك.. وأنه سبحانه قادر على أن ينزعه منه في لحظة واحدة كيفما شاء وقتما يشاء.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وإن كان هذا المختال الفخور بعلمه.. فهو على خطر عظيم، وشر جسيم.. لماذا؟ لأنه بذلك يكون عاصيًا، لأنه يعلم أن الله لا يحب المختال الفخور.. ويعلم أن الكبر والعظمة لا يليق إلا بالله، الذي ليس كمثله شيء.

والعلم كله لله العليم العلام.. ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقال لرسوله وحبيبه محمد ﷺ: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

ولما التقى كليم الله موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، رأى عصفورًا أو طائرًا أخذ بمنقاره من البحر، فقال له - أي لموسى عليه السلام -: «وَاللَّـهِ مَا عِلْمِى وَمَا عِلْمُكَ فِى جَنْبِ عِلْمِ اللَّـهِ، إِلاَّ كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْـبَحْرِ»[2].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي عن أبي برزة، وقال: حسن صحيح، ورواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (١٢٦)، و«صحيح الجامع» (٧٣٠٠).
(٢) رواه البخاري.

ثم لو علم هذا المختال الفخور بعلمه ما هو عليه من الخطر العظيم، ما افتخر ولا تكبر.. قال ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[1].

أحبتي في الله...

يقول النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[2].

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت - اعمل ما شئت كما تدين تدان. أو كما قال: ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. جعل شريعته محتوية على الهدى والشفا والنور، وأوصل من استرشد بكلامه وكلام رسوله إلى كل خير وسرور أحمده سبحانه على أوصافه الكاملة، وأسمائه الحسنى.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له في ألوهيته، ولا ربوبيته ولا نديد له في عظمته وكبريائه وأحديته.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا عبده ورسوله.. خير بريته، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه القائمين بحقوقه ونصرته، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب رسول الله ﷺ:

وإن كان سبب الاختيال والفخر والكبر هو الاجتهاد في الأعمال الصالحات، فالله ﷻ لا يقبل إلا من المتواضعين، ثم هو صاحب التوفيق إلى هذا العمل.. وكم من إنسان مزدري محتقر لكفره أو فسقه، فتح الله عليه باب التوبة والإنابة، فأقبل على الله فسعد بذلك، وبالعكس، فكم من إنسان عمل بعمل أهل الجنة زمنًا طويلاً، وفي آخر العمر يعمل بعمل أهل النار، فيموت، فيدخل النار، والعياذ بالله.. قال ﷺ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْـكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْـكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»** (١).

فمهما بلغ العبد من التقى والورع، والزهد، فهو في خطر عظيم، من سوء الخاتمة.. وكان الصالحون يعملون الأعمال الصالحة، ويقول أحدهم: يا رب، أقبل مني، فأهنأ نفسي، أم رددته عليَّ.. كانوا على وجل وخوف من أن لا يقبل منهم.

أخي الحبيب...

لا تـركنن إلى القـصور الفاخـرة　　　واذكـر عظامـك حـين تمسي ناخرة

وإذا رأيـت زخـارف الدنـيا فقـل　　　يـا رب إن العـيش عـيش الآخـرة

واعلموا أيها الأحبة في الله، أن الزمان لا يثبت على حال، كما قال الكبير المتعال: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة منصب.. وهكذا.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

واعلموا أن السعيد من لازم أصلاً واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله ﷻ، والتواضع على كل حال..

مـــا في الحـــياة بقـــاء	مـــا في الحـــياة ثـــبوت
نبنـــي البـــيوت وحـــتمًا	تـــنهار تلـــك البـــيوت
تمـــوت كـــل الـــبرايا	ســـبحان مـــن لا يمـــوت

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.. اللهمَّ إنا نسألك إيمانًا نهتدي به، ورزقًا حلالاً نكتفي به، ونسألك يا ربنا أن تقذف في قلوبنا محبتك، ومحبة كل عمل تحبه، واقطع رجاءنا عمن سواك، حتى لا نرجو إلا أنت.. اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من الصالحين، وتدخلنا في عبادك الصالحين واجمع بيننا وبين أنبيائك ورسلك، وعبادك المؤمنين عندك في الفردوس الأعلى.

اللهمَّ ألهمنا القيام بحقك.. وبارك لنا في الحلال من رزقك.. يا قاضي الحاجات، ويا مجيب الدعوات.. هب لنا ما سألناه.. وحقق لنا رجاءنا فيما تمنيناه.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم. واستغفروه يغفر لكم.. واشكروه يزدكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة والثمانون

إن الله لا يحب المسرفين

الحمد لله.. قدم من شاء بفضله.. وأخر من شاء بعدله.. لا يعترض عليه ذو عقل بعقله، ولا يسأله له مخلوق عن علة فعله.. هو الكريم الوهاب هازم الأحزاب.. ومنشئ السحاب.. ومنزل الكتاب.. ومسبب الأسباب وخالق الناس من تراب.. ليس له مثل ولا نديد.. وهو المبدئ المعيد.. الفعال لما يريد.. جل عن اتخاذ الصاحبة والولد.. ولم يكن له كفوًا أحد.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لعزته.. وخضع كل شيء لملكه.. واستسلم كل شيء لقدرته.. وسكن كل شيء لهيبته.. وأظهر كل شيء بحكمته.. وتصاغر كل شيء لكبريائه.. سبحانه..

هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن ليس العيون تراه

حجبته أسرار الجلال فدونه ... تقف الظنون وتخرس الأفواه

صمد بلا كفء ولا كيفية ... أبدًا فما النظراء والأشباه

سبحان من عنت الوجوه لوجهه ... وله سجود أوجه وجباه

ما كان يعبد من إله غيره ... والكل تحت القهر وهو إله

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا محمدًا عبد الله ورسوله.. نبي أعطاه الله صفوة آدم، ومعرفة شيث، وزهد يحيى، وحكمة لقمان، وصلاح إبراهيم، واستسلام إسماعيل، وصوت داود، وحلم يعقوب، وصبر أيوب وقوة موسى، وشفقة هارون، وجمال يوسف، وبشرى عيسى، ووضع لواء الحمد بين يديه، وأكثرت الملائكة من الصلاة والسلام عليه.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين.. صلاة تفتح لنا بها أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولي، ونعم النصير.

أما بعد...

أحبتي الكرام...

موعدنا في هذا اللقاء الإيماني المبارك، الذي يتجدد دائمًا بالإيمان مع كلام مولانا الرحيم الرحمن.. ومع درسنا اليوم في سلسلتنا «أناس لا يحبهم الله» مع المسرفين.

وقد ذكر هذا الصنف في القرآن الكريم صراحة في موضعين لا يحبهم الله:

الأول: في قوله ﷻ: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعۡرُوشَٰتٍ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

فالله ﷻ هو الذي أوجد لنا الحدائق والبساتين، فجعل منها ما هو مرفوع عن الأرض كالأعناب، ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائم على سوقه كالنخل والزرع، متنوعًا طعمه.. والزيتون والرمان متشابهًا منظره، ومختلفًا أكله.. فكلوا أيها الناس من ثمره إذا أثمر، وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم حصاده وقطافه.. ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في إخراج المال، فلا يأكل صاحب الزرع أكلاً يضر بالزكاة.. والإسراف في إخراج حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه، أو عائلته، أو غرماءه فكل هذا من الإسراف، الذي نهى الله عنه.. الذي لا يحبه الله.. بل يبغضه، ويمقت عليه.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن جريج، قال: نزلت في ثابت بن قيس ابن شماس، وجد نخلاً، فقال: لا يأتيني أحد اليوم إلا أطعمته، فأطعم حتى

ـسي، وليست له ثمرة، فأنزل الله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤١][1].

والثاني: في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا - أي المشركين - يطوفون بالبيت عراة، رجال والنساء، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، فأنزل الله هذه الآية[2].

قال ابن كثير رحمه الله: والزينة: اللباس، وهي ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جيد البزِّ والمتاع - فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد.

وقال السدي رحمه الله: كان الذين يطوفون بالبيت عراة، يحرمون عليهم الودك ما قاموا في الموسم، فقال الله ﷻ لهم: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ٣١][3].

ومعنى الآية: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحًا مشوهًا.

وكلوا واشربوا مما رزقكم الله من الطيبات، ولا تسرفوا في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي، والشره في المأكولات، الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترف، والتنوع في المآكل والمشارب، واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام.. فإنه لا يحب المسرفين.. بل إنه يبغضهم ويذمهم.

أحبتي الكرام...

الإسراف صفة من صفات الكافرين، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ [طه: ١٢٧].

---

(١) «الدر المنثور» (٤/ ١٤٥) للسيوطي.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٥).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٤٠٧).

وهو صفة من صفات الجبارين، الذين يملكون بأيديهم السلطة والمال، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣]. فما هو الإسراف؟ وما مظاهره؟ وما خطره؟

الإسراف هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وقد جاء القرآن الكريم على معان متقاربة ترجع جميعها إلى الأصل اللغوي، وهو التجاوز في الحد.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في فوائده: «إنَّ مجاوزة الحد في كل أمر - أي في أي شيء - يضر بمصالح الدنيا والآخرة، بل يفسد البدن أيضًا، إذ أنه متى زادت أخلاطه عن حد العدل والوسط، ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذ مطرد أيضًا في الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر والأكل، والشرب والجماع. والحركة والرياضة، والخلوة والمخالطة، وغير ذلك..»[1].

وقال إياس بن معاوية رحمه الله: ما جاوزت به أمر الله، فهو سرف.

الإسراف آفة من الآفات الخطيرة في هذا الزمان الذي نعيش فيه، وفي غيره ولقد قدم الإسلام للبشرية منهجًا متكاملاً، وتصورًا واضحًا عن طبيعة التصرف في جميع شئون الحياة، وبين بشكل واضح حدود الحلال والحرام فيها، ونهى عن الإسراف في شتى صوره، وإن أبشع صور الإسراف عندما يكون في معصية الله عز وجل، والتعدي على حدوده، فهو محرم بالإجماع..

قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقد سمى الله عز وجل قوم لوط عليه السلام بـ (المسرفين) قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١].

---

(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية (١٣٩) بتصرف يسير.

تي مجاوزون الحلال إلى الحرام، وإنما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث، لأن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان، وركب فيه شهوة النكاح، لبقاء النسل، وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة، وموضع النسل، فإذا عدل الإنسان عنهن إلى غيرهن من الرجال، فقد أسرف وجاوزوا عندي، لأنه وضع الشيء في غير محله وموضعه، الذي خلق له[1].

وقال عن جريمة القتل: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

قال الشنقيطي رحمه الله: نهى الله عن الإسراف في القتل، **وهو يشمل ثلاث صور**:

١ - أن يقتل اثنين أو أكثر بواحد، كما كانت العرب تفعله.

٢ - أن يقتل بالقتيل واحدًا فقط، ولكنه غير قاتله، لأن قتل البريء بذنب غيره، إسراف في القتل منهي عنه.

٣ - أن يقتل نفس القاتل لكن يمثل به، لأن زيادة التمثيل إسراف في القتل[2].

وهذا هو الحال اليوم مع أهل الجهل، حيث تنتشر أعمال الأخذ بالثأر، التي تتعارض مع أحكام الإسلام.

أحبتي الكرام...

إن من طبيعة النفس البشرية التوسع في النفقات المالية، والمبالغة في الاستهلاك، وهدر الأموال عند تحسن الأحوال، والشعور بالثراء واليسار، وقد صرح القرآن الكريم بأن من طبيعة الإنسان السرف عند الجدة، وتجاوز حدود القصد والاعتدال، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

(١) «تفسير الخازن» (٣/ ٦١).

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٤٥٥) للشنقيطي.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧].

ولتهذيب الإنسان وتربيته أمر الله ﷻ بالقصد في الأمور كلها، حتى في أمور العبادات كي لا يملها العبد، قال ﷺ: «الْـقَصْدَ الْـقَصْدَ تَبْلُغُوا»[١].

وضد القصد: السرف، ومن دعاء عباد الله الصالحين: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

والإسراف في الإنفاق منهي عنه، وقد سماه القرآن الكريم تبذيرًا، فقال: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: التبذير هو الإنفاق في غير حق، وأما الإنفاق في الحق فلا يعد تبذيرًا[٢].

وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحق، لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مُدًّا في غير حق كان مبذرًا[٣].

وقد يتساءل متسائل: لماذا ينهى الإسلام عن السرف في المال؟

فالجواب أنه ما كان ذلك إلا لأجل الحفاظ على الأموال والموارد، التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة، فهو يُسأل عن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه؟ والسرف يعارض حفظ المال، بل يتلفه ويؤدي إلى إفقار نفسه، ومن ثم إفقار أهل بيته وقرابته وأمته، والله تعالى كره لنا قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

إنَّ حفظ المال فيه حفظ الدين والعرض والشرف، ومن أجل ذلك قال الحكماء: من حفظ ماله، فقد حفظ الأكرمين: الدين والعرض.

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وهو جزء من الحديث.
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٩)، والطبري (١٧/ ٤٢٩).
(٣) المصدر السابق.

أحبتي الكرام...

إن الشريعة الإسلامية لم تحرم اكتساب الأموال ونماءها، والتزود منها، بل حضت على ذلك، ولكنها حرمت الطرق المحرمة في كسبها وإنفاقها، وإن من طرق المحرمة في إنفاقها السرف فيها، وإهدارها من غير حق، إما في سفر باذخ محرم، وإما في حفلة زواج باهظة الثمن، ولو تأملنا فيما ينفق من أموال على السفر في بلاد الكفر والفجور، لوجدناه يعدل ميزانيات دولة كاملة، وما ينفق علي حفلات العرس، التي يلقى فائض أطعمتها في النفايات، يساهم في إنقاذ الملايين ممن يموتون جوعًا، وفي كل عام يموت الآلاف من البشر جوعًا، فهل من حفظ المال هدره بأي طريقة؟ وهل من شكر الله تعالى على نعمته إنفاقه فيما يسخطه سبحانه وتعالى؟!

فاتقوا الله في أموالكم، واقتدوا بسلف الأمة، الذين لم يكن من هديهم الإسراف وتضييع الأموال، بل كانوا مقتصدين ينفقون أموالهم في الحق، ويحفظونها عن الإنفاق فيما لا فائدة فيه.

قال تعالى مبينًا صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال عنهم الحسن رحمه الله: كانوا في الرحال مخاصيب، وفي الأثاث والثياب مجاديب أي أنهم ما كانوا يهتمون بالتوسعة في أثاث البيت من فرش ووسائد وغيره.

أحبتي في الله...

وكما أنهم لم يكونوا مسرفين في إنفاق الأموال، لم يكونوا مسرفين في أكلهم ولا شرابهم، ولا ملبسهم، لأنهم علموا وفقهوا قول الله عز وجل: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وفهموا عن الرسول ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»[1].

قال علماؤنا: لو سمع بقراط هذه القسمة، لعجب من هذه الحكمة.

ويذكر أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان.

فقال له علي: لقد جمع الله ﷻ الطب كله في نصف آية من كتابنا، فقال له: ما هي؟

قال في قول ربنا ﷻ: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ٣١].

فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب؟

فقال عليٌّ: جمع رسول الله ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة.

فقال النصراني: ما هي؟ قال: المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء.

فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبًا[2].

وقد أخرج الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن أرطأة قال: اجتمع رجال من أهل الطب عن ملك من الملوك، فسألهم: ما رأس دواء المعدة؟

فقال كل رجل منهم قولاً، وفيهم رجل ساكت، فلما فرغوا قال: ما تقول أنت؟

قال: ذكروا أشياء، وكلها تنفع بعض النفع، ولكن ملاك ذلك ثلاثة أشياء: لا تأكل طعامًا أبدًا إلا وأنت تشتهيه، ولا تأكل لحمًا يطبخ لك حتى تنعم إنضاجه ولا تبتلع لقمة أبدًا، حتى تمضغها مضغًا شديدًا، لا يكون على المعدة في مؤونة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وحسنه وأحمد وابن ماجه وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٧٤)، و«صحيح الترغيب» رقم (٢١٣٥).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٢).

وقد أخرج ابن ماجه والبيهقي وابن مردويه عن أنس قال: «إنَّ من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت».

وأخرج أحمد في الزهد عن الحسن قال: دخل عمر بن الخطاب على ابنه عبد الله بن عمر إذا عندهم لحم، فقال: ما هذا اللحم؟ قال: اشتهيته.

قال: أو كلما اشتهيت شيئًا أكلته؟ كفى بالمرء إسرافًا أن يأكل كل ما اشتهى.

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، لا تأكل شبعًا فوق شبع، فإنك إن تنبذه للكلب خير من أن تأكله[1].

وأخرج أبو نعيم عن عمر بن الخطاب، قال: إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيها، فإنه أصلح للجسد، وأبعد من السرف، وأن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإنَّ الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

أحبتي الكرام...

ومن الإسراف المذموم التباهي في الملابس الفاخرة، والمراكب الفخمة، والبيوت المزخرفة، والمبالغة في إقامة الحفلات والولائم بالتكاليف الباهظة.. كل ذلك من الإسراف والتبذير.

وإن الإسراف في الملذات، والإكثار من تناول المشتهيات، والتوسع في مطالب الحياة، وكثرة الراحة، واستعمال الرقيق من الثياب، والفرش والمراكب، مما تزخر به حياة المسرفين المبذرين، سيكون ذلك حسرة ووبالاً عليهم يوم القيامة.. قال ﷺ: «**إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِى مَالِ اللَّـهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**»[2].

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٥).

(٢) رواه البخاري.

وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤٣].

ويقول الحبيب النبي ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»[1]. أو كما قال.. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. إله الأولين والآخرين.. وولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وشفيع المذنبين.. اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

أيها المسلمون.. عباد الله...

إن الإسراف داء فتاك يهدد الأمم والمجتمعات، ويبدد الأموال والثروات، وهو سبب للعقوبات والبليات العاجلة والآجلة، وقد ذم الله تعالى أهله وتودعهم في كتابه، قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٥].

قال ابن كثير رحمه الله: كانوا في الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم.

فاحذروا عباد الله من الإسراف والتبذير في أي شأن من شئون الحياة واتقوا الله عباد الله، فإن الله عز وجل سائلكم عن هذا المال: من أين اكتسبتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ قال الحبيب النبي ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ

---

(١) سبق تخريجه.

كَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[١].

فأنفقوا الأموال في حلها، وفي مواضعها.. ولا تبذروا ولا تسرفوا وإنما عليكم ـحوانكم الفقراء المحتاجين.

عباد الله...

هل من معاني الإخوة في الدين أن تستمتع بما أعطاك الله فيما حُرِّم عليك؟ ـنت ترى مآسي إخوانك المسلمين؟! ولو لم يوجد مسلم على وجه الأرض يحتاج ـ جزء من مالك يسدُّ رمقه ويبقي على حياته لما حَسُن بك أن تهدر مالك في غير ـع، فكيف والمسلمون في كل يوم يموت منهم العشرات بل المئات من جراء ـتجويع والحصار والحرمان؟!

إن عدم الاهتمام بذلك قد يكون سببًا للعقوبة وزوال الأموال، وإفقار الناس! حتى يتمنوا ما كانوا يُلقون بالأمس في النفايات - عياذًا بالله - وكم يمر بالناس ـن عبر في ذلك ولكن قلَّ من يعتبر!

فكم من أسر افتقرت من بعد الغنى؟!

وكم من دول بطرت شعوبها وأسرفت على نفسها فابتلاها الله بالحروب ـلفتن التي عصفت بها، فتمنى أفرادها بعض ما كانوا يملكون من قبل؟! ـلتاريخ مليء بأحداث من هذا النوع.

فالمعتَمَد بن عبَّاد رحمه الله كان من ملوك الأندلس، ويملك الأموال الطائلة، ـلقصور العظيمة، ولما اشتهت زوجته وبعض بناته أن يتخوَّضن في الطين أمر ـلعنبر والعود فوضع في ساحة قصره، ورُشَّ عليه ماء الورد وأنواع من الطيب، ـوعُجن حتى صار مثل الطين ؛ فتخوَّضت فيه أسرته المترفة، وما ماتت تلك

---

١) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح عن أبي برزة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٩٩)، و«صحيح الترغيب» (١٢٦).

الأسرة المترفة حتى ذاقت طعم الفقر وألم الجوع، إذ استولى «يوسف بن تاشفين على مملكة ابن عباد، وكان النسوة اللائي تخوضن في العود والعنبر لا يجدن مـ يأكلن إلا من غزل الصوف بأيديهن الذي لا يسد إلا بعض جوعهن.

وهذا أبو عبد الله الزغل من آخر ملوك غرناطة الأندلسية باع أملاكه فيها بعـ أن استولى عليها النصارى، وحمل مالاً عظيمًا قُدِّر بخمسة ملايين من العمـ المعروفة آنذاك. ورحل إلى إفريقيا، فقُبض عليه وصودرت أمواله، وسُملت عينيه، ورمي في السجن بسبب بيعه غرناطة للنصارى وتخليه عنها، ولما خرج مـ السجن لم يجد من يطعمه ويؤويه، فأخذ يستعطي الناس في الأسواق، ويطوف وعلى ثيابه رق غزال مكتوب عليه: «هذا سلطان الأندلس العاثر المجد» لعل مـ يراه يرحمه ويعطيه بعض المال.

لقد أبان لنا التاريخ عاقبة المسرفين كانت ذلاً وخسرًا؛ فواجب علينا أن لا نطغى إذا أُعطينا، بل نشكر المنعم سبحانه بتسخير نعمه لطاعته والاقتصاد في الإنفاق؛ فذلك خير لنا في الدنيا والآخرة، وهو سبب حفظ المال.

اللهم اجعل عملنا في رضاك خالصًا لوجهك الكريم.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلمه، ونستغفرك اللهم مما لا نعلم. اللهم طهِّر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب. وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين، وأرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

اجمع شملنا، وحِّد صفنا، أصلح ولاة أمورنا، انصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين، آمنا في أوطاننا.

أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك، يـ رب العالمين.

انصر المجاهدين في سبيلك، الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك.

انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، قوِّ عزائمهم.. واربط على قلوبهم، وثبت الأقدام.. يا ربَّ العالمين.

اللهم هيئ لهم من أمرهم رشدًا، وهيئ لهم من أمرهم مرفقًا.

اللهم عليك بأعداء الملة والدين من النصارى واليهود الغاصبين ومن شيوعيين والوثنيين والمنافقين، اللهم اشدد وطأتك عليهم إنهم لا يخفون عليك يـ قوي يا عزيز، يا عليم يا خبير.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإلا تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وأقم الصلاة.



الخطبة السادسة والثمانون

إن الله لا يحب الخائنين

الحمد لله.. البالغ أمره.. النافذ حكمه.. كتب على نفسه الرحمة فقال: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

سبحانه سبحانه.. هو أول كل شيء ووليه.. كل شيء خاضع له.. وكل شيء قائم به.. وكل شيء ضارع إليه.. وكل شيء مستكين له.. خشعت له الأصوات.. وكلت دونه الصفات.. وضلت دونه الأوهام.. وحارت دونه الأحلام وانحسرت دونه الأبصار.

أحمده كما حمد نفسه، وكما حمده الصالحون من خلقه، سبحانه لا نحصي ثناء عليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. قوة كل ضعيف.. ومفزع كل ملهوف.. وعز كل ذليل.. وولي كل نعمة.. وصاحب كل حسنة.. وكاشف كل كربة.. المطلع على كل خفية.. المحصي كل سريرة.. استسلم كل شيء لقدرته.. وسكن كل شيء لهيبته.. وأظهر كل شيء بحكمته.. وتصاغر كل شيء لكبريائه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد طب القلوب ودواؤها.. وعافية الأبدان وشفاؤها.. ونور الأبصار وضياؤها.. سيدي يا رسول ..

يا داعيًا للواحد الديان   يا هازمًا للبغي والطغيان

يا رافعًا صوت العدالة عاليًا   ومؤذنًا في الناس بالقرآن

صلى عليك الله يا علم الهدى.. يا رسول البر والتقى والإحسان، اللهمَّ صلِّ عنيه ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.. اللهم صلِّ عليه عدد قطر لأمطار.. وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أطلع عليه الليل وأشرق عليه النهار.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب الحبيب المصطفى ﷺ...

في بداية لقائنا هذا أوصيكم بتقوى الإله.. فبتقوى الله ﷻ يصبح المسلم كريمًا عند الله الكريم، ويصبح عظيمًا عند الله العظيم.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

التقوى نسب لا ينقطع يوم تنقطع الأنساب، وتضيع القرابات، يوم يتبرأ لقرناء بعضهم من بعض، ويتعادى الأخلاء.. يقول سبحانه: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

تقوى الله طاردة للحزن والخوف في الدنيا والآخرة: ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

ألا وتزودوا، فإن خير الزاد التقوى، وإنَّ الدنيا ممر، وإنَّ الآخرة هي دار لمستقر، فتزودوا لمقركم من ممركم، ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا وإن سلعة الله غالية.. ألا إن سلعة الله الجنة.

أحبتي في الله...

وما زال اللقاء موصولاً مع «أناس لا يحبهم الله»، واليوم نتحدث عن صنف من أولئك الذين أبغضهم الله ﷻ، وهم «الخائنون» قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

إنَّ الله ﷻ يخاطب قائد الأمة وإمامها الأعظم، ورسولها الأكرم فيقول له: إذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترك القتال، فخفت منهم خيانة، بأن ظهر

من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة، فانبذ إليهم عهدهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم، حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك.. فالله لا يحب الخائنين بل يبغضهم أشد البغض.. والآية الكريمة إن دلت على أن لها سبب نزول.

لكن كما يقول العلماء: العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. فقد ذكر أصحاب السنن عن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية وبين الروم عهد، فكان يسير في بلادهم، حتى إذا انقضى العهد، أغار عليهم، وإذا رجل على دابة، أو على فرس، وهو يقول: الله أكبر.. وفاء لا غدر.. الله أكبر، وفاء لا غدر، فإذا هو عمرو ابن عبسة السلمي، فقال له معاوية: ما تقول؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلاَ يَحُلَّنَّ عُقْدَةً، وَلاَ يَشُدَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**»[1]. قال: فرجع معاوية بالناس.

وهؤلاء الذين تحدثت عنهم الآيات قوم جمعوا بين خصال ثلاث: الكفر. وعدم الإيمان، والخيانة.. فهم لا يثبتون على عهد عاهدوه، ولا قول قالوه، فهم عند الله تعالى.. شر من الدواب.. شر من الحمير والكلاب، لأن الخير معدوم منهم والشر متوقع فيهم.

أحبتي في الله...

إنَّ أمتنا الإسلامية في هذه الآونة تمر بمحن عصيبة، ونوازل شديدة، ونكبات متلاحقة، سببها تعرضها لخيانات متعددة، تارة من الأعداء، الذين ينقضون العهود والمواثيق.. وتارة - وهو أشد وأعظم - من أهلها.. ولذا قال الشاعر:

يخادعني العدو فلا أبالي وأبكي حين يخدعني الصديق

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والترمذي، وقال: حسن صحيح، ورواه أبو داود وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٨٠)، والصحيحة (٢٣٥٧).

إنَّ الخيانات كلها مريرة وقاسية، لكنها تكون أشد قسوة إذا خانك من تتوقع منه أن يعينك ويساعدك.

ولذلك فإن الله تعالى نهانا عن الخيانة، فنادى علينا بنداء الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

الخيانة أمر مذموم في شريعة الإسلام تنكرها الفطرة، وتمجها الطبيعة السوية، ولا تقبلها حتى الحيوانات العجماوات.

الخيانة كلمة تجمع كل معاني السوء الممكن أن تلحق بإنسان، فهي نقض لكل ميثاق أو عقد بين إنسان وخالقه أو إنسان وإنسان أو بين الفرد والجماعة.

وقد قرن الله جل وعلا بين الخيانة والكفر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨].

وحكم الله بعدم هدايتهم فقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٢].

والخيانة من سمات أهل النفاق، فالخائن بالضرورة منافق، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟! قال الحبيب النبي ﷺ: «آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ»[١].

وأشد الناس فضيحة يوم القيامة على رؤوس الأشهاد هم الخائنون لحديث المصطفى ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ»[٢].

وهذا الخائن وإن اندسّ بين الناسَ في الدنيا وعرف كيف يرتّب أموره بحيث لا يُفتضح أمام الناس فأين يذهب يوم القيامة؟!

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من الخيانة كما روى أبو داود أنه كان يقول: «**اللَّـهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْـبِطَانَةُ**»[1].

الخيانة مذمومة حتى مع الكفار، حتى مع الخونة، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»[2].

جاء عثمان بن عفان بعبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ قد أهدر دمه، فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففتُ يدي عن بيعته فيقتله؟!» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك، قال: «**إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ**»[3].

فالمصطفي - عليه الصلاة والسلام - لم يرضَ أن يتَّخذ الخيانة وسيلة حتى في حقِّ كافر محارب لله ورسوله، فما مدى جرم أولئك الذين لا تكون خيانتهم إلا في مسلمين؟! كيف بالذين لا تكون خيانتهم إلا في حق المؤمنين الموحدين، لا يرقبون فيهم إلًّا ولا ذمة؟!

وبالخيانة أسقطت الخلافة الإسلامية، وكانت هذه الخلافة رمزًا لتجمع شتات المسلمين، فتفرقت الأوطان وتمزقت بلدان المسلمين وأقاليمهم وأقام أعداؤنا في كلّ موطن وإقليم سلطانًا مواليًا لنفوذهم، ينفذ سياستهم بالترغيب

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٤٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والحاكم وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» رقم (٤٣٥٩)، ومختصرًا في «صحيح الجامع» رقم (٢٤٢٦).

والترهيب والحماية، ثم عمدوا إلى مناهج التربية والتعليم فصبغوها بصبغتهم في الإلحاد والكفر، وأسسوا أجيالاً من أبناء المسلمين، يعادون دينهم، ويتنكرون لتاريخهم وأمتهم، ثم عمدوا إلى الدين فحصروه في نفوس أتباعه، وضيقوا الخناق عليه في كل مكان، واضطروا أهله إلى النجاة بأنفسهم أو تحمّل صنوف العذاب والبلاء بسلاح الخيانة تجرعت الأمة بسببه المرارات، وعن طريقه فقدت الأمة أعظم قادتها وخلفائها ممن أعجزوا أعداءها على مر التاريخ والعصور فالرسول سَمَّته يهود، وعمر قتله أبو لؤلؤة المجوسي، وعثمان قتلته يد الغدر، وعلي وغيرهم ممن أغاظوا أعداء الله وأذاقوهم صنوف العذاب والهوان في ساحات النزال وفي بئر معونة قُتِلَ سبعون من خيار الصحابة، لأجل هذا جاء التحذير من الخيانة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

عباد الله...

والخيانة أنواع: خيانة العقيدة: وعقيدتنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وللعقيدة نواقض كما أن للوضوء نواقض، ونواقض العقيدة أن تستحل ما حرّم الله أو أن تنكر أمرًا أمر الله به قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ ﴾ [التحريم: ١٠]. والخيانة هنا هي خيانة الدين لا الفاحشة.

قال ابن كثير: إن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء.

قال ابن عباس: كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأما

امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، وصلة الزوجية لم تنفع ولو كانت مع نبي للحديث: «يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت فإني لن أغني عنك من الله شيئًا، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1].

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

خيانة الأعراض: وقد حرم الله الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وللحديث: «**ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة يضعها رجل في رحم لا يحل له**»[2].

وجاء فتى إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّـهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا.

فَأَقْبَلَ الْـقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ.

فَقَالَ: «**ادْنُهْ**». فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً. فَجَلَسَ. قَالَ: «**أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟**».

قَالَ: لاَ، وَاللَّـهِ جَعَلَنِي اللَّـهُ فِدَاكَ.

قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**».

قَالَ: لاَ، وَاللَّـهِ يَا رَسُولَ اللَّـهِ جَعَلَنِي اللَّـهُ فِدَاكَ.

قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟**».

قَالَ: لاَ وَاللَّـهِ جَعَلَنِي اللَّـهُ فِدَاكَ.

قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٧٣).

قَالَ: لاَ وَاللَّـهِ جَعَلَنِي اللَّـهُ فِدَاكَ.

قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ**». قَالَ: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**».

قَالَ: لاَ، وَاللَّـهِ جَعَلَنِي اللَّـهُ فِدَاكَ.

قَالَ: «**وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ**».

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّـهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**». قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْـفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ»[١].

ومن الخيانة في الأعراض النظرة الحرام قال تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٩].

قال ابن عباس: هذا الرجل يدخل على أهل بيت وفيهم امرأة حسناء فإذا غفلوا نظر إليها، وإذا فطنوا غض بصره، والديوث محروم من الجنة وهو الذي يرى الخبث في أهله ويسكت للحديث ثلاثة لا يدخلون الجنة: الديوث، والعاق لوالديه، ورجلة النساء»[٢].

وخيانة الشخصية: وخيانة الشخصية الإسلامية تتضح في أكثر من صورة منها:

أن يكيف دين الله لنفسه ولا يكيف نفسه لدين الله لحديث: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّـهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا**». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّـهِ انْتَهَكُوهَا**»[٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده وغيره وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد والنسائي وأبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن ثوبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٧٤)، و«الصحيحة» رقم (٥٠٥).

خيانة الإخوة: فقد قال الله تعالى في وصف أصحاب الحبيب: ﴿ **أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩]. فنكون على عكس هذه الصورة، قوتنا على إخواننا ومحبتنا لأعدائنا.

وخيانة في المشاعر: لحديث: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[١]. فتراه يحزن ويتألم إن فقد درهمًا ولكنه لا يحزن أبدًا ولا يتأثر على مصائب المسلمين في العالم.

وخيانة الكسب: والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه فلا غش ولا خداع، ولا كذب، وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**». قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّـهِ. قَالَ: «**أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّى**»[٢].

وخيانة الوطن: وذلك بأن يكون مطية لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم وما فيها من دمار للبلاد والعباد، أو دليلاً لهم على عوراتها، والعرب قبل الإسلام كانت ترى في خيانة الوطن جرمًا يستحق صاحبه فيه الرجم وقد جاء في سيرة ابن هشام رحمه الله أن أبرهة بنى كنيسة وأراد أن يصرف العرب إليها فذهب إليها رجل من العرب وأحدث أي تغوط وبال فعزم أبرهة على هدم الكعبة وسير لذلك جيشًا وخرج معه بالفيل حتى وصل الطائف فخرج إليه مسعود بن متعب فقال له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ونحن نبعث معك من يدلك فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة وفي الطريق مات أبو رغال فرجمت العرب قبره. فهو قبره الذي يرجم الناس بالمغمس[٣].

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني عن أبي ذر، وضعفه الألباني.

(٢) رواه مسلم وأحمد والطبراني في «الكبير»، و«الأوسط» والبزار وابن ماجه.

(٣) «تهذيب السيرة» لابن هشام (١٦).

وكذا ابن العلقمي لعنه الله وقد كان دليلاً لهولاكو على عورات بغداد وتدمير دولة الإسلام فلعنة الله على الخائنين في كل زمان ومكان.

وخيانة الذمة والعهد: وذلك بالغدر فيمن دخل في جوارك أو بلدك وتذكر لنا كتب السيرة موقفًا للنجاشي رحمه الله وقد اشتد الأذى بأصحاب رسول الله ﷺ قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه، فخرج ثلاثة وثمانون رجلاً، فأرسلت قريش من يأتي بهم وهما عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وأعطوا كل قسيس هدية ولما دخلوا على النجاشي وقدما الهدايا فقبلها منهما ثم قالا: أيها الملك إنه قد أوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت فقال لهم النجاشي: لا والله لا أسلمهم وقد جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، ولما علم وفد قريش أن الهدية لم تفعل فعلها قالا: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا: فأرسل إليهم الملك وسألهم فقرأ جعفر بن أبي طالب سورة مريم: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مريم: ٣٤، ٣٥].

وبكى النجاشي وقال: إن هذا والذي جاء به عيسى عليه السلام يخرج من مشكاة واحدة. ثم أمر فردت الهدايا فخرجا مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به[(١)].

هذا موقف سيبقى مثلاً كريمًا يحتذى به في الوفاء والرجولة وأما مواقف الغدر والتعاون على إيذاء المؤمنين وإخراجهم من مأمنهم فمثل هذه المواقف الخانعة المهينة لأعداء الله سيجد أصحابها مقت الله وعذابه في يوم ليس لهم من دون الله عاصم.

---

(١) «تهذيب سيرة ابن هشام» (ص٧٢، ٧٣) بتصرف.

أحبتي في الله...

يقول الحبيب النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة، قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**»[1].

أو كما قال: البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.. و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، ورب العالمين.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام الموحدين، وقائد الغرِّ المحجلين، وشفيع المذنبين يوم الدين، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب رسول الله ﷺ . .

لماذا الخيانة؟

أن يكون العبد عبدًا للدرهم والدينار والنساء والمناصب ومثل هذه له ثمن فيسهل على أعداء الله شراؤه وللحديث: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ**»[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة.

أي هلك من كانت عبوديته لغير الله سبحانه، كالمال والكساء وكلها إلى فناء.

أن يكون قد فقد الحياء من الله ومن الناس وللحديث: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»[1].

وما أثر الخيانة؟

لا يأمن أحد أحدًا حيث تترحل الثقة والمودة الصادقة فيما بين الناس فيحذر كلُّ أحد كلَّ أحد، وقد جاء في الآثار: «لا تقوم الساعة حتى لا يأمن المرء فيه جليسه».

ينقطع المعروف فيما بين الناس مخافة الغدر والخيانة ومن قصص العرب أن رجلاً كانت عنده فرس معروفة بأصالتها، سمع به رجل فأراد أن يسرقها منه واحتال لذلك بأن أظهر نفسه بمظهر المنقطع في الطريق عند مرور صاحب الفرس فلما رآه نزل إليه وسقاه ثم حمله وأركبه فرسه فلما تمكن منه أناخ بها جانبًا، وقال له: الفرس فرسي وقد نجحت خطتي وحيلتي.

فقال له صاحب الفرس: لي طلب عندك، قال: وما هو؟ قال: إذا سألك أحد كيف حصلت على الفرس؟ فلا تقل له: احتلت بحلية كذا وكذا، ولكن قل: صاحب الفرس أهداها لي.

فقال الرجل لماذا؟

فقال صاحب الفرس: حتى لا ينقطع المعروف بين الناس فإذا مر قوم برجل منقطع حقيقة يقولون: لا تساعدوه لأن فلانًا قد ساعد فلانًا فغدر به، فنزل الرجل عن الفرس وسلمها لصاحبها واعتذر إليه ومضى.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٣٠).

وما موقف المسلم من الخيانة؟

أن تربى القلوب على مخافة الله وخشيته: مر عمر يتفقد رعيته ليلاً فيسمع امرأة تقول لابنة لها: اخلطي الماء باللبن، فقالت البنت: لقد نهانا عمر عن ذلك فقالت أمها: وما يدري عمر: قالت البنت: إن كان عمر غائبًا فإن ربه حاضر، تقع هذه الكلمة في قلبه فيجمع ولده ويعزم على أحدهم أن يتزوج هذه الفتاة فيتزوجها ولده عاصم فيكون من ولده عمر بن عبد العزيز الذي ملأ الدنيا عدلاً.

أن نجتنب المعاصي من مبدئها ولا ندعها حتى تستفحل فيصعب درؤها كما يقول ابن القيم رحمه الله: المعاصي مبدؤها خاطرة فإن لم تدفعها صارت وسوسة فإن لم تدفعها صارت فكرة فإن لم تدفعها صارت إرادة فإن لم تدفعها صارت عزمًا فإن لم تدفعها صارت عملاً: «إياكم ومحقرات الذنوب، قالوا: وما محقرات الذنوب؟ قال: أرأيتم لو أن قومًا أرادوا أن يشعلوا نارًا فجاء هذا بعود، وهذا بعود، وهذا بعود، فاجتمعت فأصبحت نارًا عظيمة»[1].

يقول ابن القيم رحمه الله:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وأن تعلم أن البقاء في هذه الدنيا قليل للحديث: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ**»[2].

وما قيمتها أمام: خالدين فيها أبدًا والدنيا ساعة فاجعلها طاعة فلم الخيانة ولم الكذب.

---

(١) حسن: رواه أحمد والطبراني عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٨٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٣)

تأمل معي قول الشاعر في وصف الدنيا وقصر نعيمها:

أذان المـرء حين الطفل يأتي ... وتأخير الصلاة إلى المـمات

دليل أن محـياه يسير ... كما بين الأذان إلى الصلاة

أي الأذان في أذن الصبي عند الولادة، والصلاة على الميت عند موته دليل أن مكوثه هو ما بين الأذان إلى الصلاة، فما أحقرها من دنيا، وما أهونها.

اللهمَّ يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، يا من قدر الأمور، ودبر الدهور، وعليه يتوكل المتوكلون، أقل العثرة، واغفر الذلة، وجد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يقصد سواك.. اللهمَّ هب لنا فرجًا قريبًا، وصبرًا جميلاً، وكن لنا ولا تكن علينا، وامكر لنا، ولا تمكر بنا، وتول أمرنا، وأحسن ختامنا.

اللهمَّ اجعلنا أغني خلقك بك، وأفقر عبادك إليك، وهب لنا غنًى لا يطغينا، وصحة لا تلهينا، واغننا اللهمَّ عن من أغنيته عنا.. اللهمَّ آنس وحشتنا في القبور، وأمن فزعنا يوم البعث والنشور.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.



الخطبة السابعة والثمانون

(إن الله لا يحب المستكبرين)

الحمد لله رب العالمين.. المحمود على كل حال.. الذي يستفتح بحمده كل أمر ذي بال.. خلق الخلق لما شاء.. فسيرهم على وفق علمه وإرادته ومصرفهم بمقتضى القبضتين.. فمنهم شقي وسعيد.. فهداهم النجدين.. فمنهم قريب وبعيد.. ومسويهم على قبول الإلهامين.. ففاجر وتقي، كما قدر أرزاقهم على حكم الطرفين.. غني و فقير.

أحمده فهو بالحمد أولى.. وأشكره فهو بالشكر أحرى.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. إله الأولين والآخرين.. وقيوم السموات والأراضين.. ومالك يوم الدين.. الذي لا فوز إلا في رضاه وطاعته.. ولا عز إلا في التذلل لعظمته.. ولا غنى إلا في الافتقار إلى رحمته ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره.. ولا حياة إلا في رضوانه.. ولا نعيم إلا في قربه.. ولا فلاح ولا نجاح إلا في الإخلاص له.. إذا أطيع شكر.. وإذا عصى تاب وغفر.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا.. ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد.. عبد الله ورسوله.. نبي الرحمة.. وكاشف الغمة.. الذي نسخت شريعته كل شريعة.. وشملت دعوته كل أمة.. فلم يبق لأحد حجة دون حجته فالسالك سبيلها معدود في الفرقة الناجية.. والناكب عنها معدود في الفرقة المقصرة.. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين اهتدوا بشمعته المنيرة، واقتفوا آثاره اللائحة.. وأنواره الواضحة وضوح الظهيرة.. وعلى التابعين لهم.. والسالكين طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون.. أحباب رسول الله ﷺ...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا اليوم المبارك، ونحن موحدون، وعلى ملة الإسلام سائرون.. ولسنة حبيبنا ﷺ متبعون، أن يقبضها على التوحيد، ويحشرنا يوم القيامة مع إمام الموحدين، وشفيع المذنبين، وحبيب الحق أجمعين.

أحبتي في الله...

ونحن اليوم على موعد بلقاء، وما زال لقاؤنا موصولاً مع أناس لا يحبهم الله، فمع أي صنف نعيش اليوم؟

هيا بنا لنعيش في هذه اللحظات المباركة مع الدستور القويم، مع القرآن الكريم، وهو يوضح لنا أن ربنا ﷻ لا يحب المستكبرين.

قال تعالى: ﴿ **إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾** ﴾ [النحل: ٢٢، ٢٣].

فمن هم المستكبرون؟ وما هو جزاء وعقوبة المستكبرين عند الله ﷻ؟

وما موقف المؤمن من هذا الخلق الذميم؟

المستكبرون هنا هم الذين لا يؤمنون بالآخرة، هم الذين يستكبرون عن عبادة الخالق جل في علاه.. هم الذين يتعالون على خلق الله.

إنهم الذين ينكرون وحدانية الله ﷻ، ولا يعترفون بها، ولا بالآيات الدالة عليها، مع ظهورها ووضوحها.. وهم كذلك مستكبرون عن الإيمان بالرسول الأعظم، والنبي الأكرم ﷺ وقد أسند الله ﷻ الإنكار إلى القلوب، لأنها محله، وهو أبلغ من إسناده إليهم ﴿ **قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [النحل: ٢٢].

قلوبهم منكرة لوحدانية الله جل في علاه.. ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

الله ﷻ هو الإله الواحد الشاهد، ولا إله غيره.. ولا رب سواه.

انظر إلى النهر ومياهه تجري.

يا صاح هل تدري من الذي أجراه؟

الله الواحد هو الذي أجراه.

انظر إلى الزهر وطيبه يسري.

يا صاحِّ هل تدرس من ذا الذي أسقاه؟

الله الواحد هو الذي أسقاه.

انظر إلى الطير تراه كالدر.. يا صاح هل تدري من ذا الذي سواه؟!

الله الواحد الأحد هو الذي سواه.

كيف تنكر قلوبهم الإله.. وكل شيء في هذا الوجود شاهدٌ على وحدانيته؟!

قال ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: إلهي، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر كل شيء؟!

كيف يُتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء؟!

كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود شيء؟!

لما سئل الأعرابي الذي يعيش في الصحراء عن الدليل على وجود الإله، قال: إنَّ السير يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير.. فأرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج.. أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟! كيف يستكبرون على الحق وهو ظاهر وواضح.

فسبحانك.. سبحانك.. يا صاحب العظمة والكبرياء.. يا رافع السماء بلا عمد.. يا من يحار الفهم في قدرتك..

يا من يحار الفهم في قدرتك   وتطلب النفس حمى طاعتك

تخفى عن الناس سنا طلعتك   وكل ما في الكون من صنعتك

أحبتي في الله...

المتكبرون هم الذين يرون الحق ولا ينقادون له، ولا يعترفون به.. لماذا؟ لغرورهم وحقدهم.. قال ﷺ: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[1].

قال النووي رحمه الله: بطر الحق - أي دفعه وإنكاره، ترفعًا وتجبرًا.

وغمط الناس أي استحقارهم وازدراؤهم وتعييبهم.

كيف يترفع عن الخلق ويحتقرهم وهو مثلهم، أو أقل منهم.. كيف وهو مخلوق من ماء مهين حقير.. كيف يتكبر، وكيف يغتر، وأوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو مع هذا وذاك يحمل العذرة؟!

جاء أبي بن خلف لعنه الله، وأراد أن يتحدى رافع لواء التوحيد محمدًا ﷺ

(١) رواه مسلم.

فجاء بقطعة من عظام الموتى، وفركها بين كفيه، ونفخها، وقال للرسول: يا محمد، أترى أن ربك يحيي هذا بعدما رم وبلي.. قال له: نعم ويبعثك، ويدخلك النار.. وإذا بسفير الأنبياء، وكبير أمناء وحي السماء.. يجوب الآفاق، ويطوي بأجنحته السبع الطباق.. وينزل بقرآن يتلى إلى يوم القيامة.. ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩].

ابن آدم...

ابن آدم... إذا غرتك قوتك.. فَلِمَ استحكمت فيك شهوتك؟!

إذا غرك غناك فارزق عباد الله يومًا واحدًا.

كان الحسن بن علي رضي الله عنه يقول: عجبت للمتكبر الفخور، الذي كان بالأمس نطفة، ثم هو غدًا جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الله، وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء، وترك دار البقاء.

أيها المسلمون.. عباد الله...

إنَّ الكبر إذا حل في قلب إنسان، فلا مكان فيه لأنوار الهداية الربانية، فأنى لأنوار الهداية أن تتسرب إلى ذلك القلب، وصاحبه مملوء قسوة وطغيانًا وتجبرًا وتبطرًا.

ومولانا عز وجل صاحب العظمة والكبرياء يقول: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥]. والكبر إذا حلّ بأرض القلب، حول حال صاحبه إلى أغرب حال.

فإنه يرى الحق ويعلمه، بل ويرى أنوار الحق تتلألأ.. يراها ساطعة كالشمس، لكنه لا يهتدي بها.. ولا يتبعه.. لماذا؟ لأن الكبر يغلبه، والعناد والتجبر يجره إلى

الهلاك والضلال المبين.. فهذا عمرو بن هشام - المشهور بأبي جهل - أحد سادات قريش، وطغاتها المتكبرين المتغطرسين.. وهو يعلم مثل غيره من كفار مكة أن رسولنا ﷺ لا يكذب.. إنما هو الصادق الأمين.

لقد رأى مثل غيره الآيات والمعجزات التي صاحبت النبي الكريم ﷺ بل قد سمع القرآن الكريم من فم النبي ﷺ العظيم، وكان يستعذب سماعه ويتسلل ليلاً إلى بيت النبي ﷺ دون أن يشعر به أحد، ومع ذلك كفر وتجبر، وعاند وتكبر.

لقد كانوا يتسللون إلى بيت النبي ﷺ ليلاً يستمعون القرآن من رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي، فيقعد كل واحد منهم في مكان لا يعلم به صاحبه، ولا يشعر كل واحد منهم بالآخر، فعلوا ذلك ثلاث مرات، ثم لما انصرفوا في الثالثة، وتعاهدوا على أن لا يعودوا مرة أخرى، ذهب الأخنس الثقفي إلى أبي سفيان في بيته، فقال له: يا أبا سفيان، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال أبو سفيان: لقد سمعت شيئًا ما سمعت مثله قط، ثم ذهب الأخنس إلى عمرو بن هشام - المكنى بأبي جهل - في بيته، فقال له: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال أبو جهل: والله لقد نازعنا بنو عبد مناف الشرف، فأطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تساوينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منّا نبي، يأتيه الوحي من السماء، فكيف ندرك نحن بني مخزوم مثل هذه؟

والله لا نطيعه، ولا نؤمن به أبدًا.. فأنزل الله ﷻ إلى رسوله وحبيبه ﷺ قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة.. ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

تأملوا هذا الكبر في قلب أبي جهل، إنه يعلم صدق النبي ﷺ ويعلم أن القرآن حق، وأن الوحي من السماء حق.. ولكنه الحسد والكبر والعناد.. مما جعله

يقول يومًا للنبي ﷺ: واللات والعزى لئن رأيتك بعد اليوم تصلي لأطأن رأسك بقدمي هذا.. ولكن رسول الله ﷺ ما كان يخشى أحدًا إلا الله.. فكان يصلي في ثقة ويقين.. فتوجه إلى النبي ﷺ وهو ساجد ليطأ رأسه، ولكنه سرعان ما رجع مسرعًا مذعورًا.. فسألوه عن ذلك، فقال: لقد رأيت بيني وبين محمد خندقًا فيه نارٌ عظيمة، ورؤوس وأهوال.

وقال النبي ﷺ معلقًا على ذلك: «**لَوْ دَنَا مِنِّى لاَخْتَطَفَتْهُ الْـمَلاَئِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». وأنزل الله ﷻ قرآنًا.. ﴿ **كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢** ﴾ [العلق: ٦ - ١٢].

وأبو جهل هذا مثل سلفه من أنصار الباطل وأعوان الشر في كل عصر ودهر.. إنه مثل سيده إبليس اللعين الذي كان أعبد أهل زمانه، وكان يعبد الله مع الملائكة المقربين.. لكن عندما أمره الله تعالى بالسجود لأبينا آدم عليه السلام، ماذا فعل؟

لقد ردَّ على مولاه قائلاً: ﴿ **قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ** ﴾ [ص: ٧٦].

وفي موضع آخر: ﴿ **ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** ﴾ [الإسراء: ٦١].

فكان عاقبة كبره، أن طرده الله ﷻ من رحمته، وصيره رجيمًا مطرودًا من رحمة الرحيم الرحمن جل في علاه فقال له: ﴿ **فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨** ﴾ [ص: ٧٧، ٨٧].

وكانت هذه أول معصية عصى الله ﷻ بها في السماء.. فمن تكبر، هلك وهان عند الله وسقط.. وذل.. وكذلك من تكبر على الناس، هان عليهم، وسقط من أعينهم.. من تكبر عليهم بماله فقد تشبه بقارون، الذي خسف الله ﷻ به

الأرض.. ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

ومن تكبر بمنصبه، دل على خفة عقله، فإن المناصب لا تبقى لأصحابها، فكما يقولون: لو دامت لغيرك، ما وصلت إليك.. وربنا ﷻ يقول في كتابه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. ومن تكبر بحسبه ونسبه فإن الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

أحبتي الكرام...

فصفة الكبرياء مذمومة للبشر، لكنها صفة تعظيم لله ﷻ نثبتها له إثباتًا يليق بجلاله، فمن أسمائه تعالى: الجبار، والمتكبر.

وهو الذي يقول في الحديث الذي رواه مسلم، قال الله ﷻ: **«العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني عذبته»**[1].

ولأحمد في المسند من حديث أبي هريرة ﷺ: **«الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ»**[2].

فهل تود أن تكون ممن ينازع الله ﷻ في كبريائه؟! من أنت حتى تفعل ذلك؟ حكى أن مطرِّف بن عبد الله الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة، وعليه حلة يجرها ويمشي الخيلاء، فقال مطرّف للمهلب: يا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟

قال له المهلب: أما تعرفني؟

فقال له: نعم أعرفك، أنت أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٩٩).

فيما بين ذلك بول وعذرة:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته	انظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم	ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة	بأربع هو في الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك	والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدًا	أقصر فإنك مأكول ومشروب

لو أدرك الإنسان حقيقة نفسه ما تكبر، وما ترفع، فأصله ماء مهين، خرج من مجرى البول مرتين: مرة ماء مهينًا، ومرة طفلاً صغيرًا، ويحمل بين جنبيه الأوساخ.. وإذا مات أصبح جيفة نتنة، فعلام يتكبر من كان هذا شأنه؟!

إن من درجات الكبر يا **عباد الله**... أن يترفع الرجل عن امتثال أمر من هو أفضل منه، والنزول على نصحه، وعاقبة ذلك وخيمة، فقد أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له النبي ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**». قَالَ (متكبرًا): لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لاَ اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ**». قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ[١]. أي شلها الله ﷻ وجعلها عاجزة لتكبره واستعلائه.

يقول النبي الأمين ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لاَ يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[٢].

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان.

و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. العالم بالبواطن والظواهر، والخفيات والجليات، مطلع على مكنون الصدور، وخبايا الأمور.. ودقيق المخلوقات في زوايا الظلمات يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، وكامل الصفات.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. الذي شهدت له بالربوبية جميع الموجودات، وأذعن له بالألوهية والإخلاص خلاصة المخلوقات.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، أفضل الرسل، وسيد البريات من أيده ربه بالمعجزات.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهل السرائر الصافيات، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

عباد الله...

وبقي أن نتحدث في عجالة عن عقوبة المتكبرين المعاندين المغرورين.. والعقوبة عقوبتان: أحدهما دنيوية، والأخرى أخروية.

أما في الدنيا فقد أشرنا إليها في أول خطبة اليوم، وهي عدم محبة، الله ﷻ للمتكبرين.. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣].

وإذا أبغض الله ﷻ أحدًا، بغَّض فيه خلقه، بغضه أولاً إلى جبريل عليه السلام، ثم ينادي جبريل: إنَّ الله يبغض فلانًا، فأبغضوه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض.. فماذا بعد أن يبغضه الله ﷻ، ويبغِّض فيه ملائكته وخلقه؟

فبئس العبد عبد تجبر، واعتدى ونسى الجبار الأعلى.

بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال.

بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى.

ومن العقوبات: أن الله ﷻ يطبع على قلبه، والعياذ بالله.. ﴿ **كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [غافر: ٣٥]. والقلب أمير البدن، بل ملكه، الذي إن صلح صلحت الرعية، وإن فسد فسدت الرعية..

قال طبيب القلوب ﷺ: «**إِنَّ فِي الْـجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْـجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِيَ الْـقَلْبُ**»[١].

وإذا فسدت القلوب صار أصحابها لا يعقلون، ولا يفهمون، وسد الله عليهم باب الهداية.. ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وما داموا كذلك، فإن الله ﷻ يغلق أمامهم باب الهداية والتوفيق.. قال تعالى: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا** ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وتأمل هذا الذي تكبر وعتى، وطغى وتجبر.

قال الأصمعي فيما يروي عنه: رأيت رجلاً خرج إلى مكة فلما وصل إلى الطواف، خرج على جواد فاره، يختال في مشيته، ركابه خليط من الذهب والفضة والياقوت ورأيت الجنود والأعوان، بين يديه ومن خلقه، وعليهم حلل الديباج يحملون السيوف والرماح، فلما وصل موكبه إلى الكعبة أخلوها له من الطائفين والعاكفين والركع السجود، ليطوف وحده وهو مطمئن النفس، قرير العين.

يقول الأصمعي: فتأملته فوجدته يميل ويختال، ويزهو ويفخر، حتى ليكاد يخرج من جلده تكبرًا وتيهًا، فعجبت من شأنه، وقلت في نفسي: أو يتكبر أحد في هذا المكان.. ومرت سنوات قليلة، ثم رأيت إنسانًا مريضًا بمرض خبيث، وكان مطروحًا على مزبلة وضيعة، اتقاء لخطره، وبعدًا عن وبائه، فتأملته، فإذا هو

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

صاحبي بالأمس.. فقال لي: أو ما تعرفني يا أصمعي، فقلت له: لا.. فقال: أنا صاحب الموكب بالأمس القريب.. أنا صاحب الطواف المفرد، الذي تعجب الناس له.. فقلت له: وما الذي صيرك إلى هنا؟

فقال: يا أخي تكبرت حيث يتواضع الناس، فوضعني الله في مكان يترفع عنه جميع الناس.. فانصرفت وأنا أقول: هكذا ينتقم الله من المتكبرين، وجعلت أردد قوله تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل: ٢٣].

أحبتي في الله...

وأما في الآخرة، فالحرمان من الجنان والرضوان.. إنهم لن يدخلوا الجنة، حتى يدخل الجمل في سم الخياط - أي في خرم الإبرة - وهذا من المستحيلات.. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فجهنم حسبهم.. والنار موعدهم.. قال ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**احْتَجَّتِ الْـجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْـجَبَّارُونَ وَالْـمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْـمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللَّـهُ عز وجل لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**»(٢).

لأن الكبر من صفات أهل النار، فقد قال حبيبنا ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فالعتل: هو الغليظ الجافي، والجواظ: هو الضخم المختال في مشيته.

واعلموا أن من مظاهر التكبر إسبال الإزار وجره بطرًا، وقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». ومعنى يتجلجل: أي يهبط وينزل.

ورحم الله الإمام ابن القيم حين قال:

وسل العياذ من التكبر والهوى	**فهما لكل الشر جامعتان**
وهما يصدان الفتى عن كل طرق	**الخير إذ في قلبه يلجان**
فتراه يمنعه هواه تارة	**والكبر أخرى ثم يجتمعان**
والله ما في النار إلا تابع	**هذين فاسأل ساكني النيران**

اللهم جنبنا سبل الجبارين، وابعدنا عن الكبر والمتكبرين، ونسألك يا ربنا ألا تجعل لمتكبر مختال علينا سبيلاً.

اللهم اجعلنا من عبادك المتواضعين لعبادك المؤمنين، واجعلنا أشداء على الكفرة والجاحدين.. اللهم رضنا وارض عنا.. وعافنا واعف عنا.. وأكرمنا ولا تهنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا.. وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.. يا رب العالمين.

اللهم اجعلنا لك مطيعين.. ولنبيك محمد ﷺ متبعين، ولقرآنك من التالين.. ولآداب الشريعة عاملين.. ولسبل الخير سالكين.. ولسبل الضلال مبعدين. اللهمَّ ثبتنا على الإيمان يوم تزل الأقدام.. واغفر لنا ذنوبنا يا عظيم يا علام.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم.. واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.

ثالثًا:

من خطب المناسبات

الخطبة الثامنة والثمانون

استقبال شهر رمضان

الحمد لله رب العالمين.. سبحانه.. سبحانه.. ملأ قلوب أحبته من محبته سرورًا، وكسا وجوههم حين اشتغلوا بخدمته بهجة ونورًا وتوجهم بتيجان البهاء، وكتب لهم بالولاية منشورًا.

اطلع على سرائرهم، وتجلى على ضمائرهم، فصفى خلاصة جواهرهم، وزادهم هدى وتبصيرًا، وروق لهم الشراب، ورفع لهم الحجاب، وقال: مرحبًا بالأحباب لا تخشوا اليوم حزنًا ولا تكديرًا.

شربوا من شراب حبه كئوسًا، واستجلوا من أنوار مشاهدته شموسًا وبرزت لهم الدنيا بزينتها عروسًا، فقالوا: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإنسان: ١٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. ذو الجلال والإكرام والطول والإنعام.. يسأله كليمه موسى: يا رب، ماذا تقول للعبد إذا ركع؟ فقال: أقول له: لبيك يا عبدي.. قال: فماذا تقول إذا سجد؟ قال: أقول: لبيك يا عبدي.. قال: فماذا تقول له إذا سجد وركع وكان عاصيًا؟ قال: أقول له: لبيك لبيك لبيك عبدي، ادعوني أحقق لك ما تشاء، فإني أنا الكبير المتعال.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا محمدًا عبد الله ورسوله.. اللهم صلِّ على من انتخبه الله من أشرف قبيلة، وجعل الصلاة عليه أكرم فضيلة، وأعلى مرتبته الجليلة.

اللهمَّ صلِّ عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجابًا، وتجعلها لنا إلى كرامتك مثابًا، وتفتح لنا بها إلى الجنة العالية بابًا.. اللهمَّ صلِّ عليه وسلم.

أيها المسلمون أحباب الحبيب ﷺ...

في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي الأمارة بالسوء بتقوى الله ﷻ في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وإنما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين.

أيها الأحبة الكرام...

شهر رمضان من أعظم مواسم الطاعة والغفران، وقد جعل الله فيه من أسباب الخير والسعادة، وإحسان العبادة ما يجعل المؤمن ينتظر قدوم هذا الشهر العظيم لعله يخالف نفسه وهواه، ويترقب فيه إلى مولاه.

قال النبي ﷺ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّـهُ ﷻ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ. تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْـجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ»[1].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي (٢١٠٦).

فكيف نستقبل هذا الضيف الكريم؟ وكيف كان الأولون يستقبلونه؟

يقول معلى بن الفضل: كان السلف يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم.

وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: لقد كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلاً.

بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عز وجل عليه، ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد منهم اثنان، ثم مات الثالث على فراشه بعدهما فرؤي في المنام سابقًا لهما.. فقال النبي ﷺ: **«أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً»**. قالُوا: بَلَى. قَالَ: **«وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَهُ وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟»**. قالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: **«فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»**[1].

فمن رحم في شهر رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود فيه لمعاده فهو ملوم..

أتى رمضان مزرعة العباد	لتطهير القلوب من الفساد
فأدى حقوقه قولاً وفعلاً	وزادك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها	تأوه نادمًا يوم الحصاد

فيا من طالت غيبته عنا، قد قربت أيام المصالحة، يا من دامت خسارته، قد قبلت أيام التجارة الرابحة، فمن لم يربح في هذا الشهر، ففي أي وقت يربح؟

إذا رمضان أتى مقبلاً	فأقبل فبالخير يستقبل
لعلك تخطئه قابلاً	وتأتي بعذر فلا يقبل

---

(١) صحيح: رواه البيهقي وابن ماجه وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣١٦).

والناس في استقبال شهر رمضان.. شهر القرآن.. على صنفين:

الصنف الأول: وهم الذين يفرحون بقدومه، وذلك لأسباب:

أولاً: أنهم عودوا أنفسهم على الصيام، ووطنوها على تحمله، ولهذا جاء في السنة المطهرة استحباب صيام أيام كثيرة، كصوم الاثنين والخميس، والأيام البيض ويوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء، وغيرها من الأيام المستحبة، والتي شرعها النبي ﷺ لأمته، ليعتادوا الصوم، ويتزودوا من التقوى، وأثر ذلك واضح في الواقع، فإننا نجد المسلم الذي يصوم النفل لا يستثقل صيام رمضان، بل هو عنده أمر طبيعي، لا كلفة فيه ولا عناء، وأما الذي لا يصوم شيئًا من النافلة، فإن رمضان يكون عليه ثقيلاً.

ولقد كان السلف - رضوان الله عليهم - مثالاً رائعًا في حرصهم على النوافل، وروى عنهم في ذلك قصص عجيبة، ومن ذلك: أنَّ قومًا من السلف باعوا جارية لهم، لأحد الناس، فلما جاء رمضان، أخذ سيدها الجديد يتهيأ بألوان الطعام والشراب، لاستقبال رمضان - كما يصنع كثير من أهل هذا الزمان - فلما رأت الجارية ذلك منه، قالت: لماذا تصنعون ذلك؟

قالوا: لاستقبال شهر رمضان، فقالت: أو أنتم لا تصومون إلا في رمضان؟ والله، لقد جئت من عند قوم السنة عندهم كأنها كلها رمضان، لا حاجة لي فيكم ردوني إلى من كنت عندهم، ورجعت إلى سيدها الأول.

وكان لدى الحسن بن صالح جارية، فاشتراها منه أحدهم، فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد، قامت تصيح في الدار: يا قوم، الصلاة.. الصلاة.. فقاموا فزعين مندهشين، وسألوها: هل طلع الفجر؟

فقالت: أو أنتم لا تصلون إلا المكتوبة؟!

فلما أصبحت، رجعت إلى الحسن بن صالح، وقالت له: لقد بعتني إلى قوم سوء لا يصلون إلا الفريضة، ولا يصومون إلا الفريضة، فردني، فردها.

ثانيًا: أنهم يعلمون أن الامتناع عن اللذات في هذه الدنيا سبب للوصول إليها في الآخرة، فإن امتناع الصائم عن الأكل والشراب، والجماع، وسائر المفطرات في نهار رمضان، طاعة لله ﷻ يكون سببًا في حصوله على ألوان الملذات الخالدة في الجنة.

وعلى العكس من ذلك حال المنغمسين في الملذات المحرمة في هذه الدنيا، فإن الانغماس فيها يكون سببًا في حرمانهم يوم القيامة.. فعلى سبيل المثال من يشرب الخمر في الدنيا، أو من يلبس الحرير في الدنيا.. كيف يكون حال هذا وذاك؟

يقول النبي ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الْـخَمْرَ فِى الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِى الآخِرَةِ، إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ**»[1]. وإنه يحرم من شربها يوم القيامة، حتى ولو دخل الجنة، عقابًا له على تمتعه بخمر الدنيا، وهي محرمة عليه، ويقول ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الْـحَرِيرَ فِى الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِى الآخِرَةِ**»[2].

ثالثًا: أنهم يدركون ويعلمون أن هذا الشهر من أعظم مواسم الطاعات، والتنافس في القربات.. قال النبي ﷺ: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده..**»[3].

وفي رواية: «**إن لكم في أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها، ألا فتعرضوا لها، لعل أحدكم تصيبه نفحة من نفحات ربكم، فلا يشقى بعدها أبدًا**».

وشهر رمضان موسم من المواسم المليئة بالنفحات الربانية، والعطاءات الإلهية فالسعيد من اغتنم هذه المواسم، فيتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه وأحمد والبيهقي وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣١٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري ومسلم وأحمد والحاكم وأبو داود والترمذي.

(٣) حسن: رواه البيهقي وابن أبي الدنيا وغيرهما عن أنس وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٩٠).

الطاعات فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد بها سعادة يأمن بعده من النار وما فيها من اللفحات.

قال الحسن البصري رحمه الله: ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة.

ويقول ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: رُبَّ عمر اتسعت آماده، وقلت أمداده، ورُبَّ عمر قليلةٌ آماده، كثيرة أمداده.

فالعبرة أن يبارك الله لك في عمرك، لا بطوله وعلى هذا يحمل حديث: «لاَ يَزِيدُ فِي الْـعُمْرِ إِلاَّ الْـبِرُّ»[1].

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: إنكم في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة.. فمن زرع خيرًا، يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرًّا، فيوشك أن يحصد ندامة.. ولكل زارع ما زرع.

الصنف الثاني: أولئك الذين يستثقلون هذا الشهر الكريم، ويستعظمون مشقته، فإذا نزل بهم، فهو كالضيف الثقيل.. يعدون ساعات وأيامه ولياليه منتظرين رحيله بفارغ الصبر.. يفرحون بكل يوم يمضي منه وينقص.. حتى إذا دنا العيد فرحوا بدنو رحيله.. لكن لماذا استثقلوا هذا الشهر مع ما فيه من نفحات، وبركات ومع ما فيه من أعمال صالحات.. **لأسباب منها:**

أولاً: أنهم اعتادوا على أن يتوسعوا في شهواتهم وملذاتهم، ومأكلهم ومشربهم وغير ذلك، فضلاً عن ارتكابهم المحرمات.. فوجدوا في هذا الشهر مانعًا وقيدًا يحبسهم عما يريدون من شهوات وملذات، يحول بينهم وبينها.

---

(١) حسن: رواه أحمد والنسائي وابن حبان وابن ماجه عن سلمان، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٨٧).

ثانيًا: أنهم قوم عظموا تقصيرهم في الطاعات.. حتى إن الكثير منهم يفرط في الفرائض والواجبات.. فإذا ما أتى رمضان، التزموا فيه ببعض الطاعات، فنراهم يحضرون إلى صلاة الجماعات، ويواظبون على الصيام والصلاة كل يوم، فبسبب هذا الالتزام الذي لم يألفوه، ولم يوطنوا أنفسهم عليه، استثقلوا حمل هذا الشهر العظيم المبارك.

أيها الأحبة الكرام...

إنَّ رمضان آت بعد أيام، وفي الأمة تعساء، يستقبلونه على أنه شهر جوع في النهار، وشبع في الليل، ونوم في الفراش إلى ما بعد العصر، وسمرٌ في الليل إلى الفجر، تراهم ذئابًا في الليل، جيفًا بالنهار.. يجعلون من رمضان موسم طرب وسهر، ودعايات.. إنهم يقتلون رمضان، ويفسدون حلاوته وطعمه. مساكين هؤلاء..

رمضان، ربّ فم تمنع	عن شراب أو طعام
ظن الصيام عن الغذاء	هو الحقيقة في الصيام
وهوى على الأعراض ينهشها	ويقطع كالحمام
يا ليته إذا صام صام	عن النمائم والحرام

رمضان شهر الرحمة والغفران.. فهل استعدت قلوبنا وأرواحنا لاستقبال هذه الرحمات.. صعد رسول الله ﷺ درجات منبره الثلاث، وكان على كل درجة يقول: «آمين» فتعجب الصحابة - رضوان الله عليهم - وسألوه عن ذلك، فقال ﷺ: «**قَالَ لِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ - أَوْ بَعُدَ - دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ - أَوْ بَعُدَ - أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ - أَوْ بَعُدَ - ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان والطبراني والترمذي بنحوه والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٩٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٥).

والشاهد هنا هو الأول (رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ)، كأن جبريل عليه السلام اندهش واستغرب، كيف يكون هذا لذا، فهو يدعو على ذلك الشقي المحروم، الذي فرط في فرصة المغفرة خلال هذا الشهر المبارك، حتى انقضى ومضى ولم يتعرض فيه لنفحة من نفحات الرب جل وعلا.. والتي كانت واحدة منها كفيلة بغفران ذنوبه.. فلا يحرم بركة رمضان إلا محروم.. ظالم لنفسه.

كيف والفرص كلها سانحة للعودة إلى الله، والتوبة والمغفرة من الذنوب؟

الشياطين فيه قد صفدت.

والأجور فيه قد ضوعفت.

وأبواب الجنان وقد فتحت وأبواب الجحيم وقد أغلقت.

فيه ليلة خير من ألف شهر.

لله في كل ليلة عتقاء من النار.

من صامه إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه.

فهل بعد هذا الخير عذر لمعتذر؟

أمة الحبيب المصطفى ﷺ ...

أقبل رمضان، فأقبلوا على ربكم.. أقبلوا عليه بقلوبكم متضرعين خاشعين نادمين باكين.

استقبل أخي الحبيب شهر رمضان بتوبة إلى العزيز الغفار، وقل: يا إله الكون إني راجع..

ويا واهب الخيرات هب لي هداية ... فما عند فقدان الهداية نافع

أقل عثرتي عفوًا ولطفًا ورحمة ... فما لجميل الصفح غيرك صانع

إن لم يغفر لك في هذا الشهر فمتى سيغفر لك؟!

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب	حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصبر بعدهما	فلا تصيره أيضًا شهر عصيان
واتل الكتاب وسبح فيه مجتهدًا	فإنه شهر تسبيح وقرآن

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.. و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا أحمده وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله التوفيق والسداد لكل ما يحبه ويرضاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. النبي المصطفى، والرسول المجتبى، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أتباع الحبيب المصطفى ﷺ ...

إنّ الذي يرجع البصر في بلاد الإسلام والمسلمين، وهي تستقبل شهر رمضان في هذه الأيام يجد الفرق الشاسع بين ما نفعله في عصرنا هذا من مظاهر استقبال شهر رمضان، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

فكما ذكرنا أن السلف - رحمهم الله - كان يدعون الله تعالى ستة أشهر، حتى يبلغهم رمضان، فإذا بلغوه، اجتهدوا في العبادة فيه لله رب العالمين، مخلصين له الدين، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

أما أصحاب الفضائيات والإذاعات في عصرنا الحاضر، فإنهم يستعدون لمجيء رمضان بستة أشهر، يحشدون كل فيلم خليع، وكل مسلسل وضيع، وكل غناء ماجن للعرض على المسلمين في أيام وليالي شهر رمضان، لأن رمضان كريم. كما يعلنون.

ولسان حالهم يقول: شهر رمضان، الذي أنزلت فيه الفوازير والمسلسلات، ولأن مردة شياطين الجن تصفد وتغل في شهر رمضان، فعز على إخوانهم من شياطين الإنس الذين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون.. عز عليهم ذلك، فناصبوا دين الله العداء وأعلنوا الحرب ضده في شهر رمضان، بما يبثونه من سموم ليل نهار على مدار الساعة على الكثير من الشبكات الفضائية.

وقبل دخول شهر رمضان بأيام، إذا ذهبت إلى الأسواق والمتاجر، ستجدون الناس يجمعون أصنافًا، وألوانًا من الطعام والشراب بكميات كبيرة، وكأنهم مقبلون على حرب أو مجاعة، وليس على شهر التقوى والصيام.

وما إن تغمر نفحات الشهر الكريم أرجاء الدنيا، حتى تنقلب حياة كثير من المسلمين رأسًا على عقب، فيتحولون إلى خفافيش، فيجلسون طيلة الليل أمام الشاشات، ثم ينامون قبيل الفجر، وفي النهار نيام كجيفة خبيثة.

فطوبى لعبد تنبه من رقدته.. وبالغ في حذاره، فيا غافلاً عن شهر رمضان. اعرف زمانك يا كثير الحديث فيما يؤذي، احفظ لسانك.. يا متلوثًا بأوحال المسلسلات والأفلام والمسرحيات، اغسل بالتوبة ما شانك!

إنّ إدراك رمضان من أجل النعم وأعظمها، فكم غيب الموت لك من صاحب، ووارى من حميم ساحب.

خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله **وكان آخر ما خطب**: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولن تتركوا سدى، وإن لكم ميعادًا ينزل الله عز وجل فيه للفصل بين

عباده، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله، التي وسعت كل شيء.. وحرم جنة عرضها السموات والأرض.

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيرثها بعدكم الباقون؟ في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله قد قضى نحبه.. وانقضى أجله، فتودعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب وواجه الحساب، غنيًا عما خلف، فقيرًا إلى ما أسلف.

فيا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان.

يا متعرضًا للخسران..

أما لك من توبة؟

أما لك من أوبة؟

أما لك من حوبة؟!

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦].

فقلوب المتقين إلى هذا الشهر تحن، ومن ألم فراقه تئن.. فإلى متى الغفلة؟!

ما لكم لا ترجون لله وقارًا؟ ولا تعرفون لشهر رمضان حلالاً أو حرامًا؟

فيا من أدركت رمضان، وأنت ضارب عنه صفحًا بالنسيان.. هل ضمنت لنفسك الفوز والغفران؟ أتراك اليوم تفيق من هذا الهوان؟ قبل أن يرحل شهر القرآن والعتق من النيران؟!

يا باغي الخير أقبل أقبل.. ويا باغي الشر أقصر.. أقصر!

اللهمَّ بلغنا رمضان أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة.. واجعلنا فيه من عتقائك من النار.. واجعلنا فيه من المقبولين.. ومن التائبين.. ومن الفائزين.

اللهم تقبل منا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا يا مولانا إنك أنت الغفور الرحيم واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

اللهمَّ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إمامًا.. اللهم وفقنا للهداية، وأبعدنا عن أسباب الجهالة والغواية.. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.



الخطبة التاسعة والثمانون

فضائل شهر رمضان والصيام

الحمد لله.. الذي فرض على عباده الصيام، وجعله مطهرًا لنفوسهم من الذنوب والآثارم.

أحمده فهو العليم الخبير.. الذي يعلم أعمال العباد، يجري عليهم المقادير لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو على كل شيء قدير في السماء مملكته.. وفي الأرض عظمته.. وفي البحر قدرته.. خلق الخلق بعلمه.. فقدر لهم أقدارًا.. وضرب لهم آجالاً.. خلقهم فأحصاهم عددًا وكتب جميع أعمالهم فلم يغادر منهم أحدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. خلق الشهور والأعوام.. والساعات والأيام.. وفاضل بينها في الفضل والإكرام.. وربك يخلق ما يشاء ويختار.. الملك ملكه.. والخلق خلقه.. لو سألنا العالم كله.. من عرشه إلى فرشه.. ومن سمائه إلى أرضه.. فقلت له: من الذي خلقك؟ سيقول لك بلسان حاله: أنا مخلوق لله الواحد الديان.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله النبي ﷺ المختار، وسيد الأبرار، وزين المرسلين الأخيار، وأكرم من أظلم عليه الليل، وأشرق عليه النهار.. أبي القاسم النبي ﷺ الصادق المختار.. اللهم صلِّ عليه عدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد زبد البحار، وعدد مياه الأنهار، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار، وعدد أهل الجنة وأهل النار، وعدد الأبرار والفجار. وصلى على آله الأبرار الأطهار، واحشرنا معهم بفضلك وكرمك يا عزيز يا غفار.

أما بعد...

أتباع أمة الحبيب ﷺ...

هيا بنا لنذهب إلى جامعة العبادات الإسلامية، وأرى هذه الجامعة تتكون من خمس كليات:

الأولى: كلية التوحيد، وأرى مكتوبًا على بابها: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والثانية: كلية الصلاة، مكتوب على بابها: ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا** ﴾ [النساء: ١٠٣].

والثالثة: كلية الزكاة مكتوب على بابها: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

والرابعة: كلية الصيام، وأرى مكتوبًا على بابها: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والخامسة: كلية الحج، ومكتوب على بابها: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فإلى أي الكليات نذهب، هيا بنا لنذهب اليوم إلى كلية الصيام لنتلقى درسًا من أعظم الأساتذة، وأنبل العظماء.. سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمد بن عبد الله ﷺ حيث قال: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْـجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْـجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْـخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّـهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٩).

نعم.. شهر رمضان تتضاعف فيه الحسنات، وتكفر السيئات، وتقال فيه العثرات، وترفع الدرجات.. شهر جعل من الأعمال جليلها، ومن الأجور عظيمها شهر لياليه أنور من الأيام، وأيامه مطهرة من دنس الآثام، وصيامه أفضل الصيام، وقيامه أجل القيام.

شهر جعله الله ﷻ مصباح العام، وواسطة النظام، وأشرف قواعد الإسلام شهر أنزل الله فيه كتابه، وفتح للتائبين فيه أبوابه، فلا دعاء فيه إلا مسموع ولا عمل إلا مرفوع، ولا خير إلا مجموع، ولا ضرر إلا مدفوع.

رمضان شهر القرآن.. قال الله ﷻ: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة.. قال ﷺ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَىْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِى فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِى فِيهِ. قَالَ فَيُشَفَّعَانِ لِلْعَبْدِ**»(١).

الصوم يتمثل يوم القيامة شيئًا حسيًا، ينطق ويشفع لصاحبه، سواء كان فرضًا أو نفلاً.

الصوم الذي يقسم الحبيب المصطفى ﷺ على محبة الله ﷻ لآثاره فيقول: «**وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(٢).

هذه الرائحة المنبعثة من الفم، عند خلو المعدة من الطعام، تلك الرائحة ينفر منها البشر.. ينفر منها الناس، ولكنها عند الملك الكريم.. البر الرحيم.. أطيب من أطيب الطيب.. لماذا؟ لأنها ناشئة عن طاعته، واتباع مرضاته.

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في «الشعب» ، ورواه أحمد والطبراني، والحاكم، وصححه على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٨٤) عن ابن عمر.

(٢) صحيح: رواه البخاري واللفظ له ورواه مسلم وغيرهما.

والله إن الإنسان ليحتقر نفسه أمام هذا الكرم والعطاء، وفتح أبواب الخير، وغلق أبواب الشر.

العبد الحقير المسكين الضعيف، يحب الله ﷻ أثر العبادة منه، حتى تكون أطيب من رائحة المسك، وهو الذي فرضها علينا، ويسرها لنا، ثم يثيبه عليها أعظم الجزاء وأجزله؟!

أحباب المصطفى ﷺ...

إنَّ الله ﷻ يحب من عبده أن يتقرب إليه بما افترض عليه، وقد جاء في حديث الأولياء: «**إِنَّ اللَّـهَ ﷻ قَالَ: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ...**»(١).

مسكين والله، هذا الذي يظن أن أهل الدنيا بما يقيمون من مهرجانات ومسابقات واحتفالات ومتاجرات، ومرابحات، يعطون أكثر وأفضل مما يمنح الله ﷻ هل يستوي عطاء من لا تنفد خزائنه ولا تفنى، بمن قال خالقه فيه: ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٠]. ثم هو مع ذلك تنفد خزائنه وتبلى؟!

وكأني بذلك المحروم، الذي طوته الأيام والليالي، وأسلمته إلى أجله المحتوم، وقد رأى المتاجرين مع الله ﷻ، وقد وزعت بينهم أرباحهم، ورفعت درجاتهم، يصيح بأعلى صوته: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فيرتد عليه الجواب، أشد من وقع العذاب: ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) رواه البخاري وغيره.

ونحن في شهر الصوم، والصوم لله ﷻ، يرفع به الدرجات، ويحط به الخطيئات يقول الله ﷻ في حديثه القدسي الجليل: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْـحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي**»[1].

أوليست العبادة كلها لله؟ فلما اختص الله ﷻ الصوم بالإضافة إليه؟

أو ليس الله هو الذي يجازي على الأعمال الصالحة، فلماذا أضاف الله ﷻ جزاء الصوم له؟

لأن الصوم عبادة السر بين العبد وربه.. لا يعلم أحد من الناس بإمساكك عن الطعام والشراب، لأجل الله، إلا إذا أخبرتهم بذلك، ومن يحول بينك وبين الأكل والشرب، حين تغلق الأبواب، وترخى الستور، وتخلو بنفسك حيث لا يراك أحدٌ من الإنس؟

إنه الخوف من الله ﷻ والطمع في ثوابه العظيم، والرجا بحسن لقائه الكريم، هو الذي يحول بينك، وبين الطعام والشراب.

إنه الإخلاص، الذي هو لب الأعمال وروحها، ومحرك الجوارح ومثيرها، وله ثمرات عظيمة في تيسير الأمور، وتذليل الصعاب.

بالإخلاص تطمئن القلوب، وتهدأ النفوس، لأنها تعامل علام الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، والذي يعلم السر وأخفى.. إذا أخلص العبد لله هداه أما الذين لم يخلصوا، ففي قلوبهم وجل واضطراب، وفي نفوسهم حيرة وارتياب، فهذا سر من أسرار الإضافة.

ومن جزاء الصوم ما رواه البخاري عن سهل ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الْـجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»(١).

هذا جزاء من حبس نفسه عن الطعام والشراب والشهوات في الدنيا طاعة لله، باب الريان، لمن عطشوا في الدنيا قليلاً، ونهوا النفس عن أهوائها، فكان جزاؤهم من جنس أعمالهم، ري يوم القيامة، لا يعطشون بعده أبدًا.

الصوم يكفر الخطايا، ومغفرة للذنوب، كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ** ﴾ [هود: ١١٤].

والصوم فيه من الحسنات الشيء الكثير، قال النبي ﷺ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا: الصَّلاَةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ**» (٢). أي كل ما يبدر من العبد من هفوات، أو أخطاء في حق أهله بكلمة نابية، أو تقصير، أو نحوه، كل ذلك، وما أشبهه من الصغائر تكفرها الصلاة والصوم والصدقة.

وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٣).

وقال: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(٤). لأن الكبائر، لا يكفرها إلا التوبة.

في شهر رمضان تغلق أبواب النيران، وتغلق أبواب الجنان، وتصفد الشياطين ومردة الجن، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»(٥).

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة، ورواه الترمذي.

(٥) صحيح: رواه البخاري ومسلم والنسائي.

وفي لفظ: «**وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**». أي جعلوا في الأصفاد والسلاسل، فلا يصلون في رمضان إلى ما كانوا يصلون إليه في غير رمضان، ولذلك نجد وسوسة الشيطان وكيده وتلبيسه على الناس في رمضان أقل منه في غير رمضان.. بل إنَّ الشيطان يخاف من رمضان كما يخاف من الأذان والإقامة.

ولعل من المشاهد الملحوظ، أنه إذا أقبل رمضان، بدأ كثير من العصاة يستعدون للتوبة، وكثير منهم ما يسأل قبيل رمضان أسئلة تدل على استعدادهم للتوبة وعزمهم عليها.. فهذا يقول: أنا عندي مظلمة، فكيف أتخلص منها، وآخر يقول: أقع في المعصية الفلانية، فكيف أتخلص منها؟ وآخر يقول: وأنا أقصر في الطاعة الفلانية، فكيف أحافظ عليها؟

فالشيطان يخاف من قدوم رمضان، وقربه، حيث يضعف كيده وتأثيره، فما بالك إذا دخل رمضان، وسلسل الشيطان، وصفد بالأغلال.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»[١].

ولا ريب أن الدم يتولد من الطعام والشراب، الذي منع منهما الصائم في نهار شهر رمضان، ولهذا إذا أكل أو شرب، اتسعت مجاري الشيطان، ولهذا قيل: «فضيقوا مجاريه بالجوع».

وإذا ضاقت مجارى الشيطان، انبعثت القلوب إلى فعل الخيرات التي تفتح بها أبواب الجنة، وإلى ترك المنكرات التي تفتح بها أبواب النار.. والحديث يقول: (صفدت الشياطين) لم يقل: ماتوا أو قتلوا، بل صفدوا، والمصفد قد يؤذي، لكن أذاه ووسوسته أقل بكثير.

ولذلك قال لقمان لابنه واعظًا: يا بني، إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك وعن صفية.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر أكله، لم يجد لذكر الله لذة.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: إن كنت بطنًا، فعد نفسك زمنًا.

أيها الموحدون الكرام...

هنيئًا لمن أطاع الملك الرحمن في شهر رمضان، لقد فاز بالحور والولدان في دار السلام والرضوان، صبروا أيامًا قليلة، فأعقبتها راحة طويلة.

شهر رمضان من بين الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه السلام، وشهر رمضان بينهم كيوسف بين إخوته، فكما أن يوسف عليه السلام أحب الأولاد إلى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: وفي ذلك إشارة، فقد جاء إخوة يوسف عليه السلام معتمدين عليه في سد الخلل، وإزاحة العلل، بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل، فأحسن لهم الإنزال، وأصلح لهم الأحوال وبلغهم غاية الآمال، وأطعمهم في الجوع، وأذن لهم في الرجوع ﴿ **وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا** ﴾ [يوسف: ٦٢].

فسد الواحد منهم خلل أحد عشر، كذلك شهر رمضان واحد، والشهور أحد عشر، وفي أعمالنا خلل، وأي خلل! وتقصير، وأي تقصير؟! وتفريط في طاعة العليم الخبير.

وإشارة أخرى: كان ليعقوب أحد عشر ولدًا ذكورًا، وبين يديه حاضرين ينظر إليهم ويراهم، ويطلع على أحوالهم، وما يبدون من أفعالهم، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم، وارتد بقميص يوسف بصيرًا، وصار بصره منيرًا.. فكذلك المذنب إذا شم روائح رمضان، وجلس فيه مع المذكرين بالقرآن، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان وترك الغيبة، وقول البهتان، يصير مغفورًا له بعدما كان عاصيًا.. وقريبًا بعدما كان قاصيًا.

عباد الله...

اغتنموا هذه الفضيلة، في هذه الأيام القليلة، تعقبكم النعمة الجزيلة، والدرجة الجليلة، والراحة الطويلة.. ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١]. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهادة من قال: ربي الله، ثم استقام. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد طب القلوب، ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب المصطفى ﷺ

إننا نعبد ربًّا عفوًّا، يحب العفو، رحمته سبقت غضبه، ومغفرته أعجل من عقوبته.. يحب من عباده أن يسارعوا إليه، إذا أذنبوا.. فالتوبة هي شعار المتقين، ودأب الصالحين.. فقد قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: تُوبُوا إِلَى اللَّـهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّـهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(١) .

ولله في كل ليلة من ليالي هذا الشهر عتقاء من النار.. فاجتهد أن تكون واحدًا منهم! فرمضان فرصة لمن فرط في صلاته.. ليتدارك نفسه.

رمضان فرصة للمدخن أن يتوب.. رمضان فرصة لمن قطع رحمه أن يصلها لأن الجنة لا يدخلها قاطع رحم.

---

(١) رواه مسلم وغيره.

إذا صامت بطوننا عن الغذاء، فلتصم قلوبنا عن الشحناء.. رمضان فرصة لنا جميعًا أن نتخلص من ذنوبنا.

أيها الصائمون...

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، اتقوه وخافوه، ولا تقنطوا من رحمة الله، فإنه غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، واخشوا يومًا ترجعون فيه إلى الله للجزاء ومناقشة الحساب، واحذروا بطشته الكبرى في يوم يخضع له فيه عالي الرقاب، ويوم تستوي فيه الأغنياء والفقراء وتتناكر فيه معارف الأنساب.

فشمروا - رحمكم الله - قبل أن تصيروا أسارى المنون، وقبل أن تسلكوا سبيل من سلف من القرون، قبل أن تبدلوا عن فسيح ظهور الأرض مضايق البطون فالعزيمة العزيمة في شهر العفو والغفران.

والغنيمة الغنيمة في شهر الرحمة والرضوان.. شهر البركة والإحسان واستكثروا فيه من طاعة الملك الغفار، ومراقبته في الإعلان والإسرار، وسؤال الجنة، والتعوذ من النار.

اللهمَّ إنا نسألك الجنة، ونعوذ بك من النار.. اللهمَّ اغفر لنا يا عزيز يا غفار.. اللهمَّ فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين.

اللهمَّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحة لنا من كل شر.

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، وانصر عبادك المجاهدين.. اللهمَّ كن للمستضعفين ناصرًا ومعينًا.

اللهمَّ أعد علينا رمضان أزمانًا عديدة، وأعوامًا مديدة، واعتق رقابنا من النار يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.



الخطبة التسعون

رمضان شهر القرآن

الحمد لله رب العالمين.. إله الأولين والآخرين.. وقيوم السموات والأرضين، ومالك يوم الدين، لا فوز إلا في طاعته، ولا عزّ إلا في التذلل لعظمته، ولا غنى إلا في الافتقار لرحمته.. ولا هدى إلا في الاستهداء بنوره، ولا حياة إلا في رضاه، ولا نعيم إلا في قربه، ولا صلاح، ولا فلاح إلا في الإخلاص له.

سبحانه.. سبحانه.. إذا أطيع شكر، وإذا عصى تاب وغفر، وإذا دعي أجاب، وإذا عُمل من أجله أثاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.. شهادة عبده وابن عبده، وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته.. إقرارًا بواحدانيته وإخلاصًا لربوبيته، فهو العالم بما تبطنه الضمائر، وما تنطوي عليه السرائر، وما تغيض الأرحام، وما تزداد، وكل شيء عند بمقدار، لا يغيب عنه غائبة في السموات ولا في الأرض.. ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا.. عبده ورسوله.. أرسله ربه رحمة للعالمين.. وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين.. شرح الله به الصدور، وأنار به العقول، فتح أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، فهدى الله به بعد الضلالة، وعلم به بعد الجهالة، وألف به بين قلوب مشتته، اللهمَّ اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته، ورسولاً عن دعوته.. وصلِّ اللَّهُمَّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الموحدون الكرام...

أوصيكم ونفسي الأمارة بالسوء بتقوى الله ﷻ، فإنه بتقوى الله ﷻ تغفر الذنوب، ويحبكم علام الغيوب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي الكرام...

نحن اليوم على موعد بلقاء، ولقاؤنا اليوم بعنوان (رمضان شهر القرآن) فقد قال مولانا سبحانه وتعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر: ١].

وقال: ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ [القدر: ٣].

وليلة القدر في شهر رمضان، وقد قال ﷺ: «فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»[١].

وحبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أنزل القرآن جملة من الذكر، في ليلة أربع وعشرين من رمضان، فجعل في بيت العزة».

---

(١) صحيح: رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: «نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر في شهر رمضان، فجعل في سماء الدنيا».

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم أنزل إلى محمد ﷺ على ما أراد الله إنزاله إليه»[١].

وليس القرآن فقط هو الذي أنزله الله عز وجل في هذا الشهر الكريم المبارك، بل أكرم الله عز وجل هذا الشهر بنزول الكثير من الكتب السماوية فيه.

فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الإِنْجِيلُ لِثَلاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**»[٢].

فالله الله.. على شهر رمضان.

أيها الأحبة في الله...

لقد كان نزول القرآن الكريم هبة ربانية عظيمة، لم تشهد البشرية لمثله نظيرًا ولا شبيهًا كان نزوله حدثًا عالميًا فريدًا بكل المقاييس، أدهش الدنيا، وأذهل العالم، فانتشل أقوامًا من حضيض الغبراء إلى مواقع الجوزاء.

القرآن الكريم نور يضيء لنا الطريق في الدنيا والآخرة.. القرآن فيه الهدى والصلاح فبه تطمئن القلوب، وتزكو النفوس، وتعلو الهمم وترتقي.

القرآن فيه نبأ من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبر ما بعدكم، هو الفصل، ليس

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ١١٤، ١١٥).

(٢) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٥)، و«صحيح الجامع» (١٤٩٧).

الهزل، من تركه من جبار، قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب الآراء، ولا يمله العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

القرآن الكريم الذي تحدي الله ﷻ به الإنس والجن على أن يأتوا بقرآن مثله.

قال تعالى: ﴿ **قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ثم تحداهم على أن يأتوا بعشر سور من مثله، فعجزوا، ثم تحداهم الله على أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا، وقال تعالى: **وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٣].

أيها الموحدون الفضلاء...

والقرآن الكريم جاء في فضل قراءته أحاديث كثيرة، قال ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**»[١].

وقال ﷺ: «**يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ، وَارْقَ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»[٣].

---

١) رواه مسلم.

٢) حسن: رواه الترمذي وابن خزيمة والحاكم، وقال: صحيح الإسناد وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٢٥).

٣) صحيح: رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وابن حبان، وهو في «صحيح الترغيب» للألباني رقم (١٤٢٦).

وعن جابر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَا حِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»[1].

فهيا اقرءوا القرآن، ونحن في شهر القرآن، فقد كان جبريل عليه السلام يدارس النبي المصطفى ﷺ القرآن في رمضان.

وكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة.

وكان الزهري رحمه الله إذا دخل رمضان يفر من الحديث، ومجالسة أهل العلم ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف.

وكان سفيان الثوري رحمه الله إذا دخل شهر رمضان ترك كل شيء وأقبل على القرآن يتلوه، ويتدبره.

وكان قتادة رحمه الله يختم القرآن في غير رمضان في كل سبع مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة.. فإذا جاء العشر، ختم في كل ليلة مرة.

وكان إبراهيم التيمي رحمه الله يختم في العشر الأواخر كل ليلة، وفي بقية الشهر في ثلاث.

أيها المسلمون...

اقرءوا القرآن في شهر القرآن، ولا تنشغلوا عنه بالتجارات، ولا بالأموال. فقد قال صاحب الشفاعة العظمى: «إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ، لاَ يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا»[2].

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني في «الترغيب» (١٤٢٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٨٢٩).

حقًا لقد كان القرآن الكريم عند سلف الأمة مسهرًا لليلهم، شاغلاً إياهم عن كل الدنيا أخذوا ذلك عن سيدهم ومربيهم ومعلمهم الأعظم ﷺ.

قال عبيد بن عمير رحمه الله: سألت عائشة رضي الله عنها فقلت: «أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي».

قُلْتُ: وَاللَّـهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاَةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّـهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]»[1].

ورضي الله عن حسان بن ثابت حين قال:

أتانا رسول الله يتلو كتابه	كما لاح مشهور من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا	به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه	إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

آيات ويلٌ لمن قرأها، ولم يتفكر فيها.. ولم يتدبرها.. لأن مولانا ﷻ أمرنا أن نتدبر القرآن، ونتفكر في آياته: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني.

وليس في القرآن اختلاف، ولكن في الناس إعراض - والعياذ بالله - أعرضوا عن القرآن، الذي يقول ربنا ﷻ عنه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١].

الجبل حجارة متراكمة بعضها فوق بعض، فما بال قلوب البشر؟ أهي أشد من الجبال؟ إي والله إن من قلوب البشر لما هو أشد من الجبال، لا يتأثر بكلام الكبير المتعال، قال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤].

وهذا القرآن قد تأثر به المشركون الكافرون، فهذا عتبة بن ربيعة وقد أرسله كفار مكة إلى حبيب قلوبنا ﷺ وقالوا له: اذهب إلى محمد، فانهه عما هو عليه، فذهب إلى الحبيب المصطفى ﷺ فقال له: يا محمد، آذيتنا في أزواجنا وأولادنا، وآذيتنا في أنفسنا، فماذا تريد منا؟ إن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كنت تريد مالاً جمعنا لك من المال حتى تكون أغنانا، وإن كنت تريد جاهًا، ولنياك علينا فلا نقطع أمرًا حتى نأخذ برأيك، فسكت الحبيب النبي ﷺ حتى أنهى عتبة كلامه، فلما انتهى التفت إليه النبي ﷺ ثم قال: انتهيت يا عم - إكرامًا لكبر سنه - قال: نعم، قال النبي ﷺ: (فاسمع مني) فقال: قل، فقرأ عليه رسول الله ﷺ أول سورة فصلت: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾ [فصلت: ١ - ٥]. حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ ﴾ [فصلت: ١٣].

فقال عتبة: حسبك.. حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ فقال: والله لقد أسمعني بشيء والله ما هو بشعر، ولا كهانة ولا

سحر، ثم قرأ عليهم الآية الأخيرة: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت: ١٣]. فأمسكت بفيه، وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب.

وهذا هو الوليد بن المغيرة يصف القرآن عندما سمعه من النبي ﷺ فقال: والله إنَّ له لحلاوه، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه.

وهذا جبير بن معطم يقول: كنت أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله ﷺ يصلي فاختبأت خلف أستارها، فصرت أستمع إليه، وهو يقرأ سورة الطور، فلما سمعتها كاد قلبي أن يطير، فما ملكت نفسي حتى أنهي قراءتها، فجئت، فأسلمت.

أخي الحبيب...

كم مرة قرأت سورة الطور؟ وكم مرة تأثرت بآياتها؟ وكم مرة خفت من وعيدها؟

أخرج الحافظ ابن أبي الدنيا وابن كثير: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يعس بالمدينة ذات ليلة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائمًا يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ: ﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الطور: ١، ٢]. حتى بلغ: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الطور: ٧، ٨].

فقال: قسمٌ ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره، واستند إلى حائط، فمكث مليًا، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهرًا يعوده الناس، لا يدرون ما مرضه.

وهذا هو أبو سفيان قبل أن يسلم ومعه أبو جهل، والأخنس بن شريق، جاءوا في ليلة، والنبي ﷺ يقرأ - وهو في قيام ليلة - فأخذوا يستمعون إلى قراءته، من خلف الجدار فلما أنهى قراءته انصرفوا في جنح الليل، فرأى بعضهم بعضًا، فقال بعضهم لبعض: ويحكم ماذا جاء بكم؟ فقال كل لصاحبه: جئت

لأسمع القرآن من محمد، قالوا: فلا نعد بعد هذه الليلة، حتى لا نغري السفهاء، وهكذا ثلاث ليال، وفي الليلة الثالثة تعاهدوا أن لا يرجعوا بعد ذلك.

أما آن لنا أن نتأثر بالقرآن؟ أما آن لقلوبنا أن تتأثر بكلام رب العالمين؟!

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٦].

كيف لا تتأثر قلوبنا بالقرآن؟

يقول الإمام الطبري رحمه الله: إني لأعجب ممن يقرأ القرآن، ولم يعلم تأويله فكيف يلتذ بقراءته؟

فلابد إذا أردنا أن نتأثر بالقرآن أن نتدبر معانيه، كما كان رسولنا ﷺ يفعل، وأصحابه - رضوان الله عليهم - كانوا كذلك.

فرسولنا ﷺ قام ليلة كاملة يقرأ ويردد في آية واحدة: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة: ١١٨].

يقول حذيفة رضي الله عنه : صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة. فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ»[١] .

وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب ومحمد بن كعب القرظي رحمه الله يقول: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ ﴾ [الزلزلة: ١]. و ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ ﴾ [القارعة: ١]، لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر، خير من أن أهذّ القرآن هذًّا - أي أقرأه بسرعة.

---

(١) رواه مسلم.

وسفيان الثوري رحمه الله إمام أئمة أتباع التابعين، قام ليلة كاملة، يقرأ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ يكررها ويتدبرها، وينظر في معانيها، ويعيش معها ليلة كاملة.

أحبتي في الله...

ومن يتأمل حال المسلمين الآن، يجد جهلاً بمعاني القرآن الكريم.. فلو سألت أحدهم: هل تحفظ سورة الإخلاص، لما عرفها.. فإن قلت له: تحفظ سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإخلاص: ١]. قال لك: نعم.. فإذا سألته عن معنى ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ ﴾ [الإخلاص: ٢]، لم يعرف، فإذا سألته عن معنى ﴿ ٱلْفَلَقِ ﴾، أو معنى ﴿ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾، أو معنى، ﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝ ﴾ [العاديات: ١، ٢]. ما عرفها، وهذه قصار السور، فما بالك لو سألته عن آية في سورة البقرة أو المائدة أو غيرها؟.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار، تبصرة لأولي القلوب والأبصار، نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل، وقطر الأمطار.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، العليم بما بطن وما ظهر.

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأستاذنا محمدًا عبده ورسوله، ومجتباه من البشر، نبي شق عن صدره، وشق له القمر، وظللته الغمامة، وأجابت لدعوته الشجر، وأيده ربه بمعجزة الآيات والسور، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه القادات الخير.

أما بعد ...

أيها المسلمون.. أحباب رسول الله ﷺ...

لابد أن نتدبر القرآن، ولابد أن تتأثر قلوبنا بالقرآن، تأملوا كيف تأثر غير الإنسان لسماع القرآن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت الفرس مرة أخرى، فقرأ فجالت أخرى.. قال أسيد: فخشيت أن تطأ ابني يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج، عرجت في الجو، حتى ما أراها.

قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة في جوف الليل، أقرأ في مربدي، إذ جالت فرسي، فسكت.. فسكت الفرس، فقرأت فجالت الفرس، فخشيت على ابني يحيى، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو، فقال: «**اقرأ يا ابن حضير.. اقرأ يا ابن حضير، فإنها الملائكة، دنت لتستمع إليك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**»[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الناس ثلاثة - أي عند سماع القرآن -:

رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب، فهذا ليست الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجل له قلب حيٌّ مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوه، التي يخبر الله بها عن الآيات المشهودة، إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه، وقلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب، ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

والثالث: رجل حيٌّ القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه وألقى السمع، وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب ملقى السمع، فهذا النوع هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة.

فالأول: بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والحاكم وغيرهم.

والثاني: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه فكلاهما لا يراه.

والثالث: بمنزلة البصير الذي حدّق - أي ببصره - إلى جهة المنظور إليه، وأتبعه بصره، وقابله على توسط من البعد والقرب، فهذا هو الذي يراه.

فسبحان من جعل كلامه شفاء لما في الصدور.

طلب رسول الله ﷺ من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن فقال له: يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل؟ - يعني من أنا حتي أقرأ عليك؟ - قال: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»[1].

فابتدأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بأول سورة النساء حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء: ٤١، ٤٢].

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يصلح أحوال المسلمين وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.. اللهمَّ ارزقنا فهم القرآن وتدبره اللهمَّ شفع فينا القرآن والصيام.. اللهمَّ اعتق رقابنا من النار.. اللهمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وذهاب همنا وغمنا.

اللهم اجعلنا نتلوه على النحو الذي يرضيك عنا يا رب العالمين.. اللهمَّ لا تدع لنا في هذا اليوم العظيم ذنبًا إلا غفرته ولا دينًا إلا قضيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.

---

[1]) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

الخطبة الحادية والتسعون

رمضان شهر الجود والعطاء والسخاء

الحمد لله.. عظّم بعض الشهور قدرًا.. وجعل لها في سماء الفضائل فخرً ونشر فيها أعلام نعمه نشرًا.. ودعا الناس لعبادته طرا.

أحمده تعالى بكمالاته التي بهرت العقول بهرًا.. وأشكره على نعمه التي لا نحيطها عدًّا ولا حصرًا، ونتضرع إليه أن يكفينا ما أهمنا دنيا وأخرى ونرجوه أن يجلل ذنوبًا مغفرة، وعيوبنا سترًا.

يا رب..

ليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين	وكل الذي فوق التراب تراب

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير.. العزة له، والكبرياء له.. والعظمة له، والتسبيح له. والتقديس له.. أشرقت بنور وجهه الظلمات.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله.. وصفيه من خلقه وحبيبه. رفع الله ذكره.. ووضع عنه وزره.. وأعلى قدره ورفع ذكره بأن لا يذكر إلا ومعه اسمه.. فلا يقال: لا إله إلا الله، إلا ويقال بعدها: محمد رسول الله...

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

اللهمَّ صلّ عليه عدد من صام وصلى وحج واعتمر.. اللهمَّ صلِّ عليه ما ذكره الذاكرون.. وغفل عن ذكره الغافلون.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذا الشهر المبارك، وفي هذا اليوم المبارك، أن يجمعنا مع حبيبنا، وطبيب قلوبنا، ونور أبصارنا سيدنا محمد ﷺ على حوضه الشريف، نشرب من يده الشريفة المباركة، شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإن تقوى الله وصية الله في الأولين والآخرين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

لقاؤنا اليوم بعنوان: «**رمضان شهر الجود والعطاء والسخاء**» وسوف يكون حديثنا في النقاط التالية: الرسول كان أجود من الريح المرسلة، نماذج في الجود والعطاء تأثير الصدقة وفائدتها ، أنفق ولا تخش إقلالًا، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

في شهر رمضان ينبغي أن يضاعف المسلم إنفاقه في وجوه الخير والبر، اقتداء بنبي الهدى ﷺ فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس ﵄ قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ

جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»[1].

هكذا وصف حال النبي ﷺ وهكذا ينبغي للمسلم أن يكون: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا كان جود رسول الله ﷺ مضاعفًا في رمضان؟

لقد كان جوده ﷺ في رمضان مضاعفًا لأسباب ثلاثة:

الأول: لمناسبة شهر رمضان، فإنه شهر تتضاعف فيه الحسنات، وترفع فيه الدرجات، فيتقرب العباد إلى مولاهم بكثرة الأعمال الصالحات.

الثاني: لكثرة قراءته ﷺ للقرآن في رمضان، والقرآن الكريم فيه آيات كثيرة تحث على الإنفاق في سبيل الله، والتقلل من الدنيا، والزهد فيها، والإقبال على الآخرة، فيكون في ذلك تحريك لقلب قارئ القرآن نحو الإنفاق والتصدق.

وحريٌّ بكل من يقرأ القرآن أن يكثر من الصدقة والإنفاق.

الثالث: لأنه ﷺ كان يلقي جبريل عليه السلام في كل ليلة من ليالي رمضان. ولقاؤه إياه، هو مجالسة الصالحين، ومجالسة الصالحين تزيد في الإيمان، وتحث الإنسان على الطاعة، فلذلك كان ﷺ يكثر من إخراج الصدقات في رمضان.

والحديث عن جوده ﷺ يطول، فهو حقًا أجود الناس، وأنواع جوده لا تنحصر.. فقد كان - صلوات ربي وسلامه عليه - لا يرد سائلاً، حتى إنه ربما سأله الثوب الذي عليه، فيدخل بيته، ويخرج وقد خلع الثوب، فيعطيه للسائل.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة - رضوان الله عليهم - فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه، فأكسنيها، فقال ﷺ: «نعم» فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها، ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه ﷺ لا يسأل شيئًا، فيمنعه.

فقال: رجوت بركتها، حين لبسها النبي ﷺ لعليِّ أكفن فيها[1].

ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

فعن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين، فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال: يا قوم، اسلموا، فوالله إنَّ محمدًا ليعطي عطاء من لا يخشى الفقر[2].

وربما اشترى الشيء، ودفع ثمنه، ثم رده على بائعه، وأبقى عنده الثمن، وربما اشترى، فأعطى الثمن وزيادة.. ويصدق عليه قول القائل:

تــراه إذا مــا جئــته مــتهللاً   كأنــك تعطـيه الـذي أنـت سـائله

أيها الأحبة الكرام...

وكان أهل بيته ﷺ كذلك في الكرم والبذل والسخاء، والإنفاق في سبيل الله.. فقد روى مالك رحمه الله عن مولاة لعائشة رضي الله عنها أن مسكينًا سأل عائشة، وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاتها: أعطه إياه، ففعلت، فقالت لها: ليس لك ما تفطرين عليه سوى هذا الرغيف.. فقالت لها: أعطيه إياه، فلما أمسينا، أهدى لها أهل بيت أو إنسان، شاة وكفنها - أي غطاها بالأقراص والأرغفة -

---

(١) رواه البخاري (٥٥٧٦).

(٢) رواه مسلم (٤٢٧٦).

فدعتها السيدة عائشة ﵂ وقالت لها: كلي من هذا، هذا خير من قرصك[١].

وقال عروة بن الزبير ﵁: رأيت عائشة ﵂ تقسم سبعين ألف درهم، وهي ترقع ثوبها، وفي يوم قسمت ثمانين ومائة ألف بين الناس، فلما أمسيت قالت: يا جارية، احضري فطوري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها الخادمة: أما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا، نفطر عليه؟

فقالت: لو ذكرتيني، لفعلت[٢].

لذلك قال سيدنا سلمان الفارسي ﵁: إذا مات السخي، قالت الأرض والحفظة: يا رب، تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه، وإذا مات البخيل، قالت: اللهمَّ احجب هذا العبد عن الجنة، كما حجب عبادك، عما جعلت في يديه من الدنيا[٣].

أيها الصائمون...

رمضان شهر البر والسخاء والكرم، شهر الصدقات، وللصدقة والجود فضائل لا تحصى، فهي تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء، وتدل على الإيمان بالله والثقة به، وإحسان الظن به ﷻ.

وهي دليل على الرحمة، والشعور بالآخرين.. وهي سبب لتيسير الأمور، وتفريج الكربات، وإعانة الرب - جل وعلا - فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

والصدقة مدعاة لزيادة المال، ونزول الخيرات، وحلول البركات، وهي سبب

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» باب: الترغيب في الصدقة، وذكره ابن الأثير في «جامع الأصول» (٦/ ٤٥٢).

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٤٧) للغزالي.

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» (ص٢٠٤) للمقدسي.

للاستظلال في ظل عرش الرحمن جل جلاله، يوم لا ظل إلا ظله.. فمن السبعة الذين يظلهم الله: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ، مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**»[1]. كما أن لها تأثيرًا عجيبًا في دفع البلايا.

قال ابن القيم رحمه الله: وللصدقة تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر، أو ظالم، بل من كافر، وهذا أمر معلوم عند الناس.

والصدقة تشرح الصدر، وتفرح النفس.

قال رحمه الله: المتصدق كلما تصدق بصدقة، انشرح لها قلبه، وانفسح لها صدره، وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة، لكان العبد حقيقًا بالاستكثار منها، والمبادرة إليها.

والصدقة دليل على صدق إيمان العبد، لذلك قال ﷺ في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه الذي رواه مسلم: «**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»[2]؛ لأن النفس مجبولة على حب المال، فإذا تغلب العبد على نفسه، وأنفق ماله، وسخت به نفسه كان ذلك برهانًا على أنه يقدم مرضاة الله ومحبوباته على محبوبات نفسه.

﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن: ١٦].

وللسخاء أثر كبير في القضاء على كثير من الأخلاق المرذولة، كالحسد من الفقراء للأغنياء، وكالكبر من الأغنياء على الفقراء.. وله أثر في ستر العيوب.. قال الشافعي رحمه الله:

وإن كثرت عيوبك في البرايا ... وسرَّك أن يكون لها غطاء

تستر بالسخاء فكل عيب ... يغطيه كما قيل السخاء

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم (٢٣٨).

ثم إنَّ السخي قريب من الله، ومن خلق الله، ومن الجنة، والبخيل بعكس ذلك.

وقد جاء في بعض الآثار، أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى كن للفقير كنزًا، وللضعيف حصنًا، وللمستجير غيثًا، أكن لك في الشدة صاحبًا، وفي الوحدة أنيسًا، وأكلؤك في ليلك ونهارك».

وقد ثبت في بعض الأخبار أن سيدنا موسى عليه السلام مر برجل فقير يسأل الله عز وجل أن يكون من الأغنياء الأثرياء، فرق له الكليم عليه السلام، فقال له: والله لأشفعن لك في مطلبك عند الله عز وجل، فلما ذهب موسى لمناجاة ربه سأله أن يجيب دعوة عبده الذي طلب منه الغنى والثراء، فاستجاب الله له ذلك، وحقق له رجاءه. وبسط له الرزق، وفتح له باب فضله سنة كاملة، لينظر كيف حبه للبر، ومسارعته للخير، وهو بذلك عليم.

فلما عاد إليه موسى عليه السلام، أخبره بأن الله عز وجل قد استجاب دعوته، وحقق له أمنيته سنة واحدة.. وقد صدق الله وعده، ففتح على الرجل أبواب الخير، وجاءته الدنيا من حيث لا يحتسب.. وكان الرجل وفيًا صدوقًا.. فما كاد يملك المال حتى أطعم الفقراء، وواسى البؤساء، وقضى حوائج المحتاجين والضعفاء، ولم يكتف بذلك، بل بنى دارًا للبر والخير، فجعل لها أربعة أبواب، على كل طريق باب يؤدي إليه، ونادى في الناس: من أراد الطعام والكساء، والسكن والإيواء فليقدم إلى رحاب هذا البيت.

فأقبل عليه الفقراء والضعفاء، فضاعف الله عليه النعمة، وزاده من فضله العظيم وطال عمر نعمته، فمضت سنة ثم أخرى، ثم سنوات والنعمة في ازدياد.. فلما رأى موسى ذلك اشتد عجبه، مما جعله يسأل ربه ومولاه في ذلك.

فقال له: يا موسى، لقد فتحت عليه بابًا واحدًا من الخير والبر، ففتح هو أربعة أبواب أفترضى أن يكون العبد أكرم من سيده؟!

الله أكبر.. ألم يقل الله ﷻ في قرآنه: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

عليم بحال المنفق وإخلاصه وصدقه، وعليم بحال النفقة، هل هي طيبة أم خبيثة، وعليم بموقعها فيما يرضى الله ﷻ أو يغضبه.

الله واسع في عطائه ومثبوته.. واسع في عفوه ورحمته ومغفرته.. واسع في كرمه وإحسانه.. واسع في عزته وكمالاته، يعطي بالدرهم سبعمائة ثم يضاعف العطاء أكثر من ذلك إلى ملايين الأضعاف.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

فطوبى لمن وقاه الله ﷻ شح نفسه، وآتاه الجود والسخاء والكرم، والصبر على ذلك، طوبى لمن آتاه الله مالاً فوفقه لإنفاقه في مراضيه سبحانه بالشرع لا بالهوى والعواطف.. قال النبي ﷺ: «**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْـحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّـهُ الْـحِكْمَةَ، فَهْوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[1].

فهذا الرجل الغني، السخي، الذي لا يتوقف عن الإنفاق، كما في الحديث الآخر: «**فَهْوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[2].

فعينه دائمًا على ماله.. يريد أن يهلكه في أبواب الحق، فعلى المسلم أن يتمنى أن يكون مثل هذا الرجل.. صاحب قلب قوي ثابت عند إخراج الصدقة لا يرتجف ولا تتردد يداه، ولا يتبعها بصره، ولا يتبعها بمن ولا أذى، ولا يرائي الناس ولا يريد منهم جزاء ولا شكورًا.

ومن عجيب ما قرأت في الجود والكرم والإنفاق، ما ذكره ابن قدامة رحمه الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

فقال: خرج سيدنا عبد الله بن جعفر ﵄ إلى ضيعة له، فنزل على نخل لقوم فيه غلام أسود، يعمل فيها، إذا أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط (البستان) كلب، فدنا من الغلام فرمى له قرصًا، فأكله، ثم رمى إليه قرصًا آخر فأكله، ثم رمى إليه ثالثًا فأكله، وعبد الله ينظر، ثم قال له: يا غلام، كم قوتك كل يوم؟ فقال له: م رأيت.. قال: فلماذا آثرت به هذا الكلب؟

قال: يا سيدي، إنَّ أرضنا هذه ما هي بأرض كلاب، وأظن أن هذا الكلب جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أرده.

قال: فما أنت صانع؟ قال: أطوى يومي هذا.

فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء، وهذا أسخى مني؟! فاشترى الحائط (البستان) وما فيه من الآلات، واشترى الغلام، وأعتقه، ووهبه له[1].

أرأيتم ماذا فعل السخاء بصاحبه؟

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

انفق ولا تخشى إقلالاً فقد قُسمت	على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية	ولا يضر مع الإقبال إنفاق

يقول النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[2].

ويقول: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ».. ادعوا الله.

---

(١) «المنتقى من مكارم الأخلاق» للخرائطي (٢٠٦).

(٢) رواه البخاري وغيره.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي حث عباده على الجود والإنفاق، وضمن لهم ما يحتاجون إليه من الأموال والأرزاق.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير.. ذو الفضل والإحسان، والجود والعطاء.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على من عمّ جوده وعطاءه الآفاق، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم التلاق.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

إنما يحسن البكاء والأسف على فوات الدرجات العلا، والنعيم المقيم، لما سمع الصحابة - رضوان الله عليهم- قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم، حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية.

فكان أحدهم إذا رأى من يعمل للآخرة أكثر منه، نافسه، وحاول اللحاق به، بل مجاوزته، فكان تنافسهم في درجات الآخرة.. ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦]. أما نحن فعكسنا الآية أو الأمر.. صار تنافسنا في الدنيا الدنية، وحظوظها الفانية.

قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا، فنافسه في الآخرة.

وقال وهيب بن الورد: إن استطعت أن لا يسبقك أحد، فافعل.

فأين التنافس إلى الطاعات؟

أين التسابق في الخيرات؟

أين بذل الزكاة والصدقات؟

أين أصحاب الهمم والعزيمات؟!

قيمة كل إنسان ما يطلب.. فمن كان يطلب الدنيا الدنية، فلا أدنى منه، فإن الدنيا دنية، وأدنى منها من يطلبها، وأخس منها من يخطبها.

قال بعضهم: القلوب جوالة، فقلب يجول حول العرش، وقلب يجول حول الحش.

وإذا كانت النفوس كبارًا ... تعبت في مرادها الأجسام

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

العاقل يغبط من أنفق ماله في سبيل الخيرات، ونيل علو الدرجات، والجاهل يغبط من أنفق ماله في الشهوات، وتوصل إلى اللذات والمحرمات.

اللهم اجعلنا ممن كتب لهم العتق من النيران، والفوز بالدرجات العلى من الجنان.. اللهمَّ وفقنا لليلة القدر، واجعلها خيرًا لنا من ألف شهر.

اللهمَّ اجعل شهر رمضان علينا شهر عز ونصر وتمكين لأمة محمد الأمين.

اللهمَّ اجعل بلدنا بلدًا آمنًا وسائر بلاد المسلمين.

اللهمَّ فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، واقضِ الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ووفق ولاة أمور المسلمين إلى ما تحبه وترضاه.

اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في كل مكان - اللهمَّ ارحم من مات من أهلنا وأحبابنا.. اللهم نور قبورهم، وآنس وحشتهم بعفوك ورحمتك.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون. وأقم الصلاة.



الخطبة الثانية والتسعون

(أ) خطبة عيد الفطر المبارك

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، والحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا وتدبيرًا، نحمده بجميع محامده حمدًا كثيرًا.

الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! والله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد! الله أكبر ما فرح الصائم بتمام صيامه واستبشر، الله أكبر عدد ما ذكر الله ذاكر وكبر، الله أكبر عدد ما حمد الله حامد وشكر، الله أكبر عدد ما تاب تائب واستغفر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم كان شره مستطيرًا سبحان الله الدائم الباقي فلا يزول ولا يتغيَّر، سبحان من آياته على وجوده شاهدة، ودلائل قدرته وعظمته بتنزيهه ناطقة، فهو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!

وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله بعثه بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا، داعيًا إلى الحق بإذنه وسراجًا منيرًا، اللهم صل على عبدك ورسولك وخليلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ما ذكره الذاكرون الأبرار، وصل على عبدك ورسولك محمد ما تعاقب الليل والنهار، وصل على محمد ما لاحت الأنوار، وغردت الأطيار، وأورقت الأشجار، وأينعت الثمار. واختلفت الأمصار، وتتابعت الأعصار، وسلم تسليمًا كثيرًا.

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!.

أما بعد...

فيا أيها المؤمنون والمؤمنات...

أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١]. فاتقوا الله واشكروه على إكمال عدة الصيام واذكروه وكبروه على ما هداكم ورزقكم نعمة الإسلام واعبدوه حق عبادته واتقوه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!

يا أمة محمد يا خير أمة...

إن هذا يوم من أيام الله المباركة جمعكم الله في صباحه المبارك على طهارة وتقى بعد أن أديتم فريضة الصوم خلال شهر مضى بحمد الله تعالى فهنيئًا لكم ما صمتم وما أفطرتم وما فرحتم اليوم بصومكم وفطركم وهنيئًا لكم إقبالكم في هذا الصباح على تكبير الله ﷻ في هذا اليوم وهو يوم الجوائز يرجع القوم من المصلى كيوم ولدتهم أمهاتهم، واليوم تقف الملائكة على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه كل من خلق الله إلا الإنس والجن يقولون: يا أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم، واليوم ينظر الله إليكم في مصلاكم قائلاً لملائكته: أشهدكم أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي، انصرفوا مغفورًا لكم، فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين، ذلكم الجزاء العظيم إنما هو لقوم عرفوا قيمة شهرهم.

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!

إخوة الإسلام...

تذكروا أن شهر رمضان حينما رحلَ عنكم رُفعَتْ معه أعمالكم إلى علام

الغيوب، وقد كنتم في رمضان تفعلون الخيرات وتحافظون على الصلوات، كانت المساجد في رمضان بالمسلمين مملوءة، وكانت المصاحف منشورة ومقروءة، فكم من قائم رضي عنه مولاه، وكم من قائم لم يقبل قيامه، وكم من أسير لذنوبه أعتق في تلك الليالي، وكم من أسير للشهوات، وقتيل للشبهات، عولجت أورامه، وانتهت آلامه، فأقلع عن ذنوبه، وتبصر في عيوبه، فتضرع إلى مولاه، فغفرت خطاياه، ووفرت أقسامه.

قل لي بربك.. كيف كان حالك في الليلة التي قبل البارحة، وفي الثلث الأخير من الليل؟

هل كنت راكعًا ساجدًا باكيًا خاشعًا؟

لا أظنك إلا كذلك فما أسعدك ما نسيت رب رمضان بينما غيرك مع الأسف من ناداهم الغني عنهم ناداهم رحمة بهم ورأفة ولكن أعمت عيونهم الشهوة وأصمت آذانهم السكرة وأغرقت قلوبهم الغفلة!

أناس لم يرفعوا بذلك رأسًا، فدخول الشهر وخروجه عندهم سواء، إنما عمروا لياليه بالسهر، وأيامه بالنوم، هذا حال بعض الصائمين، فما ظنكم بمن لا يصوم، ولا يقوم، ولم يرفع للعزيز الكريم يدًا تسأله، أو يلهج له لسان برب يذكره، فكان رمضان على أمثالهم حجة، وخراجه دون مغفرة لذنوبهم حسرة، الله أكبر، هذه حال المشمرين، فرحماك ربنا رحماك، وعفوك - يا الله - لحال المقصرين.

فأيها المقبولون...

هنيئًا لكم، أيها المردودون: جبر الله مصيبتكم، ماذا فات من فاته خير رمضان؟! وأي شيء أدرك من أدركه فيه الحرمان؟! كم بين من حظه فيه القبول والغفران ومن حظه فيه الخيبة والخسران؟! فلو قارن أحد المفرطين نفسه ببعض من حوله من المشمرين، في شهر رمضان ليرى أن المسافة بينه وبينهم كبيرة، حيث

دخلوا الميدان في يوم واحد بل في ساعة واحدة، ولكنه تباطأ وسوَّف؛ بل ونام كثيرًا حتى سبقه السابقون، لقد حاول أن ينظر إليهم بمقرب الصور (الدربيل) فلم يستطع، فقد سبقوه سبقًا بعيدًا، وظفروا بالجوائز الكبرى.. في يوم العيد السعيد، فتراه يشهد صلاة العيد وموجود، فلو حوّل بصره إلى ناحية أخرى نظر فإذا جملة من العباد والصالحين في مقدمة الصفوف ممن عرفهم بأنواع الطاعات وأصناف القربان، رآهم والبشر والسرور يطفح على وجوههم، وكأن الواحد منهم - لولا خشية إفشاء العمل - لقال بلسان حاله: ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩].

لقد لبس الجديد كما لبسه أصحابه، ولكن شتان بين ابتسامة وابتسامة!! وشتان بين جديد وجديد، أخذت الأحاسيس تتردد في نفسه، وبدأت الأسئلة تتدفق على ذهنه، ويحاول أن يخفي ألمه وحسرته، بتقليب صفحة أخرى لعله يجد نفسه سابقًا ولو في ميدان واحد، فإذا بصفحة صوم الجوارح تواجهه، لقد تذكر ليال كثيرة أطلق لبصره ولسمعه وللسانه فيها العنان، والألم والحسرة يكادان يفلقان كبده - كم ضاع وقته في تتبع المسابقات الدنيوية في الصحف والقنوات التي أشغلته عن المسابقات الأخروية.. يلتفت يسرة ويمنة في مصلى العيد فيشاهد بعض أصحابه في أحسن حُلة، وأجمل لباس، والابتسامات تتوزع هنا وهناك، ولسان حاله يقول: هؤلاء أصحابي الذين أمضيت ما أمضيت معهم من الوقت فيما لا فائدة فيه، بل فيما حرَّم الله أحيانًا.

وقد يرى ثلة من أصحابه حاضرين معهم في مصلى العيد، والبسمة تظهر على محياهم وهو يراهم، فماذا يبتسمون يا ترى؟! أهم يبتسمون ويضحكون على التخلص من رمضان أم على ماذا؟ أم فرحًا بإطلاق العنان لشهوات النفس؟ أم على لبس الجديد أم على ماذا يا ترى؟

وتذكر لحظتها كلمة سمعها في خطبة العيد العام الماضي: ليس العيد لمن لبس الجديد، ولكنه لمن رضي عنه ربُّ العبيد، وأعتقه من العذاب الشديد، طافت به هذه التساؤلات وهو يقلب طرفه في أولئك الصالحين والعباد وهو يتذكر ما سمعه من أحاديث نبوية، وهو أن الصالحين يفرحون بالعيد لتمام نعمة الله عليهم ببلوغ الشهر وتمامه، والرجاء يحدوهم من الرب الكريم أن يقبله منهم!

ويخرج من مصلى العيد، وهو يعد نفسه الوعود الصادقة، ويمنيها بالعزمات الأكيدة، ويقول في نفسه: لئن أحياني الله تعالى إلى رمضان القادم ليرينَّ الله ما أصنع!! ولأعيشنَّ هذه الفرحة التي عاشها الصالحون العاملون، وكل عام يحدث نفسه باستغلال فرصة رمضان، وكم مناها بصلاحها فيه، ولطالما عاهد نفسه قبل دخوله بأوبة حقة وتوبة صادقة، ودمعة حارة، ونفس متشوقة، ولكن كلما أتى قضى الشيطان على الأمنية، وخاست النفس الأمارة بالسوء بعهدها وغدرت، فثابت ليالي ورجعت أيامًا، ثم عادت لسالف عهدها كأن لم تغن بنور رمضان وضيائه، أهمل نفسه فلم يكرمها بكرامة رمضان، ولم يرغم أنفه بالسجود للملك الديان، فأصبح يقبل كفيه على ما فاته من الأجر العظيم، وما ناله من ثبور وخسران، طوبى لمن لداعي ربه أجاب، وعمل صالحًا فأصاب، وتعرض للرحمة ففتح له الباب. وويل لمن أدرك رمضان فخرج فلم يغفر له ولم يعتق من النار.

هذه - أخي الحبيب - مشاعر نادم على التفريط، جالت في ذهنه وبسرعة وهو في مصلى العيد ينتظر الصلاة مع المسلمين في عيد الفطر الماضي.. وهي بالتأكيد مشاعر كل مؤمن في قلبه حسٌّ وإدراك لفضائل شهر رمضان، ومناقبه وعظيم منزلته عند الله، ونقول لمن فاته الركب، وخالفه الحظ، وخانه التوفيق، لم تقفل الأبواب في وجهه، ولم تغلق السبل دونه، فباب التوبة مفتوح، والمجال مفسوخ، ما لم تغرغر الروح، وإذا انقضى رمضان فأبواب الصيام مشرعة، وميادين البر

مفتوحة، وليعلم المقصر أنه يعبد ربًّا رحيمًا وسعت رحمته كل شيء، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، عظيم عفوه، واسعة رحمته، كثير جوده، يناديه نداء المتلطف، ويدعوه دعوة المشفق، فيقول جل وعلا: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

ويا من أعتقه مولاه من النار، إياك ثم إياك أن تعود بعد أن صرت حرًا إلى رق الأوزار، أيُبعدُك مولاك من النار وأنت تقترب منها؟! ويُنقذك وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها؟! وهل ينفع المفرط بكاؤه وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه؟!

فيا من تذوقت حلاوة الطاعة، إياك والولوغ في وحل المعصية.

ويا من شممت عبق الجنة، ووجدت ريح الفردوس، إياك أن تزكم أنفك بنتن الخطيئة، ورائحة النار.

ويا من تعلقت بخيوط السعادة، وتشبثت بحبال الطمأنينة، إياك والتعلق بذيول الندامة، والسير في ركب الغواية.

يا من بنيت قصورًا من الطاعة، وشوامخ من العبادة، احذر أن تنسف ما بنيت، وتهدم ما شيدت، وتنقض ما أبرمت، واحذر أن ترجع إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام، فالرضاع إنما يصلح للأطفال لا للرجال.

واعلموا أنه لا بد من الصبر على مرارة الفطام، فإن صبرتم عوضكم الله عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في القلوب فالعيد استمرار على العهد، وتوثيق للميثاق، وحافظوا على عهدكم مع الله بالاستمرار على نهج التقوى، والمحافظة على العهد والميثاق امتثالاً لأمر الله ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩].

وأخلصوا لله في أعمالكم وأقوالكم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

يقول الحسن البصري رحمه الله: «الناس هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون في خطر عظيم لأن الله يقول: ﴿ لِيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٨]

فعليكم بالصدق والوفاء بالعهد وحافظوا على دينكم وقوموا بواجبات وأركانه، فهو دين الشمول والكمال لا خير إلا جاء به، ولا شر إلا حذر منه، جاء بجلب المصالح ودرء المفاسد والحفاظ على الدين والنفس والمال والعقل والعرض، قام على أسس عظيمة وأركان متينة، من لم يأت بها فقد خسر دينه. وأهم أركانه بعد الشهادتين الصلاة المفروضة فهي الفرقان بين الكفر والإيمان.

يقول ﷺ: «**الْـعَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ: الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**». خرجه الإمام أحمد وأهل السنن عن بريدة رضي الله عنه ، وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**بَيْنَ الْـعَبْدِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْـكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلاَةِ**» .

ولابد من إقامة الصلاة بأركانها وواجباتها في الجماعة في بيوت الله عز وجل، أدوا زكاة أموالكم - يا عباد الله - طيبة بها نفوسكم، تمتعوا بما جاء به الدين الإسلامي الحنيف من النظام الأخلاقي والاجتماعي المتميز، وذلك برعاية الأخلاق الحميدة، والبعد عن الخصال الذميمة والأخلاق الرذيلة ونشر المحبة الوئام. والسلام بينكم والبعد عن الغيبة والنميمة والبهتان.

اتبعوا ما جاء به الدين الحنيف من النظام الاقتصادي العادل الذي لا وكس فيه ولا شطط، وذلك برعاية الأموال والحرص على سلامة مدخلها ومخرجها ورعاية المكاسب المباحة والبعد عن الحيل الممنوعة والمكاسب المحرمة كالربا والسرقة والاختلاس والرشوة ونحوها، احفظوا جوارحكم من الآثام، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ولا تبغوا الفساد في الأرض، قوموا على من تحت أيديكم من الأهل والأولاد بالتربية الإسلامية الصحيحة التي لا غلو ولا تقصير

فيها، احرصوا على اجتماع القلوب وصفاء النفوس، صلوا الأرحام وبروا الآباء والأمهات، فليقم كل واحد منكم يا عباد الله بحقوق الوالدين، فإن حق الوالدين عظيم، قرنه الله سبحانه بحقه فقال سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

كما يجب أن يؤدي المسلم واجبه تجاه أقاربه وجيرانه من حيث الصلة والبر والإحسان وليحذر من قطيعة الرحم فإن شؤمها عظيم، وضررها كبير، يحل بصاحبه العقاب العاجل قبل الآجل.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝ ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

فمن لم يصل رحمه ويتعاهد بخيره أقاربه فلا خير فيه ولا نفع منه.

فالعيد فرصة لكل مسلم ليتطهر من درن الأخطاء، فلا يبقى في قلبه إلا بياض الألفة ونور الإيمان، لتشرق الدنيا من حوله في اقتراب من إخوانه ومحبيه ومعارفه وأقاربه وجيرانه إذا التقى المسلمان في يوم العيد وقد باعدت بينهما الخلافات أو قعدت بهما الحزازات فأعظمهما أجرًا البادئ أخاه بالسلام، فابتهجوا بعيدكم، فالعيد فرحة ومناسبة.

العيد يوم الأطفال بالفرح، ويوم الفقراء بالمواساة، ويوم القربى بالتراحم، ويوم الناس جميعًا بالتسامح والتزاور، ويوم الأصدقاء بتشديد أواصر الحب والمودة.

بشاشة تخالط القلوب، وانشراح يملأ الصدور، سر العيد فيما يغشى النفوس من رحمة وبر وابتهاج، يوم العيد تأنس بوالديك وتباسط أهلك وتقر عيناك بأبنائك وتهش لإخوانك وأحبابك.

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد.

أيها الآباء والأمهات...

واجبكم تقوى الله في أبنائكم، ربّوهم التربية الصالحة، راقبوا سلوكَهم وتصرفاتهم، حذِّروهم من مجالس السوء ومن دعاة الباطل والضلال الذين يسعَونَ لتلويث أفكارهم وإدخال [أمور في أفكارهم] هي بعيدة كلَّ البُعد عن دينهم وعن مصالح دنياهم، وواجب عليكم أيها المربون تشويق الجيل إلى سيرة الرسول ﷺ فهي التطبيق العملي لمعاني القرآن والأخلاق العظيمة ولما لها من تأثير محبب في النفس ولما تحمل في حياتها من معاني الحب والإخلاص التربية تحتاج إلى صبر ومصابرة ودعاء ومتابعة فربما استجاب الولد بعد حين وادكر بعد أمة.

وأنتم أيها الشباب...

اتقوا الله تبارك وتعالى واعتصموا بكتابه وبسنة نبيه، واعلموا أنكم مستهدفون من أعداء الأمة، وأن هدفكم في هذه الحياة أسمى مما يراد بكم. فأعيدوا النظر مرتين، وارجعوا البصر كرتين، وإياكم ثم إياكم أن يكون قدوتكم هؤلاء الذين ما لهم من خلاق، ولتكن أيها المبارك فاعلاً لا غافلاً مؤثرًا لا متأثرًا متبوعًا لا تابعًا مصلحًا لا مقلدًا وتكون لبنة بناء وإشعاع خير لمستقبل مجتمعك وحضارة أمتك لك انتماؤك الإسلامي المتميز وعقيدتك.

يا أرباب المال...

ساهموا في إصلاح معايش الناس على الحلال حتى يبارك لهم ووفروا لهم سبل العيش الكريمة البعيدة عن كل ما يغضب الله لا تنشروا المعاملات المحرمة ولا الفوائد الربوية لا ترهقوا كاهل المساكين بالديون والقروض بالفائدة كونوا عونًا لمجتمعكم وإخوانكم فإنه من شكر النعمة إياكم والغش والخداع وأكل أموال الناس بالباطل فإن الصدق في المعاملة من أسباب البركة «فإن صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما»، و «من غشنا فليس منا».

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أن للدين آثارًا في الأخلاق، وفي الأعمال ظاهرة، واعملوا لدينكم في جميع أوقاتكم، يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، في منشطكم ومكرهكم، لا تملق ولا مداهنة، ولا غش ولا خيانة، ولكن يتصف المؤمنون بالذلة للمؤمنين، وبرحمة الصغير وتوقير الكبير، والنصح لكل مسلم أعاد الله علينا وعليكم من بركات هذا العيد السعيد، وحشرنا وإياكم في زمرة أهل الفضل والمزيد، اللهم إنا نسألك رحمة تهدي بها قلوبنا، وتجمع بها أمرنا، وتعصمنا بها من كل سوء، وتوفقنا للقيام بكل ما فرضت علينا، من صلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد، اللهم فكما بلغتنا شهر الصيام والقيام، اجعل عامه من أبرك الأعوام، وأيامه من أسعد الأيام، ومغفرة لنا بمحو الذنوب والآثام.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان، والتائب حبيب الرحمن. أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله معيد الجمع والأعياد، ليفيض فيها من الخيرات على العباد.

الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! والله أكبر! الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد.

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الديان، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله إلى الثقلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كرام النفوس والأبدان، بذلوا أرواحهم في طاعة الرحمن، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وسلم تسليمًا كثيرًا، الله أكبر العظيم المجيد، المبدئ المعيد، كلَّما هلَّ العيد، واستجد جديد، وأمدَّ الله الشاكرين على نعمه بالمزيد.

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!

أيها المسلمون...

إننا إذ نعلن اليوم سرورنا، وابتهاجنا سرورًا برحمة الله، وابتهاجًا بالعتق من النار، نسأل الله أن نكون ممن أعتق من النار، وفرحًا بالهداية، والتوفيق للعبادة صيامًا وقيامًا وتلاوة، وصدقة، إننا إذ عشنا تلك السعادة الغامرة بعبادة الله والتذلل إليه، ومناجاته، إننا إذ نتمنى أن نعود إلى ما ودعناه أعوامًا عديدة، وأن تمد آجالنا لندرك مثلها، ونستنشق عبيرها، وحُق للمؤمن الذي شرح الله صدره للعمل الصالح أن يفرح بما أنعم الله عليه به من توفيق ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [يونس: ٥٨].

وأنتم اليوم تغبطكم الفرحة بفضل الله وبرحمته بعد أن منَّ الله علينا بإكمال العدة فرح في كمال العدة، وفرحٌ بالفطر فيوم عيد الفطر هو يوم الفرحة الأولى للصائمين، ويرجون أن تكون هذه الفرحة جالبة للفرحة الكبرى، حين يلقون ربهم فيرون الصيام لهم شفيعًا، فقد علمتم أن للصائم فرحتان يفرحهما: «**إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**». فلمثل هذا اليوم يعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر، ولله الحمد!

عباد الله...

تذكروا باجتماعكم هذا يوم يجمع الله الأولين والآخرين لفصل القضاء بينهم، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، تذكروا يا عباد الله يوم تحشرون إلى ربكم حفاة عراة غرلاً كما ولدتكم أمهاتكم، قد حفيت منكم الأقدام، وعريت منكم الأجساد، وشخصت الأبصار.

تذكروا - عباد الله - الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والحشر وكرباته، واستعدوا لذلك بالتوبة النصوح والعمل الصالح الذي يقربكم إلى الله.

كـــل امـــرئ مـــصبحٌ بأهلـــه والمـــوت أدنـــى مـــن شراك نعلـــه

وتذكروا في هذا الاجتماع ما أمامنا من الأهوال والأفزاع، تذكروا اجتماع يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٨].

وتذكروا حين الانصراف من هذا الاجتماع تذكروا الانصراف من الموقف، يوم يأخذ الإنسان كتابه إما بيمينه وإما بشماله.

وتذكروا - عباد الله - من صلى معنا في هذا المكان في العام الماضي من الأبناء والآباء والأحبة والإخوان، ارتحلوا عنا، أتتهم آجالهم، أخذهم هادم اللذات، فكانوا في حفر مظلمة ليس ثمة زيادة في أعمالهم ولا نقص في أعمالهم، من عمل خيرًا لقيه ومن عمل شرًّا لقيه.

فاحذروا - يا عباد الله - فإنَّا إلى ما صاروا إليه صائرون، فعلينا أن نستقبل آجالنا بتوبة صادقة تمحو ما سلف من الذنوب، وعلينا أن نتوب إلى الله توبة صالحة تطهرنا من أدران السيئات.

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله...

لا تنسوا صيام ست من شوال، وبادروا بها واستبقوا الخيرات، قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**».

ثم عليكم بالاستقامة على العمل الصالح والثبات على الطاعة، وإياكم والنكوص والتراجع بعد التوبة.

يا أهل العيد...

إن في مجتمعكم فئة غالية علينا ابتلاها الله بالمرض فلم يشهدوا صلاة العـ
فزُوروهُم وادْعُوا لهم بالشفاء العاجل، ففرحة العيد ليست موقوفة على الأصحـ
بل للمرضى فيها نصيب، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ
اللَّـهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْـجَنَّةِ مَنْزِلاً».[رو
الترمذي]، فقلوبهم متطلعة للزيارة، ولا تنسوا موتانا من الدعاء والاستغفـ
والصدقة، فقد انقطع عملهم إلا ما تمدونهم به من الدعاء، ولا تنسوا موتاكم ...
الدعاء والصدقة، فقد انقطع عملهم إلا ما تمدونهم به من دعاء وصدقة.

عباد الله...

قوموا إلى بعضكم وتصافحوا وتزاوروا ولا بأس أن يهنئ بعضكم بعضـ
العيد لورود ذلك عن الصحابة ﭫ وكان من هدي النبي ﷺ مخالفة الطريـ
العيد فعودوا من غير الطريق التي قدمتم فيها اقتداءً بنبيكم محمد ﷺ: ﴿ لَّقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
[الأحزاب: ٢١].

الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله! الله أكبر! الله أكبر ولله الحمد!

أعاد الله عليَّ وعليكم من بركات هذا العيد، وجعلنا في القيامة من الآمنيـ
وحشرنا تحت لواء سيد المرسلين، عليه الصلاة من رب العالمين، اللهم اجعـ
عيدنا فوزًا برضاك، واجعلنا ممن قبلتهم فأعتقت رقابهم من النار، اللهم اجعـ
إخوة متحابين حتى نلقاك، وأظلنا بظلك يوم لا ظل إلا ظلك يا رب العـ...
اللهم نور على أهل القبور من المسلمين قبورهم، واغفر للأحياء ويسر ...
أمورهم، اللهم أعد علينا شهر رمضان بالخير والبركات والصحة والمعـ...
برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعد علينا هذا العيد أعيادًا عديدة، وأعوامًا مديدة، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك غفور سميع الدعوات.

اللهم ارحم من مات من الأهل والأحبة واجعل اللهم قبورهم نور وآنس اللهم وحشتهم بعفوك ورحمتك إنك أنت الرحمن الرحيم، وأسألك اللهم لنا ولهم العتق من النار والفوز بالجنة إنك بنا وبهم رؤوف رحيم.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].



الخطبة الثالثة والتسعون

(ب) خطبة عيد الفطر المبارك

الحمد لله رب العالمين.. يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

الله أكبر ولله الحمد.. الله أكبر عدد من صاموا نهاره وقدسوه.

الله أكبر عدد من عرفوا فضل ليله فقاموه.. الله أكبر عدد من قرأوا فيه القرآن وتدبروه.. الله أكبر عدد من حاربوا فيه الشيطان وخاصموه.

سبحان من رفع السماء بلا عمد.. سبحان من بسط الأرض على ماء جمد.

سبحان من خلق الإنسان في كبد.. سبحان من أحاط علمه بكل من غاب أو شهد.

سبحان من أعطى عباده ورزقهم من غير حساب ولا عدد.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. مكمل الأجر، وجاعل ظلام الليل نسيخة للفجر.. المحيط علمه بخائنة الأعين، وخافية الصدر.. أحصى عدد الرمل في الفيافي والقفار.. لا يخفى عليه باطن السر وظاهر الجهر.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا ومعلمنا محمدًا عبد الله ورسوله، المبعوث رحمة للأنام، وداعيًا إلى دار السلام، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر.. صاحب الحوض المورود.. واللواء المعقود، والمقام المحمود، وصاحب الشفاعة العظمى يوم العرض على أحكم الحاكمين، وذلك يوم التناد.

اللهمّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون.. أحباب الحبيب محمد ﷺ...

رمضان سوق قام ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنأه، ومن الخاسر فنعزيه؟!

اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن كل باكٍ فسيبكي، وكل ناعٍ فسينعي، وكل مذخور سيفني، وكل مذكور سينسى، ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلى.

لقد ودعنا شهر رمضان.. شهر الصيام والقيام، وتلاوة القرآن.. شهر مغفرة الذنوب، وستر العيوب، وعمارة القلوب.

ذهب شهر رمضان وولى ومضى، كأنه طيف خيال، أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.. ذهب شهر رمضان بأيامه الجميلة، ولياله العطرة، وثماره اليانعة ذهب وقد استودعناه أعمالنا، خيرها وشرها، حلوها ومرها، صفوها وكدرها.

فيا ليت شعري! أيشهد لنا رمضان أم يشهد علينا؟!

مرَّ بعض الصالحين على شباب يلعبون يوم عيد الفطر، فقال لهم: يا هؤلاء، إن كان صومكم قد قُبل، فما هذا فعل الشاكرين؟! وإن كان صومكم لم يقبل فما هذا فعل المحزونين، فوقع كلامه في قلوبهم، وتركوا لهوهم.

واعلموا - عباد الله - أنه ما من يوم ينشق فجره، إلا وينادي منادٍ: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، فاغتنمني، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

فكل يوم يمر عليك يا عبد الله، فإنه يطوى في سجل أعمالك ذاهبًا بما استودعته من أقوالك، وأفعالك، فإن يكن خيرًا فخير، وإن يكن شرًّا فشر ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

ذهب شهر رمضان، وربما يكون آخر رمضان في سجل حياتنا، أتراه يعود علينا أم يدركنا المنون، فلا يؤول علينا.

هل استفدنا من رمضان؟ هل جنينا من ثماره اليانعة؟ هل تحققنا بالتقوى وتخرجنا من مدرسة رمضان بشهادة المتقين؟

هل تعلمنا فيه الصبر والمصابرة على الطاعة، وعن المعصية؟ هل ربينا فيه أنفسنا على الجهاد بأنواعه؟ هل جاهدنا أنفسنا وشهواتنا وانتصرنا عليها؟ أم غلبتنا التقاليد والعادات السيئة؟

هل سعينا إلى العمل بأسباب الرحمة والمغفرة، والعتق من النار؟ هل.. هل. أسئلة كثيرة.. يجب أن نطرحها على أنفسنا.

أحبتي الكرام...

إنَّ العيد مظهر من مظاهر الدين، وشعيرة من شعائره المعظمة، التي تنطوي على حكم عظيمة، ومعان جليلة، وأسرار بديعة.

ومن رحمة الله ﷻ بهذه الأمة أن جعل لهم يومين في كل عام ينظرون فيهم مصالحهم العامة، ويؤكدون فيها أسباب المودة والمحبة.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ ولأهل المدينة يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال: **«قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ يَوْمَانِ تَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْـجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ أَبْدَلَكُمْ اللَّـهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَوْمَ الْـفِطْرِ»**[1].

---

(١) صحيح: «صحيح سنن النسائي» رقم (١٥٥٦)، و«صحيح الجامع» (٤٤٦٠). و«الصحيحة» (٢٠٢١).

فليس العيد بأكل الطعام والشراب وما حسن منهما، ولكن العيد شكر لله ﷻ من العبد على أن وفقه لأعظم فريضتين.. فريضة الصيام، يأتي بعدها، بعد انتهاء شهر الصيام، في أول يوم من شوال.. قال ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

هكذا شرع لنا الصيام ورتب عليه جزاء عظيمًا، جزاء الصابرين ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر: ١٠].

وفي ختام هذه النعمة العظيمة، شرع لهم عيد الفطر.. قال ﷺ: «**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**»(٢).

دخل رجل على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم العيد، فوجده يأكل خبزًا خشنًا. فقال: يا أمير المؤمنين، يومُ ا العيد، وتأكل خبزًا خشنًا؟

فقال: اليوم عيد من قبل الله صومه، وشكر سعيه، وغفر ذنبه.

ثم قال: اليوم لنا عيد، وغدًا لنا عيد، وكل يوم لا نعصي الله تعالى فيه فهو عيد وهذا هو سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله الرجل الذي كانت زوجته تملك من المال ما يزاحم خزائن البنوك، الرجل الذي تزوج امرأة كانت الدنانير والدراهم تتمرغ في أعتاب بيتها.. لماذا؟ لأنها فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، وكان خليفة للمسلمين، لا أقول يحكم مصر وحدها، ولا بلاد الشام وحدها، لقد كان يحكم مصر وليبيا والسودان، ونجد والحجاز وبلاد الشام كلها وبلاد ما وراء النهر، وبلاد السند لأن زوجته فاطمة كان أبوها خليفة، وزوجها خليفة، وإخوتها الأربعة خلفاء الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، اليزيد بن عبد الملك، هشام بن عبد الملك، ورغم كل هذا في يوم من أيام العيد.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

جاءت بنات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وقلن: يا أمير المؤمنين، غدًا العيد وليس عندنا ثياب جديدة نلبسها.. بنات أمير المؤمنين يوم العيد لا يجدن ثيابً جديدة يلبسنها، فماذا كان رد أمير المؤمنين عليهن؟ نظر إليهن، وقال: يا بناتي، ليس العيد من لبس الجديد، إنما العيد من خاف يوم الوعيد.

فقال له وزير ماليته - أراد أن يجامله -: يا أمير المومنين، ما ضر لو صرفنا لك راتب شهر مقدمًا؟ فنظر إليه عمر نظرة غضب، قائلاً له: ثكلتك أمك، هل اطلعت على علم الغيب، فوجدتني سأعيش يومًا واحدًا بعد الآن؟!

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

أحبتي الكرام...

وهو على فراش الموت، يسألونه هذا السؤال، ماذا تركت لأولادك يا أمير المؤمنين؟ كم مليونًا تركت؟ كم مليونًا في بنوك سويسرا؟ ماذا تركت لأولادك الخمسة عشر؟ كم قصرًا؟ كم سيارة؟

قال: تركت لهم الله ورسوله.. تركت لهم تقوى الله عز وجل.. سبحان الله.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله أخلو بها وحدي.. لا إله إلا الله يغفر بها ذنبي، لا إله إلا الله أفني بها عمري.. لا إله إلا الله أدخل بها قبري.. لا إله إلا الله ألقى بها ربي.. تركت لهم تقوى الله، كيف يا أمير المؤمنين؟

فيقول: إن كانوا صالحين، فالله يتولى الصالحين، وإن كانوا غير ذلك، فلم أترك لهم شيء يستعينون به على معصية الله عز وجل.

هذا هو العدل.. النزاهة كلها.. الزهد كله.. الإخلاص كله.

يقف هذا الخليفة العادل يومًا بعدما صلى العيد، فيقول: اللهمَّ إنك قلت وقولك الحق: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فإن كنت من المحسنين، فارحمني وإن لم أكن منهم، فقد قلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإن لم أكن أهلاً لرحمتك، فأنت أهل التقوى، وأهل المغفرة، فاغفر لي، وإن لم أكن مستحقًا لشيء من ذلك، فأنا صاحب مصيبة، وقد قلت: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]. فارحمني برحمتك يا أرحم الراحمين.

أيها الأحبة الكرام...

عهدناكم في رمضان على الصلوات في الأوقات حريصين، وعلى شهود الجمعة والجماعات مقبلين، وعلى مجالس العلم والذكر محافظين، ولقبول النصائح والعظات مستعدين.. عهدناكم في رمضان قوامين تالين للقرآن، مرتلين له آناء الليل، وأطراف النهار، واقفين عند حدوده، مأتمرين بأوامره، متدبرين لآياته.. فعلى أي شيء عزمتم بعد انقضاء شهر الصيام والقيام، وتلاوة القرآن؟

والجواب: ما نراه ونلمسه من حال بعضنا.. فبعض الناس قد زادهم رمضان إيمانًا، فاض الله عليهم من فضله، فزاد حبهم للخيرات، فتجدهم في أبواب الخير متسارعين، وفي وجوه البر متنافسين، وفي الطاعات متسابقين، وللمعاصي تاركين.. ولسان حال الواحد منهم يقول: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزمر: ١٣].

هذا في الدنيا، أما في الآخرة، فيكون لسان حالهم ومقالهم: ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨]. نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء، وأن يجمعنا به في جنة الخلد.

الله أكبر، الله أكبر الله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. الدائم فلا يزول، ولا يحول، الذي جعل ال
والنهار خلفة لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورًا.

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر ا
الحمد.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. فتح أبواب رحمته، لمن داوم على طاعته وحج
أنوار هدايته عمن انقاد لشهوته.

وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبد الله ورسوله.. أرسله ربه والحق دائر.. فق
الباطل بالحق الظاهر.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه صلاة :
على مر الأزمان، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب رسول الله ﷺ..

رمضان سوق قام ثم انفض، ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر.

ربح فيه من كانت همته عالية، وسابق في الخيرات..

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم

ربح فيه من تاب إلى ربه وأناب.. من تاب وافتتح شهره بتوبة، واخ
رمضان بتوبة. فالله ﷻ يفرح بتوبة عبده المؤمن.

أقبل أيها العاصي مهما كان ذنبك، فعفو الله أعظم.. مهما كان جرمك فكرم
أوسع.. عد إليه.. ﴿ **۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ** ا
إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

عد إلى ربك..

دع عنك ما فات في زمن الصبا	واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
لم ينسه الملكان حين أودعتها	بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح منك وديعة أودعتها	ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها	دار حقيقتها متاع يذهب
الليل فاعلم والنهار كلاهما	أنفاسنا فيهما تعد وتحسب

أيها الأحبة الكرام...

لا تنسوا اليتامى في هذا اليوم العظيم.. امسحوا على رؤوس اليتامى.. أحسنوا إلى اليتامى.. فمن مسح رأس يتيم، لم يمسحه إلا لله، إلا كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات.

من أراد أن يكون مع النبي ﷺ في الجنة، فليحسن إلى اليتامى، قال ﷺ: **«أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»**. وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ يَعْنِي السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى[١]، وفرج بينهما.

قال ابن بطال: حق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة أفضل من ذلك.

إن أردت أن يلين الله قلبك، وتدرك حاجتك.. امسح رأس اليتيم.. ابتسم له.. طيب خاطره.. أدخل البهجة على روحه الظامئة، بكلمة باسمة.

أتى رجل إلى الحبيب الرحيم محمد ﷺ يشكو قسوة في قلبه، فقال له: **«أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك»**[٢].

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٢) صحيح: رواه الطبراني عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠).

وأوحى الله تعالى إلى نبيه داود عَلَيْسَلِيْر: **«يا داود، كن لليتيم كالأب الرحيـ وكن للأرملة كالزوج الشفيق، واعلم كما تزرع تحصد»**(١).

وناجاه يومًا، فقال له: إلهي، ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي».

اللهمَّ لا تدع لنا في هذا اليوم العظيم ذنبًا إلا غفرته.. ولا مريضًا إلا شفيته ولا معسرًا إلا يسرته.. ولا ميتًا إلا رحمته.

اللهمَّ أعتق رقابنا من النار.. اللهمَّ تقبل صيامنا.. وصلاتنا.. وصدقة فطرنـ.

اللهم أصلح أمة محمد.. اللهمَّ فرج الكرب عنهم.. وأصلح أحوالهم.. وتو أمرهم.. وأحسن عاقبتهم.

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين.. وأذل الكفرة والمشركين.. اللهمَّ فل حدهمـ وفرق جمعهم.. وخالف بين كلمتهم.. وامح آثارهم.. واقطع دابرهم وأنزل بهـ بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين.. وأدم النصر والتمكين والظفر والفتح المبين، لمن اخترته لإصلاح أمور المسلمين.

أعاد الله علينا وعليكم من بركات هذا العيد السعيد.. واحشرنا وإياكم في زمرة أهل الفضل والمزيد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكـ الحكيم، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

وقوموا إلى عيدكم، وكل عام وأنتم في طاعة الله رب العالمين.

---

(١) صحيح: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح قاله الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٦٤).

الخطبة الرابعة والتسعون

ماذا بعد رمضان؟

الحمد لله رب العالمين.. خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته وقهرها بجبروته، وذللها بعزته، فذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطن ذوي الألباب، وقامت بكلمته السموات السبع والأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح وسار في جو السماء السحاب، وقامت البحار.. وهو الله الواحد القهار مغشي الليل النهار..

هو الذي يرى دبيب الذر ... في الظلمات فوق صم الصخر
وسامع للجهر والإخفات ... بسمعه الواسع للأصوات
وعلمه بما بدا وما خفى ... أحاط علمًا بالجلي والخفي

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [المجادلة: ٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، كلمة قامت بها السموات وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله رسله، وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وانقسم الخلائق إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفجّار، عن حقوقها يكون السؤال والجواب، وعليها يقع الثواب والعقاب.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه، أعرف الخلق به، وأقومهم بخشيته، وأنصحهم لأمته، وأصبرهم لحكمه، وأشكرهم على نعمه، وأعلاهم عند الله منزلة، وأعظمهم

جاهًا عند ربه ومولاه.. اللهمّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته الأخيار، وسلم تسليمًا كثيرًا، ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ ﴾ [الطور: ١٧ - ٢٠].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

حياكم الله جميعًا أيها الآباء الفضلاء، وأيها الإخوة الأحباب الأعزاء، وطبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، الذي جمعنا في هذا المسجد المبارك، وفي هذا اليوم المبارك أن يجمعني وإياكم مع حبيب قلوبنا ونور أبصارنا، سيدنا محمدٌ ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه

أحبتي في الله...

«ماذا بعد رمضان؟» هذا هو عنوان محاضرتنا اليوم، في أول جمعة بعد شهر القرآن.. وشهر الصيام.. وشهر البر والتقوى.

ليسأل كل منا نفسه: كيف حالك أيتها النفس بعد رمضان؟ وكيف كان حالك في رمضان؟ رغم أنه لم يمر على رحيل رمضان إلا أيامًا معدودات.

إيه أيتها النفس، كنت قبل أيام في صلاة وصيام، وتلاوة وقيام.. وذكر ودعاء وصدقة وإحسان، وصلة للأرحام.. قبل أيام كنَّا نشعر برقة القلوب، واتصالها بعلام الغيوب.. كانت تتلى عليه آيات القرآن، فتخشع القلوب، وتدمع العيون، فنزداد إيمانًا وخشوعًا، وإخباتًا لله ﷻ.. ذقنا حلاوة الإيمان.. وعرفنا حقيقة الصيام، ذقنا حلاوة المناجاة.. كنا نتقلب في أعمال الخير، وأبوابه حتى قال قائلنا: ليتني أموت على هذا الحال، لما يشعر به من حلاوة الإيمان ولذة الطاعات وهكذا مضت الأيام، ورحل رمضان.

رحل رمضان، فربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، وقُبل فيه من قُبل.. وطرد فيه من طرد.. رحل رمضان.. والرحيل مرٌّ على الصالحين..

فيا عين جودي بالدمع من أسف ... على فراق ليال ذات أنوار

على ليالٍ لشهر الصوم ما جُعلت ... إلا لتمحيص آثام وأوزار

يا لائمي في البكا زدني به كلفًا ... واسمع غريب أحاديث وأخبار

ما كان أحسننا والشمل مجتمع ... منَّا المصلي ومنَّا القانت القاري

رحل رمضان.. ولم يمض على رحيله سوى ليالٍ وأيام، ولربما رجع تارك الصلاة لتركها.. وآكل الربا لأكله.. وسامع الغناء لسماعه.. وشارب الدخان لشربه.. أين الخشوع، وأين الدموع التي كانت في السجود والركوع؟!

أين التسبيح والاستغفار، وأين مناجاتك لله الواحد القهار؟!

رحل رمضان، شهر القرآن.. كنا نقرأ بعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد العصر، وفي الليل وفي النهار.. فها هي أيام قد مضت فكم قرأت فيها من قرآن؟

ما أحلى الساعات التي صمنا فيها عن المحارم، وما أروع تلك الساعات التي ظل فيها الشيطان مكبلاً محقرًا.

رأينا في رمضان الشباب المحافظ على الصلاة، رأينا الفتيان التالين لكتاب الله.

لكن بعد رمضان.. عمَّ الفتور، وسادت الغفلة.. بل وهناك إعراض والعياذ بالله.

فيا عبد الله...

هل كنت تعبد في رمضان ربًا، وتعبد في بقية الشهور ربًا آخر؟

إنَّ رب رمضان، هو رب شوال، هو ربّ سائر الشهور والأيام.. هو الإله الواحد الذي لا ند له.. ولا ضد له، ولا شبيه له.. ولا والد له.. ولا صاحبة له.. واحد في ذاته.. واحد في صفاته.. واحد في أفعاله.. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

أكنا نعبد شهر رمضان - والعياذ بالله - من دون الله؟ أما سمعتم قول الكبير المتعال: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

فالمعبود وحده هو الله.. فإن كان رمضان مضى، كأنه طيف خيال، وغفلنا وفرطنا بعده في جنب الله في شوال.. فرطنا في فعل الخيرات.. فاعلموا أن الله حي أبدي سرمدي.. لا يدركه زوال، ولا يغنيه تداول الأوقات، وتعاقب الأهلة.

فمن يهتم بالعبادة في شهر دون آخر، فليس من العُبَّاد الصادقين لرب العالمين.

أيها المسلمون...

المعبود هو الله وحده دون غيره.. وإن كان صديق الأمة الأكبر، أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم انتقل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فقال الصديق يوم وفاته: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت.

فأنا أقول لكم: من كان منكم يعبد رمضان، فإن رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله عز وجل، فإن الله حيٌّ لا يموت.

لقد سئل أحد الصالحين، وهو بشر الحافي رحمه الله عن قوم يعبدون الله في رمضان دون سواه، فقال: بئس القوم هم، إنهم لا يعرفون لله حقًّا إلا في رمضان.. فالمؤمن الحق هو الذي يعبد الله في رمضان، وفي غير رمضان.

ولقد صدق من قال:

أفي رمضان نعتزل المعاصي ... وبعد الصوم نرجع للحرام؟

فهذه حرفة الأشرار منًّا ... وتلك طبيعة القوم اللئام

إذا ما المرء صام عن الخطايا ... فكل شهوره شهر الصيام

فينبغي على المسلم أن يكون شعاره دائمًا: (المداومة على الأعمال الصالحة في كل زمان ومكان) لأن المداومة على الطاعات تثمر طهارة القلب من النفاق، واتصاله بربه الخلاق.. فالقلب ملك الأعضاء، والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت الجنود، وإذا فسد الملك، فسد الجنود، ولذا قال النبي ﷺ الأمين: «**إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**»[١].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: الأعمال تتفاضل عند الله بتفاضل ما في القلوب، لا بكثرتها وصورها..» لذا قال النبي المصطفى ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[٢].

والقلب إذا سار صاحبه على طاعة الله، والمداومة عليها، وملأه صاحبه بالتوحيد الخالص امتلأ بالخيرات، وفاز برضى رب الأرض والسموات.

لكن إذا كان صاحب القلب عاصيًا، وخلا قلبه من الإخلاص، امتلأ هذا القلب ظلمة وخيمت عليه الشرور والبلايا - والعياذ بالله -.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

(٢) رواه مسلم.

فأعظم ثمار الأعمال الصالحات، والمداومة على الطاعات، صحة القلب. وطهارته، فيصبح صاحبه يشعر بالتقصير والخوف من ألا يتقبل الله منه أعماله.. كما قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها للأستاذ الأكرم، والنبي الأعظم: يا رسول الله أهو الرجل يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، فقال لها: «**لاَ يا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ**»[١].

صاحب هذا القلب يخاف أن يكون من المنافقين.

يقول ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق.

حتى فاروق هذه الأمة.. ذلكم الرجل الذي كان الشيطان يفر من وجهه. حتى قال له النبي ﷺ: «**إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**»[٢].

ومع هذا كان يخاف على نفسه النفاق، حتى ذهب إلى كاتم سر النبي ﷺ فقال له: أنشدك الله يا حذيفة، هل سماني لك رسول الله ﷺ في المنافقين؟ سبحان الله! الفاروق عمر يخشى النفاق على نفسه؟ قال له: لا، ولا أزكي أحدًا بعدك.

يقول الحسن البصري رحمه الله: ما أمن النفاق إلا منافق، وما خاف النفاق إلا مؤمن.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٢)، و«صحيح سنن الترمذي» (٣١٧٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

أيها المسلمون الموحدون...

رحل رمضان.. لكن ماذا استفدنا منه؟ وأين آثاره على نفوسنا وسلوكنا؟ وعلى أقوالنا وأفعالنا؟

إن كنا في رمضان قد صامت ألسنتنا عن الغيبة والنميمة، فلماذا بعد رمضان نغتاب الآخرين؟ لماذا بعد رمضان نطلق العنان لألسنتنا؟ هل هي حرام في رمضان حل في غيره؟! لا والله.. إنها (أي الغيبة والنميمة) حرام في رمضان وفي شوال وفي سائر الأيام.

قال النبي الأمين ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ: لاَ تَغْتَابُوا الْـمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللَّـهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ فِى بَيْتِهِ»[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَـمَّا عُرِجَ بِى، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِى أَعْرَاضِهِمْ»[2].

لم يقل يغتابون في شهر رمضان، ولم يقل يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم في شهر رمضان.. وإنما حرمة ذلك في رمضان كحرمته في سائر الشهور.. ورحم الله الشافعي:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ	فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوئًا	فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى	وفارق ولكن بالتي هي أحسن

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» ، وأبو داود عن أبي برزة الأسلمي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٨٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٣)، و«صحيح الترغيب» (٢٨٣٩)، و«صحيح الجامع» (٥٢١٣).

فإذا كنت في رمضان تحفظ لسانك، فاحفظه في غير رمضان.

وإن كنت تحافظ على صلاة الجماعة في رمضان، فلماذا لا تحافظ عليها في رمضان؟

قال ﷺ: «**من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم مشى إلى صلاة مكتوبة، فصلاه الإمام، غفر له ذنبه**»(١). لم يحدد النبي ﷺ في رمضان أم في غيره؟

وقال: «**مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى، كُتِبَ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ**»(٢).

والمشي إلى بيوت الله، وعمارتها بالصلاة فيها، كان ملحوظًا، وملتزمًا به من الصائمين، فلماذا بعد رمضان نترك المساجد تشكو العباد إلى رب العباد.

والنبي ﷺ يقول: «**صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَسْجِدِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْ خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ اللَّهُمَّ صَلِّ ع اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ. وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ**»(٣).

وعمارة المساجد.. عمارة بيوت الله ﷻ بالذكر والصلاة وقراءة القر وغيرها.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلـ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ** ﴾ [التوبة: ١٨].

---

(١) صحيح: رواه ابن خزيمة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٤٠٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٧٩)، و«ص الجامع» (٦٣٦٥).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وقال النبي ﷺ: **«إنَّ الله لينادي يوم القيامة: أين جيراني أين جيراني؟ فتقول الملائكة: ربنا، ومن ينبغي أن يجاورك وأنت الله رب العالمين؟ فيقول: أين عمَّار المساجد؟»**(١).

إن كنا في رمضان نجود ونتصدق، فباب الصدقة مفتوح في كل الشهور، قال ﷺ: **«مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»**(٢).

لم يقل ما من رمضان يصبح العباد فيه.. بل أي يوم يصبحون فيه.. وقال ﷺ: **«تَصَدَّقُوا فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ، فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا يَقُولُ الرَّجُلُ لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا»**(٣).

وقال ﷺ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ ﷻ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»**(٤).

وجاء في بعض الآثار أن الله ﷻ قال لموسى عليه السلام: يا موسى، ما ألجأت الفقراء إلى الأغنياء، لأن خزائني ضاقت بهم، أو لأن رحمتي لم تسعهم، ولكن فرضت للفقراء في أموال الأغنياء ما يكفيهم، أردت أن أبلو الأغنياء كيف مسارعتهم في أداء ما افترضته عليهم.

يا موسى، إن فعلوا ذلك أتممت عليهم نعمتي، وضاعفت لهم كرامتي، وجازيتهم في الدنيا الحسنة بعشر أمثالها.

---

(١) إسناده جيد: قال الألباني في «الصحيحة» (٦/ ٢٢٧)، أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١/ ١٦) رقم (٢٧٢٨).
(٢) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، وغيرهما.
(٣) رواه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١).
(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٤٦).

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان أو كما قال، ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل لعباده الأسماع والأبصار، والأفئدة لعلهم يشكرون. وأسدى إليهم أصناف النعم، وسيحاسبهم عليها، وعنها يُسألون، فمن استعان به على طاعة المنعم فأولئك هم المفلحون، ومن صرفها في معاصيه فأولئك هم الخاسرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله... وحده لا شريك له، الذي إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون. وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، الذي ختمت به الأنبياء والمرسلون، وبهديه وسيرته المهتدون.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

نريد أن نتعلم من رمضان العبادة الحقة لله ﷻ واجبة، ففي الحديث القدسي الجليل: «**يَا ابْنَ آدَمَ: تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي، أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**»[1].

ورحم الله إبراهيم بن أدهم حين قال: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه - أي من العبادة والنعم - لجالدونا عليه بالسيوف.

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩١٤).

والعبادة في الإسلام تمتاز بيسرها وسماحتها، ورفع الحرج، والله ﷻ لم يكلف الناس بشيء فوق طاقتهم، وإنما كلفهم بما هو في قدرتهم واستطاعتهم، قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اجتمع النبي ﷺ يومًا بأصحابه، فأخذ يسألهم: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْـيَوْمَ صَائِمًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه: أَنَا.

قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْـيَوْمَ جَنَازَةً؟**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه: أَنَا.

قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْـيَوْمَ مِسْكِينًا؟**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه: أَنَا.

قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْـيَوْمَ مَرِيضًا؟**».

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضى الله عنه: أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِى امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْـجَنَّةَ**»[١].

عباد الله...

عليكم بالطاعة في كل زمان ومكان، في رمضان وغير رمضان، كونوا ربانيين، ولا تكونوا رمضانين.. قال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**»[٢].

اللهمَّ إنا نسألك يا أكرم الأكرمين، كما مننت علينا بالطاعة في رمضان أن تمن علينا بها بعد رمضان، وكما وفقتنا للقرآن في رمضان أن توفقنا له بعد رمضان، وكما وفقتنا للقيام في رمضان أن توفقنا له بعد ر مضان.

---

(١) رواه مسلم وابن خزيمة والبيهقي في «الشعب».
(٢) رواه البخاري.

اللهمَّ إنا نسألك أن تصلح قلوبنا، وتنور أبصارنا، وأن تهدينا وتيسر الهدى لنا
اللهم ارض عنا برحمتك ورضاك يا أرحم الراحمين.. اللهمَّ أعز الإسلام
والمسلمين.. وأذل الشرك والمشركين.. ودمر أعداءك أعداء الدين يا رب العالمين.

عباد الله...

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة والتسعون

حج بيت الله الحرام

الحمد لله.. الذي جعل بيته العتيق شرعة لأهل الإيمان، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى محمد بن عبد الله خير بني الإنسان، واختص هذه الأمة المجيدة إلى قيام الساعة في آخر الزمان، وجعل الكعبة قيامًا للناس يقيمون وجوههم إليها من كل مكان، وتجتمع قلوبهم عليها في كل زمان وتكون شعارًا لأمة واحدة، تعبد ربًا واحدًا، على اختلاف الزمان والمكان أحمده وأستعينه وأستهديه، وأتوب إليه وأستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.. لما انتهى إبراهيم عليه السلام من رفع قواعد بيت الله الحرام، أمره الله تعالى أن يصعد على جبل أبي قبيص لينادي على الناس فقال له إبراهيم عليه السلام: يا رب، وما يبلغ صوتي؟

فقال له: يا إبراهيم، عليك الأذان، وعلينا البلاغ.. ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج: ٢٧]. فوقف إبراهيم على الجبل ونادى: أيها الناس، إن ربكم بني بيتًا فحجوه، فلبت الأرواح في عالمها لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.. إنَّ الحمد والنعمة لك لا شريك لك.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا.. عبد الله ورسوله، نبي الهدى والرحمة الذي بعثه الله لإخراج خير أمة أخرجت للناس، فجعل الله الكعبة قبلتها، والحج والعمرة سياحتها، ولبيك اللهمَّ لبيك نشيدها، والمسجد الحرام ملتقاها، يأتون إليه من كل فج عميق، حيث يذكرون الله بكل لسان ويؤدون عبادة عظيمة بالأموال والأبدان والوجدان.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب المصطفى ﷺ ...

أوصيكم ونفسي بتقوى الله. فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد...

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أين نذهب اليوم أيها الأحبة الكرام؟

هيا بنا لنذهب سويًا إلى جامعة العقائد الإسلامية، وفي قسم الإيمان، لنتلقى درسًا في ركن من أعظم أركان الإسلام، ألا وهو: «حج بيت الله الحرام».

إنه الركن الخامس من أركان هذا الدين، والتي بنى عليها، كما قال سيد الخلق ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: وذكر منها: وَحَجُّ الْـبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»(١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر.

الحج موسم عظيم، وعبادة جليلة، جمعت أصول العبادات وأنواعها، ففيها التعبد بالمال، لنفقة الحج والصدقة، وفيه التعبد بالصلاة بالطواف، والصلاة عند المقام، وفيه الصوم، وفيه التلبية، وهي الاستجابة لله، وتنزيهه عن الند والشريك، وهو القبلة الأولى للتوحيد، والتوجه إلى الله ﷻ في الحج تتآلف القلوب، وتتحطم الفوارق وتذوب، يقف فيه الجميع بالمشاعر المقدسة الحج عقيدة، الحج سياسة، الحج سلوك، الحج اجتماع، أما كونه عقيدة فمن يوم أن ذهب الخليل إبراهيم عليه السلام بالسيدة هاجر، ومعها ابنها الوليد (إسماعيل) عليه السلام، ذهب بهما إلى أرض مكة المكرمة، وهي أرض صحراء جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، قالت له عندما أراد إبراهيم أن يودعها، قالت له: لمن تتركنا؟ إن تلفتت ذات اليمين، أو ذات الشمال، لا تجد الأنيس ولا الجليس، لا تجد إلا جبالاً ممتدة الأعناق مشرئبة الرؤوس، صحراء على مرمى البصر.. سماء صافية.. لمن تتركنا يا خليل الرحمن؟

آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم.. قالت: إذن لن يضيعنا الله أبدًا.

من أراد مؤنسًا، فالله يكفيه، ومن أراد حجة، فالقرآن يكفيه، ومن أراد الغنى، فالقناعة تكفيه، ومن أراد واعظًا فالموت يكفيه.. ومن لم يكفه شيء من ذلك، فإن النار تكفيه.. إذن لن يضيعنا الله أبدًا.. وهل بعد الله شيء؟

من كان مع الله لن يخيب سعيه، ولن يضل سؤله.

الحج سلوك وأخلاق.. كيف ذلك؟

ألم يقل الحبيب المصطفى ﷺ: «الْـحَجُّ الْـمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْـجَنَّةُ»[1].

وقد قيد الحج الذي يُغفر لصاحبه، بكونه مبرورًا، وبر الحج أن يعود صاحبه زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة.. لا يعود بنية جمع المال من الحلال والحرام، لا يعود قاسي القلب.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في لطائفه: **وإنما يكون الحج مبرورًا باجتماع أمرين فيه:**

أحدهما: الإتيان فيه بأعمال البر، والبر يطلق بمعنيين:

الأول: بمعنى الإحسان إلى الناس، وقد سئل النبي ﷺ عن البر، فقال: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**»(١).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: البر شيء هين، وجه طليق وكلام لين.

الثاني: يراد بالبر فعل الطاعات كلها.. وقد فسره الله عز وجل في قوله: ﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ** ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الحج المبرور ليس لقيًا.. الحج عبادة بينك وبين خالقك.. الحج المبرور هو لين كلام وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وصلة الأرحام، والصلاة بالليل والناس نيام.

ثانيهما: المعنى أي الأمر الثاني الذي يكمل به بر الحج، اجتناب أفعال الإثم فيه من الرفث والفسوق والمعاصي.. قال الله عز وجل: ﴿ **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي الحديث الصحيح: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». الحج نظرية اجتماعية متكاملة، لماذا؟

---

(١) رواه مسلم والترمذي وغيرهما.

لأن الجميع يلبس ثوبًا واحدًا، ويقف في مكان واحد، ويهتفون بهتاف واحد، لا تستطيع أن تميز الملك من المملوك، ولا الرئيس من المرؤوس، ولا الوزير من الخفير، ولا الغني من الفقير، لأن الكل يهتف لإله واحد، هو مالك الملك، وملك الملوك.

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام.. ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال: ﴿ **وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وقد خطب النبي ﷺ يومًا في أصحابه - رضوان الله عليهم - فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّوا**». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّـهِ، فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلاَثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**». ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِى مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَىْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فَدَعُوهُ**»[1].

فالحج بهذا الحديث لا يجب على المسلم في هذا العمر إلا مرة واحدة، وحريٌّ بالمسلم القادر أن يبادر إلى هذا الركن ليبرأ ذمته، ويؤدي ما عليه، قبل أن تقول نفس: يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله.

والحج له فضائل ومنافع للمسلم لا تعد ولا تحصى، فما هي بعض فضائله؟

١ - من فضائله: أنه يهدم ما قبله:

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي، أَتَيْتُ النَّبِىَّ

---

(١) رواه مسلم.

ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ ﷺ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟». قَالَ: قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟». قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»(١).

٢ - الحج أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٢).

٣ - الحج يغفر الله به الذنوب والآثام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ»(٣).

٤ - **ومن فضائله:** أن الحجاج والعمّار وفد الله عز وجل، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه، أجابهم، وإن استغفروه، غفر لهم، ونفقتهم في سبيل الله، وهي مخلوفة عليهم.

٥ - **ومنها:** أن الله عز وجل يباهي بالحجاج ملائكته في صعيد عرفات، ويتجلى لهم، ويقول: انصرفوا مغفورًا لكم.. إنه فضل الله يؤتيه من يشاء..

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: هَؤُلاءِ عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي. وَلَمْ يَرَوْنِي، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ رَمْلِ عَالِجٍ، أَوْ مِثْلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا، أَوْ مِثْلُ قَطْرِ السَّمَاءِ ذُنُوبًا غَسَلَ اللَّهُ عَنْكَ، وَأَمَّا رَمْيُكَ الْجِمَارَ فَإِنَّهُ مَذْخُورٌ لَكَ، وَأَمَّا

---

(١) رواه مسلم وابن خزيمة عن عمرو بن العاص.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة، ومسلم وأحمد وغيرهم.

حَلْقُكَ رَأْسَكَ ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَسْقُطُ حَسَنَةٌ ، فَإِذَا طُفْتَ بِالْبَيْتِ خَرَجْتَ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» [١].

أيها المسلمون...

الحج هجرة إلى الله تبارك وتعالى، واستجابة لدعوته، وموسم دوري يلتقي فيه المسلمون كل عام على أصفى العلاقات وأنقاها، ليشهدوا منافع لهم، على أكرم بقعة شرفها الله عز وجل.

الحج مدرسة تربوية، يجعل المسلم يتعرف فيها على أخلاق الإسلام.. فيها يتعلم المسلم:

١ - الإخلاص لله عز وجل في توحيده.. ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا** ﴾ [الحج: ٢٦]. فأول أمر الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام أن أمره بترك الشرك بالله عز وجل، وإخلاص الأمر لله عز وجل، ففي حديث جابر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم: «**فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ...**» [٢].

٢ - ثم الطهارة في أعلى مراتبها: ﴿ **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾ [الحج: ٢٦]. فهل المقصود طهارة الظاهر، أم طهارة الباطن؟

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية: أي الطهارة من الشرك.

وقال ابن تيمية رحمه الله: الطهارة أنواع:

١ - منها: الطهارة من الكفر والفسوق.

٢ - ومنها: الطهارة من الحدث.

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» ، والبزار عن ابن عمر، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١١٢).

(٢) رواه مسلم عن جابر ورواه ابن ماجه.

٣ – ومنها: الطهارة من الأعيان الخبيثة، التي هي نجسة.

لكن الإمام ابن القيم رحمه الله يقول: إن كان المراد طهارة القلب، فطهارة الثوب، وطيب مكسبه تكميل لذلك، فإن خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أن خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرم الله ما حرم من اللباس لـ تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات، التي تلبس جلودها، فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن.

٣ – ثم يتعلم المسلم من مدرسة الحج التربوية خلق الاستجابة لله تعالى ولرسوله فقد أمر الله الخليل إبراهيم بالنداء والأذان.. ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ [الحج: ٢٧]. .. فاستجاب، واستجابت الأرواح، والأبدان، وما يزالون يستجيبون حتى الآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. أي لما يصلح أحوالكم وشئونكم.

٤ – ويتعود خلق البذل والإنفاق لأجل الله عز وجل.. فالمسلم الذي يأتي إلى الحج من كل فج عميق من أجل الحج إلى بيت الله الحرام سواء كانت بالطائرة أم بالباخرة أم كان ماشيًا أو راكبًا، كم يتكلف؟ وكم يدفع من الأموال، ليصل إلى بيت الله الحرام طاعة وتلبية لله عز وجل.

سيدنا عبد الله بن المبارك رضي الله عنه حج كثيرًا، وكان يحج عامًا، ويجاهد عامًا في سبيل الله، وفي بعض المرات، ودعه أصحابه حاجًا إلى بيت الله، وبينما هو في الطريق إذ وجد امرأة قد أخذت دجاجة ميتة من قمامة في الطريق.. فسألها عن شأنها فقالت: لله في خلقه شئون.. فأقسم عليها أن تخبره، فقالت: أنا أم لأربع بنات يتامى لا عائل لهن غيري.. فماذا أفعل؟

لقد أخرج كل النفقة التي معه، وأعطاها إياه من أجل من؟ من أجل الواحد الأحد.. من أجل ملك الملوك ومالك الملك.. لأنه تعلم من خلال أدائه هذه

شعيرة البذل والإنفاق.. ثم رجع هذا العام، ولم يحج، وجلس يتعبد لله ﷻ إلى أن رجع القوم، فسمعهم يتحدثون ويثنون عليه، ويمدحون، ويقولون: جزى الله عبد الله بن المبارك عنا خير الجزاء، فقد كان يحدثنا بكتاب الله، وسنة رسوله حيثما حللنا أو ارتحلنا.. فتعجب ابن المبارك، واندهش لذلك، فنام في تلك الليلة فرأى رسول الله ﷺ ومن رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقد رآه حقًا، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته.. فأعلمه أن الله ﷻ كتب له بهذا العمل ثواب الحج والعمرة، وأنّ الله ﷻ خلق ملكًا على صورته فكان يحج مع إخوانه، ويعلمهم ويحدثهم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

أحبتي في الله...

٥ - مناسك الحج تعود صاحبها الإحسان:

ففي آية الحج ﴿ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٧].

ومرتبة الإحسان هي أجل وأعلى مراتب الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّـهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[(١)].

وعندما تصل النفس إلى هذه المرتبة، فإنها تفعل الطاعات، وتنتهي عن جميع المعاصي والذنوب، وتكون في حالة مراقبة لله ﷻ في الصغيرة والكبيرة، ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّـهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْـقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»[(٢)].

٦ - ومن الأخلاق التي نتعلمها في فريضة الحج، الوفاء:

قال الله ﷻ في ذلك: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج: ٢٩].

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن شداد بن أوس.

والوفاء يعني الإكمال والإتمام، وضده الغدر وقد أمرنا الله ﷻ بالوفاء في جميع أمورنا، فقال سبحانه: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال: ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ [الأنعام: ١٥٢]. وقال: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]. وغير هذا كثير.

والوفاء خلق من أعظم الأخلاق الإسلامية، وهو خاص ببني الإنسان، فمن نزع منه الوفاء، فقد انسلخ من إنسانيته.. وأهل الوفاء هم أهل البر والصدق والتقوى، وهم أهل الفردوس الأعلى، فلقد وصف الله عباده المؤمنين المفلحين بصفات جليلة وكان من بينها: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨]. ثم قال بعدها: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان، ويقول النبي ﷺ: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[1] . ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي جعل حج بيته كفارة للذنوب، ووعد حجاج بيته الحرام كل مرغوب.. نحمده على نعمه حمدًا تنشرح به الصدور، وتطمئن به القلوب.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. علام الغيوب، وغفار الذنوب وفتح باب التوبة لمن يتوب. وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبده ورسوله الحبيب المحبوب.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه في الأولين والآخرين، وصلِّ عليه في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

---

(١) سبق تخريجه.

أما بعد...

أيها المسلمون . . أحباب رسول الله ﷺ . .

ومن أعظم الأخلاق التي نتعلمها في مدرسة الحج التربوية، خلق التقوى، فقد قال الله ﷻ في سياق الحديث عن هذه الفريضة: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال جل في علاه: ﴿ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

ويقول: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال عن أداء النسك في الذبح: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

بل إنَّ سورة الحج نفسها افتتحت وابتدأ بالأمر بالتقوى، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحج: ١].

فاتقوا الله - عباد الله - واعلموا أنكم ملاقوه، وعما قليل صائرون إليه، وليكن لكم فيما مر من الأيام حسن الاعتبار، واغتنموا أعماركم بالأعمال الصالحة.

واعلموا أن أيامًا مضت هي من أعظم أوقات الفضائل، فالسعيد من تنبه لها، وفطن لفضلها، فاستغلها واستعمرها في طاعة الله.. والمسكين المسكين من مرت به، ولم يزل قلبه قاسيًا، وعن مولاه وربه سبحانه بعيدًا نائيًا.

وإن من تمام السعادة والاستفادة أن يتفكر الإنسان فيما أمره ربه به من عبادات ويتدبر ما عساه أن يكون من العبر والعظات وراءها.

عباد الله...

رحم الله امرءًا جرد عزمه للوفود على ربه.. ورحم الله من فرَّ إلى حرمه.

ألا راغب عباد الله في عز تذلل الإحرام؟

ألا سائر للوقوف بعرفات، ومشاعره العظام؟

ألا حريص على الطواف بالبيت الحرام؟

ألا متعطش لماء زمزم، الذي هو طعام طعم وشفاء من السقام؟

لقد خاب عبدٌ كلما قرب إلى الخيرات تباعد.. فواعجبًا لأغنياء كلما حثوا على الحج، ازدادوا كسلاً وتوانيًا.. يلقي الشيطان في قلوبهم التسويف والتأمي فيؤخرون فريضة الحج، وقد استطاعوا السبيل، تالله لو دعاكم ملك من ملوك الدنيا لكرامة لسرتم إليها ابتهاجًا، ولبادرتم لإجابة دعوته أفرادًا وأزواجًا.. فلله در قوم قطعوا أفلاذ الأكباد، وفارقوا الأوطان والأهلين والأولاد.. فيباهي الله بهم ملائكة السموات.

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات.. والمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات.

اللهمَّ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، وينهى فيه عن المنكر.. اللهمَّ اجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك فيه برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ ارزقنا حج بيتك وزيارة المصطفى ﷺ اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا. اللهمَّ أحيينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين.. وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.. وأقم الصلاة.

الخطبة السادسة والتسعون
وقفة مع أسرار مناسك الحج

الحمد لله رب العالمين.. يخاطب عباده فيقول: «عبدي، لا تقنط من رحمتي، فإن كنت بالغدر موصوفًا، فإني بالجود معروف، وإن كنت ذا خطايا، فإني ذو عطايا، وإن كنت ذا جفاء، فإني ذو وفاء، وإن كنت ذا إساءة، فإني ذو إحسان، وإن كنت ذا غفلة فإني ذو عفو ورحمة، وإن كنت ذا خشية وإنابة، فإني ذو إجابة وقبول أحمدك ربي وأستعينك وأستهديك، وأتوب إليك وأستغفرك.. لا أحصي ثناء عليك.. أنت كما أثنيت على نفسك.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. قال له كليمة موسى عليه السلام: يا ربّ، كيف أتقرب إليك؟ قال له: يا موسى، إن أردت أن تتقرب إليَّ، فأحبني، وأحب من يحبني، وحبب عبادي فيَّ، قال موسى: يا رب، فكيف أحببك إلى عبادك؟ قال له: أن تذكرهم بنعمي عليهم، وإحساني إليهم..

أنا العبد المقر بكل ذنب ... وأنت السيد المولى الغفور
فإن عاقبتني فبسوء فعلي ... وإن تغفر فأنت به جدير

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله.. إمام المجاهدين، وقائد الغرِّ المحجلين، وشفيع المذنبين.. هو خير من حج واعتمر.. وهلل وكبر وبدين الحنيف أمر.. هو صاحب الوجه الأقمر.. وصاحب الجبين الأزهر ﷺ ..

يا زائرًا قبر الحبيب الهادي ... أبلغ رسول الله شوق فؤادي
إني بحبك يا رسول الله متيم ... وزيارتي إياك كل مرادي

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أمة القرآن.. أمة خير الأنام.. ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤].

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥].

وما زلنا مع جامعة العقائد الإسلامية وفي قسم الإيمان لنواصل الحديث عن الركن الخامس من أركان الإسلام، ألا وهو **فريضة الحج**، وبعد أن عرفنا فضائله وثوابه العظيم، الذي وضحه لنا إمام النبيين ورسول رب العالمين ﷺ.

ومن أجمع الأحاديث التي بينت فضائل الحج ومناسكه مفصلة حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه الطبراني.. قال ﷺ: «**أَمَّا خُرُوجُكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْـبَيْتَ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ وَطْأَةٍ تَطَأُهَا رَاحِلَتُكَ يَكْتُبُ اللَّـهُ لَكَ بِهَا حَسَنَةً، وَيَمْحُو عَنْكَ بِهَا سَيِّئَةً. وَأَمَّا وُقُوفُكَ بِعَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّـهَ عز وجل يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِهِمُ الْـمَلائِكَةَ. فَيَقُولُ: هَؤُلاءِ عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي، وَلَمْ يَرَوْنِي، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟فَلَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ رَمْلِ عَالِجٍ، أَوْ مِثْلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا، أَوْ مِثْلُ قَطْرِ السَّمَاءِ ذُنُوبًا غَسَلَ اللَّـهُ عَنْكَ، وَأَمَّا رَمْيُكَ الْـجِمَارَ فَإِنَّهُ مَذْخُورٌ لَكَ، وَأَمَّا حَلْقُكَ رَأْسَكَ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تَسْقُطُ حَسَنَةٌ، فَإِذَا طُفْتَ بِالْـبَيْتِ خَرَجْتَ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»[1].

وبعد أن عرفنا هذا الثواب العظيم، وذلك الجزاء الكبير من رب العزة والجلال.

ما الحكمة في مناسك الحج؟

---

(١) حسن: رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٣٦٠).

وأول مناسك الحج بعد النية (الإحرام) فما الإحرام؟

والإحرام هو اللباس الذي يلبسه الحاج، ويتكون من قطعتين: قطعة تستر النصف الأعلى، وتسمى الرداء، وقطعة أخرى تستر النصف الأسفل وتسمى الإزار.. لا مخيط في ملابس الإحرام.. حتى الحذاء لا مخيط فيه، ولا يعلو إلى الكعبين، إنما هو دونهما.. لماذا التجرد من ملابسنا؟

لأن الإحرام تلخيص لهذه الحياة الدنيوية، حين نولد وخرج إلى هذه الدنيا نلف في قطعة من القماش تسمى (اللفة).

وعندما نموت نلف كذلك في قطعة من القماش تسمى (الكفن) تظهر المساواة في ملابس الإحرام.. لا فرق بين وزير ولا خفير، ولا بين غني ولا فقير، ولا بين عظيم ولا حقير.. الكل بملبس واحد.. قاصدين ربًا واحدًا.. متوجهين إلى بيت واحد.. ملبين نداءً واحدًا.. لبيك اللهمَّ لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إنَّ الحمد، والنعمة لك.. لا شريك لك.

الرؤوس عارية.. ليس عليها نياشين ولا رتب.. ولا أوسمة.. ليس هناك ثوب من فرنسا، ولا حذاء من إيطاليا.. ولا رباط عنق من إنجلترا.. إنما الكل واحد أمام رب واحد، وهو الله رب العالمين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣].

هذا ما قرره الإسلام، قانون المساواة كل المظاهر تختفي، عندما ترى الجمع العظيم وهم محرمون، تخالهم كأنهم خرجوا من القبور.. إن الإحرام يذكرنا بدار عمل قليل سنصير إليها، وقبر عما قريب سترحل إليه.

فما لباس الإحرام إلا كفن تلبسه، وتمشي به، ولعل لبسك إياه، ذكرك بأنه لا يبقى معك عند رحيلك من الدنيا إلا عملك الصالح.. ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وعندما تصل إلى مكة المكرمة، وتستقبل بوجهك البيت العتيق، تذكرت ... عظيمة خلت، وتاريخًا مجيدًا مر بالبيت، وكيف أن أممًا مرت، وبادت استقبلت هذا البيت كما استقبلته أنت، ومضت إلى ربها محسنة أو مسيئة، نسأل الله أن يجعلـ من المحسنين.

أمة الإسلام...

وعندما تصل إلى بيت الله الحرام، الكعبة المشرفة، كان النبي ﷺ يقو... مخاطبًا بيت الله الحرام: «**مرحبًا بك من بيت، ما أعظمك، وأعظم حرمتك. وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك، إنَّ الله حرم منك واحدة، وحرم من المؤ... ثلاثًا: دمه، وماله، وأن يظن به ظن السوء**»(١) .

ونظر ابن عمر رضي الله عنهما إلى الكعبة، فقال: «**ما أعظمك! وما أعظم حرمتك. والمؤمن أعظم عند الله منك**»(٢) .

تتوجه إلى الحجر الأسود لماذا؟ لكي تقبله، إن استطعت، وإلا فأشر إليه.

إنَّ أحدنا لو ذهب لزيارة قصر من قصور الرؤساء أو الملوك، فإنه يسجـ... اسمه أولاً في سجل التشريفات.. ولله المثل الأعلى.. فأنت عندما تزور بيت ملك الملوك، ومالك الملك، فإنك تسجل اسمك في سجل التشريفات الإلهية.

إنَّ في الحج حجران: حجر يُقبل، وحجر يرجم.. الحجر الذي يقبل هو الحجر الأسود؟ نقبله، لأن هذا الحجر سيكون شاهدًا يوم القيامة، لكل من قبـ... أو أشار إليه.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِهَذَا الْحَجَرِ لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ**...

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (٣٤٢٠) جـ (٩/ ٢٠٧).

(٢) حسن صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٣٩) و«صحيح سنن الترمذي» (٢٠٣٢).

يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَقٍّ» [1].

وفي رواية: «**لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ**» [2].

حجر يقبل، وهذا فيه إشارة إلى أن أمة الحبيب محمد ﷺ تحب الخير وتقدسه، فهذا الحجر بقي من بناء الكعبة، وكان يصعد عليه الخليل إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام ليرفعا البناء.. نضع الشفاه على الحجر لنقبله كما فعل سيدنا وإمامنا وقائدنا محمد ﷺ وبكى الحبيب، فسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال له الحبيب: «**هنا تسكب العبرات يا عمر**» **وحجر آخر يرجم بالحصا، لأن الشيطان تعرض لإبراهيم عليه السلام في هذا المكان، فرماه إبراهيم عليه السلام بالحصا، ورجمه به، فساخ في الأرض.**

وفيه إشارة إلى أن هذا الدين يطارد الشر في كل مكان، ويحارب الشيطان في كل زمان.. الشيطان ألد أعداء الإنسان، كما أخبرنا الرحيم الرحمن.. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر: ٦].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٥].

ومن الكلمات الخمس التي ختم الله عز وجل بهن التوراة لكليمه موسى عليه السلام: «**يا موسى، لا تدع محاربة الشيطان، ما دام روحك في بدنك، فإنه لا يدع محاربتك أبدًا**».

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢١٨٤).

(٢) صحيح: رواه البيهقي في «الشعب» ، وابن حبان وابن خزيمة والحاكم وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم، قاله ابن حجر في «الفتح».

أيها الأحبة الكرام...

ونطوف بالبيت الحرام سبعًا.. لِـمَ هذا الطواف؟ لأن مخلوقات الله في الع... العلوي تطوف.. الكواكب تطوف حول النجوم السابحات في الفلك... المجرات.. المجموعة الشمسية الملائكة تطوف حول البيت المعمور في السم... السابعة.

لكن لماذا كان الطواف بالكعبة سبعًا؟ والسعي بين الصفا والمروة سبع؟

وقد تكرر هذا العدد كثيرًا.. فالسموات سبع، والأراضون سبع، و... الأسبوع سبع، والمظللون في عرش الرحمن سبع.. والموبقات سبع.. والاست... العرشي للجنين في بطن أمه سبع.. وأبواب جهنم سبعًا، فمن طاف حول البيت سبعًا، كان كل مرة سدًا له من أبواب جهنم.. ويبدو أن لهذا العدد أسر... وعجائبه.

فإذا كانت الكواكب في عليائها، والملائكة في سمواتها تطوف عبادة لله، فنح... جزء من هذا الكون نطوف كذلك عبادة لله.. الكون كله يطوف ويعبد الله، فلم... لا نطوف نحن أيضًا ونحن جزء من مخلوقات الله؟

انظروا إلى هذه المخلوقات تجدونها جميعها مخلوقة من جنسين: ذكر وأنثى الآدميون من زوجين.. ذكر وأنثى.. والمملكة الحيوانية كذلك، والمملكة النب... من زوجين والجمادات كذلك من زوجين، وهذان الزوجان هما: الذرة والنو... والذرة مركبة من الإلكترونات، وفيها الموجب والسالب.. فكل ما في الوجود م... زوجين.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يس: ٣٦].

أيها المسلمون...

لو سألتم العالم كله من عرشه إلى فرشه، ومن سمائه إلى أرضه، وقلت له: من ذي خلقك؟ سيجيبك بلسان حاله قائلاً: أنا مخلوق لله الواحد الديان..

سـل هذه الأنسام والأرض والسما ... سـل كـل شيء تسمع الحمد ساريًا

فلـو جـن هذا الليل وامتد سرمدًا ... فمـن غـير ربي يـرجع الـصبح ثانيًا

وبعد الفراغ من الطواف بالبيت الحرام، توجه إلى مقام إبراهيم، لتصلي ركعتين لله.. فقد صلى في هذا المكان حبيبك ﷺ ركعتين بأمر من العلي العظيم بأمر من الله جل جلاله..﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾ [البقرة: ١٢٥]. ثم توجه إلى ماء زمزم، لتشرب وترتوي من خير ماء خلقه الله ﷻ في الأرض، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «**خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ**»[(١)] .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي، شفاك الله، وإن شربته لشبعك، أشبعك الله، وإن شربته لقطع ظمئك، قطعه الله، وهي هزمة جبرائيل عليه السلام، وسقيا الله إسماعيل عليه السلام**»[(٢)].

وفي رواية مختصرًا: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[(٣)].

ولذلك كان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا شرب من ماء زمزم قال: «**اللهمَّ إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء**».

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» ، وابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١١٦١)، والصحيحة (١٠٥٦).

(٢) حسن لغيره: رواه الدارقطني والحاكم، وقال: صحيح الإسناد وحسنه الألباني في «الترغيب» (١١٦٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد عن جابر وابن ماجه وصححه الألباني.

وسيدنا عبد الله بن عمر ﵄ لما شرب من ماء زمزم، كان يدعو بقوله: اللهم إني أشربه لظمأ يوم القيامة.

وكذلك سيدنا عبد الله بن المبارك ﵀ والشافعي ﵀ شربه لشيء آخر.

قال الحافظ ابن حجر ﵀: واشتهر عن الشافعي الإمام، أنه شرب ماء زمزم للرمي، فكان يصيب من كل عشرة تسعة.

وفي رواية أنه شربه لثلاث: للرمي.. وللعلم.. ولدخول الجنة.

أحبتي الكرام...

فماء زمزم صيدلية ربانية إسلامية، لا شرقية ولا غربية.

ثم بعد ذلك يكون السعي بين الصفا والمروة.. الصفا، صفاء.. إشارة إلى صفاء الأرواح في عالم الغيب.. الصفاء إشارة إلى العالم الذي كنّا فيه قبل أن تنسخ الأرواح في الأشباح، رمز إلى عالم الأزل.

والمروة معناها: الري.. معناها: الحياة.. فالصفا والمروة رمز للنهايات والبدايات وفي كتاب الله ﷻ آية جمعت الأزمان الثلاثة: الأزال، والآماد، والآباد ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨].

نسعى بين الصفا والمروة، كما سعت أم إسماعيل سعيًا وراء الماء لابنها الرضيع عندما اشتد به العطش، وجف ثديها من اللبن، سعت حتى تصبب الجبين عرقًا. ولكنها لما أدت ما عليها، أصدر الله أوامره إلى جبريل ﵇ أن ينزل فوْرًا فيضرب الأرض بجناحه، فضربها، فنبعت عين زمزم، والتي لا يزال ماؤها جاريًا إلى يوم القيامة.

السعي بين الصفا والمروة فيه إشارة إلى أن الإسلام دين جهاد وعمل.. لابد أن تسعى.. لابد أن تعمل وتكد.. قال ﷺ: «**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ، فَيَأْتِيَ**

الْـجَبَلَ، فَيَجِيءَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَسْتَغْنِيَ بِثَمَنِهَا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ، أَوْ مَنَعُوهُ»(١).

وعن المقدام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّـهِ دَاوُدَ** عليه السلام **كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»(٢).

سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه كان يصنع المكاتل (المقاطف) ويبيعها، فإذا حصل على ربح من البيع، قسمه ثلاثًا: قسم ينفقه على نفسه وولده، وآخر يتصدق به، وآخر يعمل به فماذا قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْـجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَى ثَلاَثَةٍ: عَلِيٍّ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ**»(٣). رضي الله عنهم أجمعين.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان.

و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي فضل مكة على سائر البقاع، وفضل منها بيته الحرام، وفضل محمدًا على سائر الرسل، وملته على سائر ملل الإسلام.. نحمده على ما منح من جزيل الإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. شهادة تقودنا إلى دار السلام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله خير الأنام، أرسله ربه إلى

---

(١) رواه البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم، عن الزبير بن العوام.

(٢) رواه البخاري.

(٣) حسن: رواه الترمذي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (١٥٩٨).

الخاص والعام، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقهم واتبع هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

ومن مناسك الحج، بل من أعظم أركانه (الوقوف بعرفات) فهذا مؤتمر من أعظم المؤتمرات، عرفه الإسلام قبل أن يعرف العالم الحديث مؤتمرات القمة. وغيرها من المؤتمرات.. إن مؤتمر عرفات سبق العالم كله.

يتذكر الإنسان في يوم عرفة ما مر به من العصيان، فيتجرد منه مستغفرًا. وتائبًا إلى الملك الحنان المنان، مستحضرًا نزول ملائكة الرحمن، متمنيًا على الله أن يكون محمد يباهي الله بهم الملائكة، ويعتق رقبته من النار.

في عرفات يتجلى الله على عباده الواقفين.. فيباهي بهم الملائكة الكرام، ويقول للملائكة: «**يا ملائكتي، هؤلاء عبادي جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم ولمن شفعتم لهم**»[(١)].

لما حج الفضيل بن عياض رحمه الله ووقف على عرفات، فرأى الباكي على نفسه. ورأى الضارع إلى ربه، والمستغفر إلى الله من ذنبه، فقال لأحد أصحابه: يا أخي أرأيت لو أن هؤلاء وقفوا على باب غني يطلبون درهمًا، أكان يردهم خائبين؟ فقال له صاحبه: لا والله.. فقال الفضيل: إنّ مغفرة ذنوب هؤلاء أهون عند الله تعالى من درهم يجود به كريم من الأغنياء.

وذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله في لطائفه، أنَّ عليًا بن الموفق وقف بعرفة في

---

(١) سبق تخريجه.

بعض حجاته، فرأى كثرة الناس، فقال: اللهمَّ إن كنت لم تتقبل من أحد منهم وتقبلت مني، فقد وهبته حجتي، فرأى ربَّ العزة في المنام، وقال له: يا ابن الموفق، أتتسخي عليَّ؟ قد غفرت لأهل الموقف ولأمثالهم، وشفعت كل واحد منهم في أهل بيته، وذريته وعشيرته، فأنا أهل التقوى وأهل المغفرة.

ثم إذا قام الناس، ونفروا بعد الغروب إلى مزدلفة، تذكر قول الله ﷻ: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ ﴾ [القمر: ٧].

تذكر قيام الناس من قبورهم، عند نفخة الصور، وانسياقهم إلى المحشر، ثم إلى الجنة أو النار، وبئس القرار، وبعد المبيت بمزدلفة، يصبح الحاج برمي الجمار، فيعلن بذلك معاداته لإبليس اللعين، وكراهيته له، ويتذكر وعد الله ﷻ بتكفير موبقة من الموبقات بكل حصاة يرميها، فكأن لسان حاله يقول: ها أنا ذا يا رب، أعادي من عاداك وعصاك، ولا أوالي إلا من والاك، وألقي عن كاهلي أحمال المعاصي فتقبل مني.

وإذا ما حلق شعره كأن لسان حاله يقول: ها أنا ذا يا رب، نبذت ورميت كل ما تبقى من شعري ابتغاء مرضاتك، وطمعًا في غفرانك.. وإذا ذبح الحاج نسكه أو أضحيته، أو أهدي هديه، تذكر رمز الفداء الأول، ورمز التضحية إبراهيم الخليل، وولده إسماعيل عليهما السلام، وعلم كيف أن في طاعة أوامره تعالى النجاة من كل كرب ومصيبة.

عباد الله...

من فاته في هذا العام حج بيته الحرام.. من فاته القيام بعرفة، فليقم لله بحقه الذي عرفه.. ومن عجز عن المبيت بمزدلفة، فليبت عزمه على طاعة الله، وقد قربه وأزلفه، من لم يمكنه القيام بأرجاء الخيف، فليقم لله بحق الرجاء والخوف.. من لم يصل إلى البيت، لأنه منه بعيد، فليقصد رب البيت، فإنه أقرب إلى من دعاه ورجاه من حبل الوريد.

يا همم العارفين بغير الله لا تقنعي، يا عزائم الناسكين لجميع أنساك الناسكين اجمعي، لحب مولاك أفردي، وبين خوفه ورجائه أقرني، وبذكره تمتعي.. يا أسرار المحبين بكعبة الحب طوفي واركعي، وبين صفاء الصفا، ومروة المروة اسعى وأسرعي.. وفي عرفات العرفان قفي وتضرعي.

لقد وضح اليوم الطريق، ولكن قلَّ السالك على التحقيق، وكثرة المدعي اللهم اكتب لنا حج بيتك الحرام، وزيارة المصطفى ﷺ، اللهمَّ أعتق رقابنا من النار.

اللهم إني أسألك وأتوجه إليك، وأنا الآن بين يديك، وأنت في عليائك وكبريائك أن تنصر الإسلام وتعز المسلمين.. اللَّهُمَّ بصرنا بعيوبنا.. وألهمنا رشدنا، واغفر لنا ذنوبنا.. وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا.. وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهمَّ لا تدع لنا في هذا اليوم العظيم ذنبًا إلا غفرته، ولا دينًا إلا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها بفضلك وكرمك يا رب العالمين.

اللَّـهُمَّ لا نهلك وأنت رجاؤنا، اللَّـهُمَّ عاملنا برحمتك وحلمك واجعل حبنا لدينك ولنبيك ولعبادتك شفيعا لنا عندك، اللَّـهُمَّ يا من لا تراه العيون. ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، يا من دبر الدهور، وقدر الأمور. وعلم هواجس الصدور.

اللَّـهُمَّ يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا رافع كل بلوى، ويا منقذ الغرقى، ويا منجي الهلكى، يا ربنا، ويا سيدنا، ويا مولانا. ويا غاية رغبتنا، لا رب لنا سواك فندعوه، ولا مالك لنا غيرك فنرجوه، إذ من نقصد وأنت المقصود، ومن نتوجه إليه وأنت صاحب الكرم والجود. ومن الذي نسأله وأنت الرَّب المعبود، يا من عليه يتوكل المتوكلون.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة.

الخطبة السابعة والتسعون

خطبة عيد الأضحى المبارك

الحمد لله رب العالمين..

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

الله أكبر ما أراق المسلمون في هذا اليوم كثير من الدماء.. الله أكبر ما احتفلت بالحجاج ملائكة الأرض والسماء.. الله أكبر ما تقرحت عيون المذنبين من العويل والبكاء.. الله أكبر ما أطعموا من أضاحيهم الأيتام والفقراء.

الله أكبر ما أكثر المسلمون في هذا اليوم من التلبية والبكاء.. الله أكبر ما تعلقت قلوبهم بالخوف والرجاء.. الله أكبر.. ما امتلأت نفوس المؤمنين في يوم العيد بالسرور والهناء.

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله، والله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.. عطر الألسنة بذكره وشغل المؤمنين بحبه.. وأغدق عليهم سحائب الرحمة والغفران إلهي.. كيف افتقر في غناك؟ وكيف أضل في هداك؟ وكيف أذل في عزك؟ وكيف أضام في سلطانك وأنت الله رب العالمين؟ مالك الملك وملك الملوك.. تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله.. جاءنا بكتاب كالشمس وضحاها، وسنة كالقمر إذا تلاها فمن اتبعها سار في ضوء النهار، إذا جلاه. ومن أعرض عنها تخبط في ظلمة الليل إذا يغشاها.. نعم قد أفلح من زكاها، وقد

خاب من دساها.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون.. أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ..

مرحبًا جئت يا عيد.. وليس العيد لمن لبس الجديد، لكن العيد لمن خاف يوم الوعيد.

خرج الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يوم العيد، فوجد الأطفال الصغار يلبسون ملابس العيد الجديدة، ورأى ابنه من بينهم عليه ثياب خلقة، فبكى لكن ولده سأله.. لِـمَ تبكي في يوم العيد يا أبتاه؟

فقال له: لقد رأيت على الأبناء الصغار ثياب العيد الجديدة، وعليك ثياب خلقة فخفت أن ينكسر قلبك، فقال الابن: لا تبك يا أبتاه، فليس العيد بلبس الجديد لكن العيد من خاف يوم الوعيد.. وإنما ينكسر قلب من عق أمه وأباه.. ففرح به أبوه.

أيها الأحبة الكرام...

ونحن في آخر يوم من أيام العشر الأول من ذي الحجة، والتي قال عنها الحبيب النبي ﷺ: **«مَا مِنْ أَيَّامٍ الْـعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّـهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ». يَعْنِى أَيَّامَ الْـعَشْرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، وَلاَ الْـجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ؟ قَالَ: «وَلاَ الْـجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّـهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَىْءٍ»**[١].

والتي أقسم بها مولانا عز وجل في صدر سورة الفجر، فقال: ﴿ **وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝** ﴾ [الفجر: ١ - ٣].

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

قال علماء التفسير: الفجر هو فجر يوم عرفة.. وقال بعضهم: المراد به الفجر عمومًا.. لذا فإن من صلى لله أربعين يومًا في جماعة، ومنها صلاة الفجر، كتبت له براءتان براءة من النار.. وبراءة من النفاق.. وكلنا يريد البراءة من النار، نسأل الله ﷻ أن يجيرنا منها.. لأن مولانا أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، وألف عام حتى احمرت وألف عام، حتى اسودت.. فهي الآن سوداء مظلمة.

ويعلمنا الأستاذ الأكبر، والنبي الأكرم ﷺ أنَّ أول شيء نفعله في هذا اليوم أن نصلي، ثم ننحر الأضحية.. قال البراء بن عازب رضي الله عنه: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، فقال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ نَحَرَ قَبْلَ الصَّلاَةِ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ**»[1].

وقال ﷺ فيما روته عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ، أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَرْنِهِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَأَظْلاَفِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِي الأَرْضِ، فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا**»[2].

للمضحي بكل شعرة من شعرات الأضحية حسنة.. وبكل شعرة من الصوف حسنة.

الله أكبر.. ومن يستطيع أن يقوم بعد شعرات الأضحية؟

من يعلم ما على ظهر الأضحية من الشعر أو الصوف إلا الذي خلق الأضحية؟!

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٧٠؛ ١/ ٣٣٠).

هذا بالنسبة للمستطيع.. فما بال الفقير؟

ما بال الفقير الذي لا يستطيع أن يضحي؟

لا تحزن أيها الفقير.. فقد ضحى عنك البشير النذير ﷺ فقد جاء بكبشين أملحين أقرنين، فذبح الأول، وقال: بسم الله اللهمَّ تقبل من محمد، وآله محمد» ثم ذبح الثاني وقال: بسم الله، اللهم تقبل من أمة محمد ﷺ»[1].

وعند ابن ماجه من حديث أبي سلمة وعائشة وأبي هريرة ﭫ أن رسول الله ﷺ اشترى كبشين عظيمين سمينين، أقرنين أملحين موجؤين[2] فذبح أحدهما عن أمته - أي عن من لا يستطيع منهم - لمن شهد لله بالتوحيد، وشهد له بالبلاغ، والآخر عن محمد وعن آل محمد ﷺ.

فالنبي الأكرم ﷺ لم ينسَ الفقير في هذا اليوم العظيم.

والحقيقة أننا جميعًا فقراء بنص كتاب ربنا ﻷ.. قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝ ﴾ [فاطر: ١٥].

ليس الفقير الذي ليس معه مال، وإنما الفقير هو الذي يأتي يوم القيامة وليس لديه رصيد من الحسنات.. ليس لديه رصيد من الأعمال الصالحات.. والفقير هو الذي يأخذ كتابه بشماله.. أما من يأخذ كتابه بيمينه فهو الغني، حتى ولو لم يكن صاحب مال.. وتأملوا الفرق الشاسع: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝ ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]. هذا ما جزاؤه؟

كما قال الله ﻷ: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ۝ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝ ﴾ [الحاقة: ٢١ - ٢٤].

---

(١) رواه مسلم عن عائشة ﭫ.

(٢) صحيح «سنن ابن ماجه» (٣١٢٢) للألباني.

ولكن الفريق الآخر، وهو الفقير حقًّا.. انظروا ماذا يكون حاله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٣٢].

لماذا يا رب؟

الأسباب: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٣ - ٣٧].

الفقر والغنى لا يقاس بالمال، ولا يقاس بالأحساب، ولا بالأنساب، و... يقاس بالإيمان، والعمل الصالح.

انظروا وتأملوا هذا الصحابي الجليل ربيعة بن كعب رضي الله عنه وكان يخدم النبي ﷺ فيأتيه بوضوئه وحاجته، فقال له النبي ﷺ يومًا: «سَلني».

أتدرون ماذا سأله؟ لقد سأله شيء عظيم.. ربما لم يخطر ببال أحد؟ إنه لم يس... شيئًا من حطام الدنيا الفانية.. لم يسأله مال.. ولا قصور، ولا أطيان..

النفس تجزع أن تكون فقيرة	**والفقر خير من غنى يطغيه**
وغنى النفوس هو الكفاف	**فإن أبت فجميع ما في الدنيا لا يكفيه**

قال: «أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ».

قال له: «أَوَغَيْرَ ذَلِكَ؟». قال: هو ذاك.

قال: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[1].

هذا اليوم يذكرنا بخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل، عندما ر...

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم.

في المنام بأن الله يأمره بذبحه.. ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فماذا كان جواب إسماعيل عليه السلام.. لم يقل له: إن ما رأيت رؤيا شيطانية.. ولم يقل له: إنك قد كبرت سنك، وخرّف عقلك.. لم يقل له: إنك مجنون.. ولكن كان إسماعيل في قمة الأدب والأخلاق.. كان في قمة البر.. كان جوابه لطيفًا جميلاً ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وهذه دعوة عامة لنكون بارين بآبائنا صغارًا أو كبارًا.. قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

عن الحسن رضي الله عنه قال: لو كان هناك شيء أقل من الأف لنهانا ربنا أن نقولها لوالدينا.. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلاَثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّـهُ عَلَيْهِمُ الْـجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْـخَمْرِ، وَالْـعَاقُّ، وَالْـدَّيُّوثُ الَّذِى يُقِرُّ فِى أَهْلِهِ الْـخَبَثَ»[1].

وفي رواية عند النسائي: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّـهُ عز وجل إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ: وذكر: الْـعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ»[2].

وقد ورد في بعض الآثار، ختمت التوراة بأربع:

من حارب العلماء، حرم من دينه، ومن حارب الأمراء، حرم من ماله، ومن حارب والديه حرم من الجنة.

وذهب الخليل لينفذ قضاء الله عز وجل وأوامره.. إنه الابتلاء.. بل أشد الناس

---

(١) صحيح: رواه أحمد عن ابن عمر والنسائي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٥٢)، و«صحيح سنن النسائي» (٢٥٦٢).

(٢) المصدر السابق.

بلاء، كما قال السيد الجليل، والنبي الكريم محمد ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ. ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ. وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ...**»(١).

ذهب ليذبح فلذة كبده، وثمرة فؤاده، فأخذ يسن السكين ويشحذها حتى أخذت في الحجر، ثم أخذ يمررها على رقبة ولده إسماعيل عليه السلام، لكنها لم تأخذ.. سبحان الله.. السكين أخذت في الحجر، ولا تأخذ في رقبة إسماعيل.

في بعض الأخبار أن نبي الله إبراهيم عليه السلام رمي بالسكين، وقال لها: قبحك الله فأنطق الله السكين: يا إبراهيم، أنا بين أمرين: الجليل يقول لي: لا تقطعي. والخليل يقول لي: اقطعي، وأنا من قبل الجليل لا من قبل الخليل.

وفي هذا درس عظيم نتعلمه، وهو أن كل شيء بإرادة الله عز وجل.. ﴿ **إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس: ٨٢].

فكأن الله عز وجل يريد أن يقول للخليل: لا تتعجب، فكما أنني سلبت من النار خاصية الإحراق، فلم تحرقك فقلت لها: ﴿ **قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ** ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. قلت للسكين: كوني بردًا وسلامًا على إسماعيل.

عبد الله...

أنت تريد، والله يريد، ولا يكون إلا ما يريد.. فإن سلمت له فيما تريد كفاك الله عز وجل ما تريد، وإن لم تسلم له، أتعبك، ولم يكن إلا ما يريد.. وإذا بالسماء تعلن حالة الطوارئ، وينزل سفير الأنبياء، وكبير وحي أمناء السماء جبريل عليه السلام ينزل بالفداء، ينزل بكبش عظيم، وكأن الكل يهتف ويقول: الله أكبر.. الله أكبر. الله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه والترمذي وابن أبي الدنيا، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤٠٢).

﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ۝ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ۝ ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١٠٧].

«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.

الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. ولله الحمد.. الله أكبر كبيرًا.. والحمد لله كثيرًا.. وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. الواحد الأحد.. الفرد الصمد.. الذي له ملك السموات والأرض، ولم يتخذ ولدًا.. ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. البر الأصيل، الطاهر الجليل، المخاطب في محكم التنزيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب الحبيب المصطفى ﷺ ...

خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام.. الذي قدم بدنه للنيران، وقدم ولده للقربان صبر فريدٌ في تاريخ البشرية.. سبحان الله.. يصبر على الابتلاء أبٌ حنون حرم من الولد سنوات طويلة، ورزقه الله ﷻ هذا الابن البار على كبر، بعد أن بلغ من الكبر عتيًا، ومع ذلك يؤمر بذبحه، فيصبر، ويصبر الولد والله الذي لا إله غيره، لو اجتمع علماء الأمة ببلاغتهم وفصاحتهم ما استطاعوا أن يجسدوا هذا الصبر

الفذ في تاريخ البشرية من أولها إلى آخرها.

أرأيــــتم قلـــبًا أبـــويًّا	يتقـــبل أمـــرًا يأبـــاه
أرأيـــتم ابـــنا يتلقـــى	أمـــرًا بالـــذبح ويرضـــاه
ويجـــيب الابـــن بـــلا فـــزع	افعـــل مـــا تؤمـــر يـــا أبـــتاه
لـــن أعـــصي لله أمـــرًا	مـــن يعـــصي يـــومًا مـــولاه
واســـتل الـــوالد ســـكينًا	واستـــسلم ابـــن لرضـــاه
ألقـــاه بـــرفق لجبـــين	كـــي لا تتلقـــى عيـــناه
وتهـــز الكـــون ضرعـــاة	ودعـــــاء يقـــــبله الله
تتـــضرع للـــرب الأعـــلى	أرضي وســـماء ومـــياه
ويجـــيب الحـــق ورحمـــته	ســـبقت في فـــضل عطايـــاه
صـــدقت الـــرؤيا لا تحـــزن	يـــا إبـــراهيم فديـــناه

اللهم تقبل منا واقبلنا إنك أنت الجواد الكريم.. اللهم اجعل هذا العيد عيد بر وتقوى.. اللهم اجعلنا بارين بآبائنا وأمهاتنا.. واجعله الوارث منا.

اللهم لا تدع لنا في هذا اليوم العظيم ذنبًا إلا غفرته.. ولا مريضًا إلا شفيته. ولا دينًا إلا قضيته.. اللهم يسر لنا كل عسير، واذهب الهم والغم عن قلوبنا يا رب العالمين.

وقوموا إلى عيدكم تقبل الله منا ومنكم وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد.

رابعًا:
آفات اللسان
وأمراض الأمة

الخطبة الثامنة والتسعون

خطر اللسان

الحمد لله رب العالمين.. مدبر الليالي والأيام.. ومصرف الشهور والأعوام الملك القدوس السلام.. المتفرد بالعظمة والبقاء والدوام.. المنزه عن النقائص ومشابهة الأنام.. يرى ما في داخل العروق، وبواطن العظام ويسمع خفي الصوت، ولطيف الكلام.. إله رحيم كثير الإنعام.. اختص بعض الشهور بمزيد من التقديس والإعظام.

أحمده على جليل الصفات، وجميل الإنعام.. وأشكره شكر من طلب المزيد ورام.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. لا تحيط به العقول ولا الأوهام.. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.. لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، ولا تحويه الأقطار ولا يفنيه الليل ولا النهار.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله.. أشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله..

أما بعد...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة في دار كرامته مع حبيبنا محمد ﷺ.

في بداية هذا اللقاء أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فقد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ ...

إن الله تعالى امتن على عباده في كتابه الكريم وعلى لسان رسول الله ﷺ بما ركب فيهم من حواس وملكات يدركون بها الأمور ويميزون بها الخير من الشر. وهذه الركبات الحسية صالحة للاستعمال في الخير والشر قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ ﴾ [البلد: ٨ - ١٠].

وإن من أعظم نعم الله تعالى اللسان إذا استعمل في الخير وكف وسجن عن الشر، ذلك أن اللسان ترجمان ما في القلب وما تقع عليه العين وما تسمعه الأذن فلسانك حصانك، إن صنته صانك، وإن زنته زانك، وإن خنته خانك، فتدبر أمرك، واعلم أن اللسان صغير حجمه عظيم خطره وجرمه، به يصون الإنسان ماله ونفسه وعرضه في الدنيا، ويسعد في الآخرة به، ويهلك في الدنيا ويسعد في الآخرة وإن أصر على الكفر ينل منه في الدنيا ويشقى في الآخرة.

لقد حفظه الله ﷻ بالأسنان والشفتين، لكيلا تتسرع بإطلاقه وتتفكر فيما تقول، فإن كان خيرًا قلته، وإن كان شرًّا سكت عنه، باللسان تقرأ القرآن وتذكر الله تعالى وتسبحه وتهلله وتصلي على النبي ﷺ وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدل على الخير وتنهى عن الشر وتصلح بين الناس وتقول الحق والصدق وتنشر العلم وتدعو إلى الفضيلة وتنفر من الرذيلة.

وباللسان يرتكب الكذب والغيبة والنميمة والخصومة والحلف بغير الله. واللعن والسب والشتم والقذف وغير ذلك، فأعجب لهذا العضو وخطورته.

يروي أن لقمان الحكيم أمره سيده أن يذبح شاة ويأتيه بأطيب عضو فيها فذبحها وأتاه باللسان وقال له: هذا أطيب عضو في الشاة. وبعد مدة أمره سيده

بذبح شاة أخرى وأن يأتيه بأخبث عضو فيها فذبحها وأتاه باللسان، وقال له: هذا أخبث عضو فيها، فاللسان سلاح ذو حين يستعمل في الخير ويستعمل في الشر وأعضاء الجسم كلها تخشى اللسان وآفاته.

فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّـهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ، اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ، اعْوَجَجْنَا**»(١).

أحبتي في الله...

ويطلق اللسان على هذه المضغة الصغير التي بين فكيك أيها الإنسان، صغيرة ولكنها فتاكة، سلاح ذو حدين، علم أنبياء الله تعالى أهمية إطلاقه في الخير وما يجلب للناس منافع، فدعوا الله أن يطلقها لهم وأن يجعلها دائمًا صادقة، فهذا إبراهيم عليه السلام يتوجه إلى ربه بدعوات جامعة نافعة في سورة الشعراء يقول فيها: ﴿ **وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ** ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وهذا موسى عليه السلام لما نبأه الله وأرسله وقد علم من نفسه ما علم قال: ﴿ **رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ** ﴿١٢﴾ **وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ** ﴿١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢، ١٣].

ولما علم أن الأمر غير قابل للإحالة وإنها النبوة والرسالة قال: ﴿ **وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ** ﴿٣٤﴾ ﴾ [القصص: ٣٤].

ثم توجه إلى الله تعالى بأدعية جامعة نافعة قال فيها في سورة طه: ﴿ **وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى** ﴿٢٧﴾ **يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى** ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: ٢٧، ٢٨].

---

(١) حسن: رواه الترمذي وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٧١)، و«صحيح الجامع» (٣٥١).

وفي معرض المن – ولله المن – يقول الله تعالى عن إسحاق ويعقوب: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم: ٥٠].

والكلمة خفيفة على اللسان سهلة الجريان، لها مكانتها وقيمتها في نظر الشارع الحكيم وعند العلماء والعقلاء، فالعبد يكتب عليه كل ما يتكلم به، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨].

والمؤمن مأمور بأن يكون كلامه مستقيمًا لا اعوجاج فيه ولا انحراف، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وأن لا يُحدِّث بكل ما سمع، قال النبي ﷺ: «**كَفَى بِالْـمَرْءِ إِثْمًا، أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»[1].

كما نهى المسلم أن يكون ثرثارًا أو متشدقًا أو متفيهقًا، قال: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارين والمتشدقين والمتفيهقين**».

والثرثار هو كثير الكلام تكلفًا، والمتشدق المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفصاحًا وتعظيمًا لكلامه، والمتفيهق هو المتكبر.

وهذه النعمة الجليلة لا بد لها من شكر، وشكرها بتسخيرها في الذكر والشكر لخالقها ليلاً ونهارًا سرًا وعلانية، فالإنسان مسئول عن هذه النعمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

إن نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين أمرنا بالاقتداء به والتأسي به، وإنه عض

---

(١) رواه مسلم.

شأن اللسان وحث المتكلم على قول الخير أو الصمت وقرن ذلك بالإيمان: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْـيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[١].

وكان ذلك هديه إذا قرأت شمائله، إذ كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، وإذا تكلم تكلم بجوامع الكلم وبكلام فصل لا فضول فيه، ويحذر من كثرة الكلام بغير ذكر الله، ويشنع على الثرثارين والمتفيهقين والمرائين والمجادلين والكذابين والنمامين والمغتابين والمزورين وأهل الفحش في القول عامة، ويحذرنا من ذي الوجهين واللسانين وأن يقول المرء قولاً يوافق ما في قلبه ولو كان من المصلين كما في البخاري: «**وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ، مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ**».

وفي مقابل ذلك علمنا رسولنا ﷺ الاستعاذة من شر اللسان، وخصوصًا أيام الفتن، وحثنا على إنكار المنكر به، وقراءة القرآن والسنة وتعليم الجاهل، والصلح بين الناس، والإكثار من الذكر والدعاء، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْـقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ**»[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قال: فأي المال نتخذ؟ قال عمر: فأنا أعلم لكم ذلك، فأوضع على بعيره فأدرك النبي ﷺ وأنا في أثره فقال: يا رسول الله أي المال نتخذ؟ قال: «**لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ**»[٣].

ورحم الله القائل:

الحلم زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مهذارًا

ما إن ندمت على السكوت مرّة ... ولقد ندمت على الكلام مرارًا

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذي وابن حبان، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٩٧).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٥٥).

وكما قيل: البلاء موكل بالمنطق، لذلك قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

أخي الحبيب...

إن الكلام من العمل، وأنت محاسب عليه، لا تظنن أن الأمر هزل، فأهل النار يتعجبون حينما يرون كل ما عملوه من صغير وكبير قد أحصاه الله عليهم، قالوا: ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف: ٤٩].

ولا تعجب بعد قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

لا تعجب بعد قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقد أوضح لنا رسول الله ﷺ عظمة أمر اللسان وخطورته، وأنه مكمل لسائر أعمال الخير من صلاة وصيام وزكاة وحج وقيام ليل وجهاد، وأن سائر الأعمال قد ينقص فضلها وأجرها بل قد تحبط وتمحي كلها باللسان، بين رسول الله ﷺ ذلك كله لمعاذ بن جبل حين سأله عما يدخل الجنة ويبعده عن النار.

أخي المسلم...

هاك الحديث بتمامه فاسمعه بإمعان، حتى تدرك عظمة اللسان وخطورته. روى الترمذي عن معاذ رضي الله عنه قال: يَا نَبِيَّ اللَّـهِ أَخْبِرْنِى بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِى الْـجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ؟ قَالَ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّـهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّـهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْـبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْـخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْـخَطِيئَةَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ». ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ** - أي أعلاه -». فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ. قَالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْـجِهَادُ**، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**». فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّـهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ - أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات، والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع الخير من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع الشر من قول أو عمل حصد الندامة.

وإن من حفظ لسانه من كل سوء كان الجزاء عظيمًا والأجر كبيرًا، ولذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَـحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْـجَنَّةَ**»(٢).

قال الشاعر:

إن كـنت تبغـي العُـلا للجـنان ... فعليـك يـا صـاح بحفـظ اللـسان

عباد الله...

هل يليق بأحد منا بعدما سمعنا من نصوص الوعد والوعيد الواردة في اللسان أن نشابه أهل الكتاب الذين حرفوا الكتاب وانحرفوا عنه؟ هل يرضى مسلم أن يوصف بأنه من الذين قالوا سمعنا وعصينا؟

هل يرضى أن يصنف مع الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويطعنون في الدين ويلوون فيه وبه ألسنتهم؟

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)، و«صحيح الجامع» (٥١٣٦).

(٢) رواه البخاري عن سهل بن سعد.

أم هل تريد يا عبد الله أن تشابه المنافقين من هذه الأمة الذين وصفهم الله بشدة العداوة للمؤمنين وإظهار الاستهزاء بالرسول وفضلاء الأمة: سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد هذا ديدن المنافق وخصوصًا أيام الحروب والفتن.

أيها المسلمون، أحباب رسول الله ﷺ...

لقد كان خوف السلف الصالح من آفات اللسان عظيمًا كان أبو بكر يمسك لسانه يقول: هذا الذي أوردني الموارد، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بلسانه وهو يقول: ويحك قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا أنك ستندم، فقيل له: يا ابن عباس! لم تقول هذا؟ قال: إنه بلغني أن الإنسان ليس على شيء من جسده أشد حنقًا أو غيظًا منه على لسانه، إلا من قال به خيرًا، أو أملى به خيرًا. وكان ابن مسعود يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وقال الحسن: اللسان أمير البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئًا جنت، وإذ عف عفت.

وقال عمر: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

وقال محمد بن عجلان: إنما الكلام أربعة: أن تذكر الله، وتقرأ القرآن، وتسأل عن علم فتخبر به، أو تكلم فيما يعنيك من أمر دنياك. فليس الكلام مأمورًا به على الإطلاق ولا السكوت مأمورًا به على الإطلاق، بل لا بد من الكلام في الخير العاجل والآجل، والسكوت عن الشر الآجل والعاجل، واللسان ترجمان القلب

والمعبر عنه وقد أمرنا باستقامة القلب واللسان، قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» وسيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «وما من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان».

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: أنصف أذنيك من فيك، فإنما جعلت أذنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تكلم به.

وإن حفظ المرء للسانه، وقلة كلامه عنوان أدبه، وزكاء نفسه، ورجحان عقله، كما قيل في مأثور الحكم: «إذا تم العقل نقص الكلام»، وقال بعض الحكماء: «كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل».

و لله در الشافعي حينما دخل عليه يومًا في مجلسه رجل شيخ كبير له لحية بيضاء وله هيبة، فسأل هذا الرجل سؤالاً يدل على عدم تعقله، أو حسن أدائه بلسانه، لما رآه الشافعي في أول الأمر هابه، وقبض رجليه، فلما سأل السؤال عرف الشافعي قدره، فقال: آن للشافعي أن يمد قدميه.

فقد يرى الإنسان وهو على المنبر مثلاً رجلاً، فيهابه، ولكن إن تكلم عرف قدره وظهر حجمه من خلال كلماته.. لأن اللسان هو المعبر عما في النفس.

ولذا قيل: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه.

وإن المسلم الواعي ليحمله عقله ويدفعه إيمانه إلى الاعتناء بحسن اللفظ وجميل المنطق حين يرى المقام يدعو إلى الكلام، وإلا آثر الصمت ولزم الكف طلبًا للسلامة من الإثم، عملاً بتوجيه رسول الهدى في قوله: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْـيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1].

فحسن التعبير عما يجول في النفس أدب رفيع، وخلق كريم، وجه الله تعالى إليه أهل الديانات السابقة، وأخذ عليهم به العهد والميثاق، فقال عز وجل: ﴿ وَإِذْ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

وإن الطيِّب من القول ليجمل مع كل أحد من الناس، سواءٌ في ذلك الأصدقاء أو الأعداء، فهو مع الأصدقاء سببٌ لاستدامة الألفة والمودة، وأما حسن الكلام مع الأعداء فإنه مما يُذهب وحر الصدور، ويسلّ السخائم والضغائن، ويطفئ الخصومات كما قال سبحانه: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٥، ٣٦].

أحبتي في الله...

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلي الأعلى، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفى. والخليل المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، أئمة الهدى، وبدور الدجى. ومن سار على هديهم واقتفى، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أيها المسلمون عباد الله...

إن للسان آفات عظيمة، وإن للثرثرة وفضول الكلام مساوئ كثيرة، وقد قال بعض السلف: «أطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلي بلسان منطلق وفؤاد منطبق».

فمن الحزم والرشاد اجتناب فضول الكلام، وحفظ اللسان عن كل ما لا ينفع ولا يفيد في أمر دين أو دنيا.

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: «أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي ملاها صدْرَ نهاره أن يكون أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

«فاللسان - يا عباد الله - حبل مرخي في يد الشيطان، يصرف صاحبه كيف يشاء إن لم يُلجمه بلجام التقوى، أما حين يطلق للسانه العنان، لينطق بكل ما يخطر نه ببال، فإنه يورده موارد العطب والهلاك، ويوقعه في كبائر الإثم وعظيم الموبقات، من غيبة ونميمة، وكذب وافتراء، وفحش وبذاء، وتطاول على عباد الله، بل وربما أفضى بالبعض إلى أن يجرِّد لسانَه مقراضًا للأعراض بكلمات تنضح بالسوء والفحشاء، وألفاظ تنهش نهشًا، فيسرف في التجني على عباد الله بالسخرية والاستهزاء، والتنقص والازدراء، وتعداد المعايب، والكشف عن المثالب، وتلفيق التهم والأكاذيب، وإشاعة الأباطيل، لا يحجزه عن ذلك دينٌ ولا يزعه عنه مروءة ولا حياء، كأنه لم يسمع قوله عز شأنه: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ [آل عمران: ١٨١].

فاتقوا الله رحمكم الله، ولتلتزموا تعاليم الإسلام، وتتأدبوا بآداب أهل الإيمان، ولتحفظوا ألسنتكم عن الحرام، فمن وُقي شر لسانه فقد وُقي شرًا عظيمًا، ومن استعمل لسانه في الخير والطاعة والمباح من الكلام، وفق للسداد والكمال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أيها المسلمون...

اعلموا رحمكم الله أن من أفضل أعمالكم وأرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم كثرة صلاتكم وسلامكم على سيد الأولين والآخرين، الرسول المصطفى ﷺ والنبي المجتبى قال عز من قائل سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الآل والصحب الكرام، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك، يا أرحم الراحمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وارفع بفضلك كلمة الحق والدين ونكّس رايات الكفرة والملحدين، اللهم عليك بسائر أعداء الدين، فإنهم لا يعجزونك، أحصهم اللهم عددًا، واقتلهم بددًا ولا تغادر منهم أحدًا، أرنا فيهم عجائب قدرتك وعظيم سطوتك، يا قوي يا عزيز يا متين، اللهم اجعل لنا ولهم من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل فتنة عصمة ومن كل بلاء عافية يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة يا رب العالمين. اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء، اللهم ارفع عنا سخطك وغضبك، اللهم أجل عنا بلاءك يا رب العالمين، اللهم أنزل علينا رحمتك وعونك وتأييدك وعزك ونصرك يا رب العالمين.

اللهم تقبل منا ومنكم صالح الأعمال.. ووفقنا وإياكم لكل فعل حميد وأعدنا وإياكم من هول اليوم الوعيد، وأدخلنا وإياكم الجنة مع الفائزين الذين دعواهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، اللهم تقبل مساعينا وزكّها وارفع درجاتنا وأعلها، اللهم أعطنا من الآمال منتهاها، ومن الخيرات أقصاها، يا أرحم الراحمين!

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠]. وأقم الصلاة.



الخطبة التاسعة والتسعون

من آفات اللسان (الغيبة)

الحمد لله..

يـا رب أنـت العليـم بظاهـري ... بالـسر بـل أخفـى وبـالإعلان

أنـت الـسميع لمنطقـي وحـروفه ... أنـت الخبـير بموقفـي ومكـاني

إن لم أكـن أهـلاً لتوفـيق فمُـن ... فلأنـت أهـل المـن والإحـسان

يـا رب أنـت المرتجـى والمبتغـى ... وأنـا الفقـير بذلتـي وهـواني

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. ميَّز الأشياء بضدها.. فبالظل عرف الحرور، ولولا الأعمى ما اعتبر البصير، ولولا الحزن ما عرف السرور، ولولا الذليل ما شكر الفقير، ولولا القحط ما عرف الرخاء، ولولا الخوف ما كان للأمان ظهور، ولولا القبح ما مدح الجمال، ولولا الحمائم ما توحشت الصقور ولولا النقص ما طلب الكمال.. ولولا الجبن ما انتصر الجسور، وإلى الله ترجع الأمور.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله.. أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم لديه شفاعة، وأحبهم وأكرمهم عليه، رفع له ذكره، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالفه..

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت ... بأنـه خـير مـبعوث مـن البـشر

عمّـت فـضائله كـل الـبلاد كـما ... عـمّ الـبرية ضـوء الـشّمس والقمر

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

أوصيكم ونفسي بتقوى، فإنها خير ما يفتتح به الوصايا وتختم، ويستجلب به الخير فمن جعل التقوى مرمى بصره، أفلح ونجا، وفاز بها أمل ورجا، وصدر عن بهجة وانشراح روح، ونفس راضية مرضية، في رياض السعادة تغدو وتروح.

فحققوا - رحمكم الله - تقوى الله سبحانه، بامتثال أوامره، واجتناب زواجره، وتعظيم حرماته وشعائره، والوقوف عند حدوده، والتزام سنة رسوله واشكروا نعمة الله عليكم أن هداكم للإسلام والإيمان به وبرسوله.

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وما زال اللقاء موصولاً مع **آفات اللسان**، وهذه آفة أخرى من آفاته.

بل وعادة من العادات السيئة، وخلق من الأخلاق الذميمة، التي انتشرت بين قطاع عريض من الناس.. إنها عادة ذميمة، وعمل لئيم، وجريمة أخلاقية منكرة لا يحسنها إلا الضعفاء والجبناء، ولا يفعلها إلا الأراذل والتافهون.

أعرفتم ما هي هذه الآفة؟

إنها (**الغيبة**) إنها اعتداء صارخ على الأعراض، وظلم فادح، وإيذاء ترفضه العقول، قال الله ﷻ: ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢].

لقد شبه مولانا سبحانه وتعالى المغتاب بأخس الحيوانات وهو الكلب فالكلب هو الحيوان الوحيد الذي يأكل لحم أخيه بعد موته، فالأسد لا يفعلها والذئب لا يفعلها، حتى الثعلب لا يفعلها.. لا يفعلها إلا الكلب.. إنه تشبيهٌ عجيب، ينفر منه طبع الإنسان ويشمئز.

فمن هو المغتاب؟

وما هي الغيبة؟

وما نتائجها؟

وما هي ثمارها التي يجنيها المغتاب وما هي أسبابها؟

وما الحالات التي تجوز فيها؟

إخوة الإسلام والإيمان...

ويجيبنا على هذه الأسئلة أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه الكرام يومًا: «**أَتَدْرُونَ مَا الْـغِيبَةُ؟**».

قَالُوا: اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**».

قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟

قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»[١]. أي افتريت عليه كذبًا.

قال الإمام النووي رحمه الله في التعليق عليه: هي ذكر المرء بما يكره، سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه، أو دنياه.

إنَّ في إجابة الرسول الأعظم ﷺ بيانًا شافيًا لبيان معنى الغيبة، بما يشفي ويكفي لمن أراد أن يحفظ لسانه عن أعراض المسلمين، ومتى حفظ المسلم يده ولسانه وفرجه، فقد ضمن له حبيبنا ﷺ أنه من أفضل الناس عند الله تعالى، وأن جزاءه الجنة.. فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟- أي

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

أفضلهم، وأكثرهم ثوابًا عند الله ﷻ فقال ﷺ: «**المُسلِمُ مَنْ سَلِمَ الـمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ**»(١).

وفي حديث آخر: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَـحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْـجَنَّةَ**»(٢).

عباد الله...

والغيبة قد تكون في بدن الإنسان، وقد تكون في نسبه، أو في مهنته، أو في خلقه، وسلوكه، أو في مظهره وثيابه، فيصف الشخص بأنه أعمى، أو أعرج، أو أحول، أو طويل، أو قصير.. قالت السيدة عائشة ﵂ لرسولنا ﷺ يوم حسبك من صفية، فإنها كذا وكذا - تعني أنها قصيرة، فقال ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْـبَحْرِ لمَزَجَتْهُ**». أي لغيرته من شدة خطورتها وفسادها.

وعن عمرة قالت: كنت عند عائشة ﵂ فخرجت من عندها امرأة، وذيلها في البيت، فقالت امرأة من الجالسات: ما أطول ذيلها.

فقالت عائشة ﵂: «اغتبتها، فقومي فتحللي» أي اطلبي منها أن تسامحك الغيبة ذات أسماء ثلاثة، كلها في كتاب الله ﷻ: الغيبة، والإفك، والبهتان.. فإن كان في أخيك ما تقول فهي الغيبة، وإذا قلت فيه ما بلغك عنه فهو الإفك، وإن قلت فيه ما ليس فيه، فهو البهتان.. هكذا بين أهل العلم.. الغيبة تشمل كل ما يفهم منه مقصود الذم، سواء كان بكلام، أم بغمز، أم بإشارة، أم بكتابة، وإن القلم لأحد اللسانين.

والغيبة تكون في انتقاص الرجل في دينه.. وفي خلقه.. وفي حسبه ونسبه. ومن عاب صنعة، فإنما عاب صانعها.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

(٢) رواه البخاري والترمذي.

وهذا هو نبيكم وحبيبكم ﷺ ينادي على هؤلاء، الذين ابتلوا بهذا الداء العضال.. الداء المهلك، فيقول: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ: لاَ تَغْتَابُوا الْـمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ اللَّـهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ**»(١).

والحسن البصري رحمه الله يقول: «والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد».

قال ابن عباد:

احـــذر الغيـــبة فهـــي إلْـــ فـــسق لا رخـــصة فـــيه

إنَّـــما المغـــتاب كـــالآ كـــل مـــن لحـــم أخـــيه

عباد الله...

والمغتاب يخسر حسناته من حيث لا يشعر، ويعطيها رغمًا عن أنفه إلى من يغتابه وهي للطرف الآخر ربح حيث يجد جزاءها يوم القيامة حسنات، تثقل ميزانه، أو سيئات تطرح عنه، جاءته من حيث لا يدري.. فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إنَّ العبد ليعطي كتابه يوم القيامة، فيرى فيه حسنات، لم يكن عملها، فيقول: يا رب، من أين لي هذا؟ فيقول: هذا بما اغتابك الناس، وأنت لا تشعر.

ويؤيد ذلك ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْـمُفْلِسُ؟**».

قَالُوا: الْـمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ.

فَقَالَ: «**إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْـقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ**

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود عن أبي برزة الأسلمي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٨٤).

شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَـ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِـ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1].

وقد ذكر أن الحسن البصري رحمه الله أن رجلاً قال له: إنَّ فلانًا قد اغتابك فبعث إليه الحسن طبقًا من الرطب، وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

والحسنة هي رأس مال العبد يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين.. لأ الحسنة ترفعه، والسيئة توبقه.

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يحاسب الله الناس يوم القيامة، فمـ كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة، دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر مـ حسناته بواحدة، دخل النار، ثم قرأ: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]. ثم قال: إنَّ الميزان يخف بمثقال حبة، أو يرجح».

ورسولنا ﷺ فوق ذلك بين حرمة الغيبة، وأنها من كبائر الذنوب لماذا؟ لأ الله ﷻ حرمها، فقال - صلوات ربي وسلامه عليه -: **«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ...؟»**[2]

وفي حديث آخر: **«الربا سبعون حوبًا، وأيسرها كنكاح الرجل أمه، وإن أربى الربا، عرض الرجل المسلم»**[3].

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه والبيهقي والطبراني بنحوه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٤١).

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا، الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْـمُسْلِمِ، بِغَيْرِ حَقٍّ»[1].

ولما جاء ماعز بن مالك الأسلمي رضي الله عنه وطلب من رسول الله ﷺ أن يطهره من الزنا، فلما أمر النبي ﷺ برجمه، إذ به يسمع رجلين، يقول أحدهما للآخر: ألم تر هذا الذي ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى رُجم رجم الكلاب، ثم سار رسول الله ﷺ ساعة، حتى مرَّ بجيفة حمار، شائل برجله، فقال: «أَيْنَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؟». قَالَا: نَحْنُ ذَا يَا رَسُولَ اللَّـهِ. فَقَالَ: «انْزِلَا، فَكُلَا مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْـحِمَارِ سَهْمًا». فَقَالَا: يَا نَبِيَّ اللَّـهِ غَفَرَ اللَّـهُ لَكَ، مَنْ يَأْكُلُ مِنْ هَذَا؟

قَالَ ﷺ: «فَمَا نِلْتُمَا مِنْ عِرْضِ أَخِيكُمَا آنِفًا، أَشَدُّ مِنْ أَكْلِ الْـمَيْتَةِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ الْآنَ لَفِي أَنْهَارِ الْـجَنَّةِ يَنْغَمِسُ فِيهَا»[2].

عباد الله...

ولما عرج بالنبي ﷺ مرّ على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقال النبي ﷺ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[3].

وقد روى الإمام أحمد في مسنده وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فهاجت ريح منتنة، فقال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْـمُؤْمِنِينَ»[4].

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبزار وأبو داود عن سعيد بن زيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠٣).

(٢) ضعيف: رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة.

(٣) صحيح: رواه أبو داود وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢١٣)، و«الصحيحة» (٥٣٣).

(٤) حسن: رواه أحمد والخرائطي في «مساوئ الأخلاق»، وأبو الشيخ في «التوبيخ» وسنده حسن عن جابر.

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أنّ ريح الغيبة ونتنها كان تظهر على عهد رسول الله ﷺ ولم تظهر في عصرنا هذا؟

قال: لأن الغيبة قد كثرت في زماننا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين الرائحة، وهي النتن، ويكون مثال هذا، مثل رجل دخل على الدباغين، لا يقدر على القرار فيها - أي المكث فيها - من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون الطعام، ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة، لأنه قد امتلأت أنوفهم منها. كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا.

والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، أَسْكَنَهُ اللَّـهُ رَدْغَةَ الْـخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ**»[1]. وفي رواية بزيادة: «**لَيْسَ بِخَارِجٍ**».

أتدرون ما ردغة الخبال؟ جاء في أحاديث أخرى تبين أنه عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار.. إنه الصديد الذي يسيل من أجسادهم.

فماذا تحب أن تسكن؟ أتسكن الجنان أم النيران؟

إن أردت سكنى الجنان، فاترك الغيبة.. قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ**».

فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّـهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ - أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[2].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٢٤٨)، و«الصحيحة» (٤٣٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

فطوبى لمن اشتغل بعيوب نفسه، وقام بإصلاحها، فما من إنسان بعد الأنبياء إلا وفيه عيب بل عيوب.. إنَّ المغتاب يرى العيب في غيره وإن صغر، ولا يراه في نفسه، ولو كان كبيرًا.

فـإن عـبت قـومًا بالذي فيك مثله فكـيف يعـيب الناس من هو أعور

وإن عـبت قـومًا بالذي ليس فيهم فــذلك عــند الله والــناس أكــبر

فينبغي على المغتاب أن يتوب إلى الله ﷻ ويستغفره، ويطلب من أخيه المسلم أن يعفو عنه، إن كان قد بلغته الغيبة، وإن لم تبلغه، فليستغفر له، وليدع الله له، وليثن عليه بقدر ما أساء له، لدى الأشخاص الذين كانوا يسمعون لغيبته، وأما واجب السامع للمغتاب: أن يذب ويدافع، ويرد عن عرض أخيه المسلم بالغيب ولا يسترسل مع المغتاب، ولا يجاريه في الكلام أو يسايره.. فقد قال الحبيب المصطفى ﷺ: «**مَنْ ذَبَّ عَنْ لَـحْمِ أَخِيهِ فِي الْـغِيبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّـهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ**»[١].

وفي رواية: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّـهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**»[٢].

وقال ﷺ: «**مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْـغَيْبِ، نَصَرَهُ اللَّـهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[٣].

عباد الله...

إنَّ الغيبة أصبحت من الأمراض المنتشرة بين الخاصة والعامة، وهذه الغيبة لها أسباب كثيرة مثل حسد المغتاب، والغيرة منه في الأمور الدنيوية أو الدينية.. لماذا يجعل المسلم الحسد يأكل قلبه.. إنَّ المغتاب إذا رأى شخصًا هو في أعين الناس

(١) صحيح: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٤٧)، و«صحيح الجامع» (٦٢٤٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وحسنه وهو في «صحيح الترغيب» (٢٨٤٨).

(٣) حسن: رواه البيهقي والضياء عن أنس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٧٤).

محترمًا ومحبوبًا أراد ذلك المغتاب أن ينقص من شخصيته الآخر، فيبرز معايبه وقبائحه، ويهون من شأنه.. ورحم الله القائل:

لا تكشفن مساوئ الناس ما ستروا فيهتك الله سترًا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا وَلاَ تَعَبْ أحدًا منهم بِمَا فيكا

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال. لتكون من المحسنين: إن لم تنفعه فلا تضره وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه.

فليكن المسلم كذلك.. وإذا ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث: إن ضعفت عن الخير، فأمسك عن الشر، وإن ضعفت عن أن تنفع الناس، فأمسك عنهم ضرك وإن كنت لا تستطيع أن تصوم - أي عن الكلام - فلا تأكل لحوم الناس.

عباد الله...

البر لا يبلى والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.. والتائب حبيب الرحمن.. أو كما قال.. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

ما هي الأعذار التي تبيح الغيبة؟

قد ذكر العلماء بعض الأمور وهي باختصار:

١ - **التظلم**: فيذكر للوالي أو القاضي، أو من يستطيع رفع الظلم عنه، فيذكر ظلم أخيه له، أو خيانته، أو أكله للرشوة، قال الله تعالى: ﴿ **لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ** ﴾ [النساء: ١٤٨].

٢ - **الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب**: كمن يرى أن موظفًا يأخذ الرشوة فيبلغ عنه مديره لكي يزجره ويردعه عن هذا المنكر.. أما إذا أراد فضحه والتشهير به فلا يحل.

٣ - **الاستفتاء**: فيقول للمفتي: ظلمني فلان بكذا وكذا، أو يسأله كيف أتوصل إلى حقي من فلان؟ أو كيف أرد كذا من فلان؟! وقد ثبت في البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن هند امرأة أبي سفيان قالت للنبي ﷺ: إنَّ أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، فقال النبي ﷺ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْـمَعْرُوفِ**»[1].

٤ - **تحذير المسلمين من شره، ونصيحتهم**: ومن ذلك جرح المجروحين من الرواة في الأحاديث النبوية، كأن يقال: فلان كذاب ويضع الحديث.. أو مبتدع، ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو التعامل معه في قرض أو بيع أو شراء.

٥ - **المجاهر بفسقه أو بدعته**: كالمجاهر بشرب الخمر أو فعل الفاحشة أو نحو ذلك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس لفاجر حرمة.

٦ - **التعريف بالشخص باللقب**: إذا كان لا يعرف إلا به، كفلان الأعمش، أو الأقرع، أو الأعور.. أو القصير أو الطويل.. فإن عرف بغير هذه الأوصاف كان

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

أولى وأحسن وأقرب إلى الألفة والمودة بين المسلمين، ينادي أحدهم أخاه بأحب الأسماء إليه.

أيها المسلمون. . عباد الله...

احفظوا ألسنتكم من الغيبة والنميمة وغيرها، فإن من حفظ لسانه من أجل الله تعالى في الدنيا، أطلق الله لسانه بالشهادة عند الموت.. عند لقاء الله ﷻ ومن سرح لسانه في أعراض المسلمين، وتتبع عوراتهم، أمسك الله لسانه عن الشهادة عند الموت.

أما علمتم أن مريم البتول عليها من الله وعلى نبينا السلام، لما نذرت ألا تتكلم، وحبست لسانها لأجل الله تعالى، أطلق الله ﷻ لسان صبيها لأجلها.

فاحبسوا ألسنتكم قبل أن يطول حبسكم.. احبسوا ألسنتكم إلا عن ذكر الله تعالى وقراءة كتابه.

فيا أخي...

سلم على الخلق وارحل نحو مولاك واهجر على الصدق والإخلاص من دنياك

عساك في الحشر تعطى ما تؤمله ويكرم الله ذو الآلاء مثواكَ

اللهمَّ يا من خضع كل شيء لعزتك، وعفت الوجوه لعظمتك، احفظ ألسنتنا من كل سوء وشر، واحفظ قلوبنا بالإيمان.. اللهمَّ ارزقنا ألسنًا ذاكرة، وقلوبًا مطمئنة.. اللهمَّ إنا نعوذ بك من درك الشقاء.. وسوء القضاء وجهد البلاء والشماتة على الأعداء.. اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين.. وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللهمَّ أصلح شبابنا وشباب المسلمين ونور قلوبهم واهدنا واهدنا.. اللهم اهد بنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت، ونعوذ بك من سيئها، فإنه لا يصرف عنها سيئها إلا أنت.

اللهمَّ اجعلنا هداة مهديين، غير ضالين ولا مضلين.. ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٖ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.



الخطبة المائة

من آفات اللسان (النميمة)

الحمد لله.. سامع السر والنجوى، وكاشف الضر والبلوى، ومغيث المتلهف قبل الشكوى، ومبلغ المؤمل غاية أمله القصوى يسوق الرزق في البر إلى الذر والأروى، لا ينظر إلى صور الأعمال وإنما يناله التقوى.

أحمده سبحانه وأستعينه وأستهديه وأتوب إليه وأستغفره، لا أحصي ثناء عليه.. هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك، وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.. لا إله إلا هو.. له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الرحمن على العرش استوى.. الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة..

هو أول هو آخر هو ظاهر — هو باطن ليس العيون تراه

حجته أسرار الجلال فدونه — تقف الظنون وتخرس الأفواه

صمد بلا كفء ولا كيفية — أبدًا فما النظراء والأشباه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقائدنا محمد بن عبد الله، عبد الله ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، المبعوث بأكمل دين، وأفضل شرعة صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغرِّ الميامين، الذين آمنوا به، واتبعوا النور الذي أنزل معه، والتابعين لهم ما بكت عين وجرت دمعة، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها الأحبة في الله...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العلي العظيم، الذي جمعنا في الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة في جنته، ودار كرامته.. إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وما زال اللقاء موصولاً مع آفات هذا العضو الخطير، آفات اللسان، وفي بداية هذا اللقاء المبارك، أوصيكم ونفسي الخاطئة المذنبة بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا..

تقوى إله العالمين عز ... وحرز في الدنا والمرجع

فيها غنى الدارين فاستمسك بها ... والزم تنل ما تشتهيه وتدعي

ومن ضيع التقوى وأهمل أمرها ... تغشته في العقبى فنون الندامة

ومن كانت الدنيا قصارى مُرادُه ... فقد باء بالخسران يوم القيامة

وآفة اليوم التي نتحدث عنها هي آفة من أقبح الآفات، ورزيلة من أعظم الرزائل، وهي داء يفتك بسلامة المجتمع.. ويمزق وحدته وتماسكه، أعرفتم ما هي؟ إنها **(النميمة)**.

فما هي النميمة؟

وما حكمها؟

وما أثرها على الفرد والمجتمع؟

وما عقوبتها؟

وما صفات النمام؟

النميمة هي نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم.. وهي صورة من صور الغيبة.. لأن النمام يعمل جاسوسًا لحساب اللعين إبليس.

والنميمة من كبائر الذنوب، حتى ولو كان صاحبها صادقًا فيما ينقله، كأن يسمع شخص يذم شخصًا آخر ويغتابه، فينقل ما سمعه إليه دون زيادة، وقد شبهها النبي ﷺ بالعضة، وهي الذبيحة، التي تقطع أعضاؤها، فتفرق عن بعضها بعضًا، وذلك لأنها تفرق بين الأحبة، فعن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْـعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْـقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**».

وفي رواية: «**هِيَ النَّمِيمَةُ الَّتِي تُفْسِدُ بَيْنَ النَّاسِ**»[1] .

والنمام من شر خلق الله عز وجل كما قال الحبيب النبي ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟**». قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْـمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْـبَاغُونَ للْبُرَآءِ الْـعَنَتَ**»[2] .

أي الذين يسببون بهذه النميمة التعب والمشقة والمصائب، والمحن للأبرياء.

عباد الله...

والنمام جند من جنود إبليس اللعين، الذي يستخدمه في إيقاع العداوة بين المسلمين بل إنه سهم إبليس الصائب في هذا المضمار.

وإذا كان إبليس يريد إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١].

وقال الحبيب النبي ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْـمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْـعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[3] .

---

(١) رواه مسلم وأحمد والدارمي والبيهقي.

(٢) حسن: رواه البيهقي وأحمد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٨٢٤)، و«الصحيحة» (٢٨٤٩).

(٣) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه

فكم من دماء سفكت بسبب وشاية كاذبة، وكم من بيوت انهارت، وأرحام قطعت بسبب كلمة فاجرة غادرة من نمام آثم.

جاء في «الإحياء» للإمام الغزالي: قال حماد بن سلمة: باع رجل عبدًا، وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة، فقال: رضيت واشتراه، فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه: إنّ سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك - أي يتخذ جارية له كزوجة في المعاشرة - فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات، حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إنّ امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى تتأكد من ذلك، فتناوم الرجل، فجاءت المرأة بالموسى، فظن أنها تريد قتله، فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج، ووقع القتال بين القبيلتين، كل هذا بسبب النميمة.

فالنميمة - عباد الله - خلق ذميم، لأنه باعث للفتن، وقامع للصلات، وزارع للحقد، ومفرق للجماعات، يجعل الصديقين عدوين، والأخوين أجنبين، والزوجين متنافرين، فهذه المصيبة وهذا الوباء وهذا البلاء لا يرضاه لنفسه إلا من انحطت قيمته، وصارت نفسه حقيرة دنيئة، وصار كالذباب ينقل الجراثيم وأشد صور النميمة، وأقبحها، وأعظمها خطرًا إفساد العلاقة بين الرجل وزوجته لأنها تئول إلى الشقاق والفراق في غالب الأمور.

وللنميمة في المجتمع صور متعددة، فقيام بعض الموظفين، لدى أصحاب المناصب والمسئولين بنقل كلام زملائهم بقصد إلحاق الضرر بهم.. فكم جرت هذه السعاية والوشاية من ويلات على كثير من الأبرياء المؤمنين الغافلين، طاهري القلوب، سليمي الصدور، فقضت على أرواحهم وأموالهم! وكم بكثير من العلماء فأخرجتهم من ديارهم وأموالهم! وكم ضربت بصالحين مطمئنين، فأودعتهم السجون، وسلبتهم الحقوق، وجعلت للفسقة عليهم سلطانًا؟! وكم حرمت أطفالاً ونساء من قوتهم وسلبت منهم نعيمهم بدون جناية اقترفوها؟

فالنمام عدو المحبة، حبيب الفرقة والخلافات، وقد شدد الشارع الحكيم في النهي عن هذا الخلق الوضيع، حيث شبه النمام بتشبيهات قبيحة، إن دلت على شيء، فإنما تدل على وقاحة وخطورة النميمة على صاحبها.. فمرة يشبهه بولد الزنى قال الله ﷻ: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ ﴾ [القلم: ١١ - ١٣].

قال أهل العلم: الزنيم ولد الزنى الذي لا يكتم الحديث، وهذا إشارة إلى أن كل من لم يكتم الحديث، ومشى بالنميمة، دل على أنه ولد زنى، استنباطًا من الآية الكريمة.. وفي موضع آخر نجد القرآن الكريم يصف النميمة بالخيانة.

قال تعالى في شأن امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝ ﴾ [التحريم: ١٠].

قال العلماء: الخيانة هنا ليست خيانة في العرض، ولكن الخيانة هنا هي نقل كلامهم إلى الآخرين بقصد الإضرار.. فكانتا تنمان على النبيين بنقل أخبارهما إلى الكفار، فكان إذا أوحى الله إليهما شيئًا، أفتشاه إلى المشركين.

وفي موضع آخر نجد أن الله ﷻ نجد أن القرآن يصف النمام بالذي يحمل الحطب ليبيعه للناس، ليشعلوا به النار، قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝ ﴾ [المسد: ٤، ٥].

قال بعض العلماء: إن امرأة أبي لهب كانت معروفة بنقل الكلام وكانت معروفة بالنميمة، فقد وصفها الله بأنها حمالة الحطب.

وينبغي على المسلم أن يعلم أنَّ النميمة من باب التعاون على الإثم والعدوان، وقد نهى الله عن ذلك، فقال: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢].

أيها النمام القبيح... أتظن أنك تحسن صنعًا بنقلك الأخبار إلى الآخرين؟ فلا والله فكم فرقت بين القلوب، وكم قتلت من الأبرياء؟! وكم حملت من الأوزار

والآثام والخطايا.. اعمل ما شئت فستجزى على كل ذلك، لبئس ما أنت عليه من حال، ولبئس ما سيكون لك من مآل.

فعني أبي هريرة ﷺ قال: «كُنَّا نَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَمَرَرْنَا عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَامَ، فَقُمْنَا مَعَهُ، فَجَعَلَ لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ حَتَّى رَعَدَ كُمُّ قَمِيصِهِ، فَقُلْنَا: مَا لَكَ يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «مَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟».

قُلْنَا: وَمَا ذَاكَ يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «هَذَانِ رَجُلاَنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي ذَنْبٍ هَيِّنٍ»، قُلْنَا: مِمَّ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْـبَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ...»[١].

هذه عقوبة في القبر وهو أول منازل الآخرة وهم في الدنيا من أبغض الناس وأحقرهم، وكذلك في الآخرة، قال ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْـمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْـمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْـمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْـعَنَتَ، الْـعَيْبَ»[٢].

والنمام لا يدخل الجنة بحال من الأحوال، قال سيد الرجال ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[٣]. وفي رواية: «لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ نَمَّامٌ»[٤].

وله الويل والهلاك والخزي في الآخرة، قال ربنا ﷻ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١].

قال ابن عباس ﷺ: هم المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العنت».

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٦٣).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٦٥٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

فليتق الله أصحاب الألسنة الحداد، ولا ينطقوا إلا بما فيه الخير لخلق الله، ويكفيهم في هذا قول المصطفى ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1].

عباد الله...

كيف نتعامل مع أهل النميمة؟

ذكر الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء: كل من حملت إليه النميمة، وقيل له: إنَّ فلانًا، قال: كذا وكذا، أو فعل في حقك كذا، أو هو يدبر في إفساد أمرك أو تقبيح حالك، أو ما يجري مجراه، فعليه ستة أمور:

الأول: ألا يصدقه، لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ** ﴾ [الحجرات: ٦].

الثاني: أن ينهاه عن ذلك، وينصح له، ويقبح عليه فعله، قال تعالى: ﴿ **وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ** ﴾ [لقمان: ١٧].

والثالث: أن يبغضه في الله تعالى، فإنه بغيض عند الله تعالى، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء، لقوله تعالى: ﴿ **ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ** ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: ألا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث، لتتحقق مما قاله لك النمام لقول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُواْ** ﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: ألا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، ولا تحكى نميمته، فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نمامًا ومغتابًا، وقد تكون أتيت ما عنه نهيت.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة.

وخير علاج يقضي على النمام أن ينصرف الناس عنه، ولا يستمعون إليه، وقد أجاد من قال:

تنح عن النميمة واجتنبها فإنَّ النم يحبط كل أجر
يثير أخو النميمة كل شر ويكشف للخلائق كل سر
ويقتل نفسه وسواه ظلمًا وليس النم من أفعال حر

روى كعب الأحبار: أن بني إسرائيل أصابهم قحط شديد، فاستقى سيدنا موسى عليه السلام مرات، فما سقوا، فأوحى الله إليه: «أني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة».

فقال سيدنا موسى عليه السلام: يا رب، من هو؟ دلني عليه حتى أخرجه من بيننا فقال الرب تبارك وتعالى: يا موسى، أنهاكم عن النميمة، وأكون نمامًا» فتابوا جميعًا فسقوا بإذن الله.

أيها المسلمون.. عباد الله...

وإن من أشر أنواع النميمة: ذو الوجهين، وهو الذي يتردد بين المتخاصمين، ويكلم كل واحد منهما كلامًا يوافق هواه، ويدلل أنه مع هذا، وأنه ضد خصمه، ثم يخرج من عنده فينقل ما قاله إلى الآخر.. وهذه الصورة من أقبح صور النميمة، وهي نفس صورة النفاق.. أو المنافق.. ولقد حذر النبي ﷺ من ذلك وبين أن ذا الوجهين هو شر الناس يوم القيامة، فقال: «**تَجِدُوْنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِى يَأْتِى هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ**»[1].

فذو الوجهين لا يريد الإصلاح بين الناس، بل يريد الوقيعة والوشاية بين الناس لكن ما جزاؤه إذن؟

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

جزاؤه يوم القيامة هو ما وضحه أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»**[١].

وفي حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: **«من كان ذا لسانين، جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار»**[٢]. فالمسلم الصادق له وجه واحد، ولسان واحد.. لا ينطق إلا بما يرضي ربه.

وفي السلسلة الصحيحة: **«لا ينبغي لذي الوجين أن يكون أمينًا»**[٣].

أرأيتم هذه العقوبة النكراء في الآخرة.

إن النمام لا يسلم من شر لسانه أحد..

مـن نـمَّ في الـناس لم تؤمن عقاربه — عـلى الـصديق ولم تـؤمن أفاعـيه

كالـسيل بالليـل لا يـدري به أحدٌ — والـويل للـودّ عـنه كـيف ينعـيه

ومن أراد أن يعالج لسانه من النميمة، فعليه أن يشغل لسانه ومجلسه بذكر الله تعالى ويتذكر أمورًا:

أولاً: يعلم أنه متعرض لسخط الله تعالى ومقته وعقابه.

ثانيًا: أن يستشعر عظيم إفساده للقلوب، وخطر وشايته في تفرق الأحبة، وهدم البيوت.

ثالثًا: عليه أن يشيع المحبة بين الناس، ويذكر محاسن ما فيهم.

رابعًا: أن يعلم أنه إن حفظ لسانه، كان ذلك سببًا في دخوله الجنة.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٤٩).

(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٥٠).

(٣) «السلسلة الصحيحة» للألباني.

خامسًا: على المسلم أن يتخذ رفاقًا وأصحابًا صالحين، يدلونه على الخير، وتكون مجالسهم مجالس خير.

سادسًا: أن يوقن أن من يتحدث فيهم، وينم عنهم اليوم، هم خصماؤه يوم القيامة.

سابعًا: أن يتذكر الموت، وقصر الدنيا، وقرب الأجل، وسرعة الانتقال إلى الدار الآخرة..

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي

ولكن إذا متنا بعثنا ونُسأل بعده عن كل شيء

وليعلم المسلم أنه ينبغي عليه ألا يتكلم إلا إذا ظهرت له مصلحته في الكلام، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم.

قال الشافعي رحمه الله: من أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم.

والبهتان على البرئ أثقل من السموات.. وويل لمن سعى بين المسلمين.

ويقال إن رجلاً اتبع حكيمًا سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم منها، قال: إني جئتك للذي آتاك الله تعالى من العلم، أخبرني عن السماء وما أثقل منها؟

وعن الأرض وما أوسع منها؟

وعن الصخر وما أقسى منه؟

وعن النار وما أحر منها؟

وعن الزمهرير وما أبرد منه؟

وعن البحر وما أغنى منه؟

وعن اليتيم وما أذل منه؟

فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا ظهر أمره، أذل من اليتيم.

أحبتي في الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبده ورسوله.. اللهمَّ صلّ عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون.. عباد الله...

ينبغي أن يعلم كل مسلم أنه من نقل إليه كلام الناس، وأفشى سرهم، فإنه ينقل عنك كلامك، ويفشي سرك إلى الآخرين، ورحم الله من قال:

لا تفش سرًّا ما استطعت إلى امرئ ... يفشي إليك سرائرًا يستودع

فكما تراه بسر غيرك صانعًا ... فكذا بسرك لا أبا لك يصنع

وقال آخر:

لا تقبلن نميمة بُلّغتها ... وتحفظن من الذي أنبأكها

إن الذي أهدى إليك نميمة ... سينم عنك بمثلها قد حاكها

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إنَّ رجلاً - وذكر اسمه - ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو: يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل، حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه، أن الموت يغمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسًا وعنده الزهري رحمه الله فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ قلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت، ولا قلت شيئًا، فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق.

فقال الزهري: لا يكون النمام صادقًا.. فقال سليمان: صدقت، ثم قال للرجل: اذهب بسلام.

وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه دخل عليه رجل، فذكر عنده وشاية في رجل آخر.. فقال له عمر: إن شئت حققنا هذا الأمر، الذي تقول فيه وننظر فيما نسبته إليه، فإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١١]. وإن شئت عفونا عنك.. فقال الرجل: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدًا.

وروي أيضًا أن بعض السلف زار أخًا له، وذكر له من بعض إخوانه شيئًا يكرهه فقال له: يا أخي، أطلت الغيبة، وأتيتني بثلاث جنايات - أي مخالفات -: بغّضت إليَّ أخي - أي جعلته مكروهًا عندي - وشغلت قلبي بسببه، واتهمت نفسك الأمينة.

فيا إخوة الإيمان.. احفظوا ألسنتكم من هذه الآفة السيئة (النميمة) فإن فيها إفسادًا لذات البين.. وقد سماها النبي ﷺ الحالقة.. التي تحلق الدين.

اللهمَّ اهدنا لمحاسن الأخلاق، وصالح الأعمال، وجنبنا مساوئ الأخلاق ومنكرات الأعمال.. واهدنا إلى صراطك المستقيم.. إنك جواد كريم..اللهمَّ أعنا على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك.

اللهمَّ أعزنا بالإسلام اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين.. اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ إنا نسألك العفو عما سلف وكان من الذنوب والعصيان.. يا أرحم الراحمين ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأقم الصلاة.. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، ولا يعلم ما تصنعون.



الخطبة الحادية بعد المائة

من آفات اللسان: الغناء

الحمد لله رب العالمين.. بحمده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب وباسمه يتسلى الأشقياء، وإن أرخى دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.. أحمده سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تتناها، وأشكره شكر من عرف نعمه فقدرها حق قدرها ورعاها.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، شهادة من عرف معناها وعمل بمقتضاها.. سبحانه أوجد الخليفة من عدم وأنشاها وقام بأرزاقها وكفاها، وأبان لها طريق رشدها وهداها، ومنَّ بفضله على خلاصة اجتباها واصطفاها، فهي في مراضيه تدأب وبطاعته تتباهى...

رضاك يا رب خير من الدنيا وما فيها
يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للروح آمال تحققها سوى
رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي
أحب إليَّ من الدنيا وما فيها

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا.. عبد الله ورسوله.. النبي المصطفى، والرسول المجتبى.. أزكى البشرية، وأبرها بحقوق الله وحقوق خلقه.

جبريل ضمك يا محمدُ قائلاً اقرأ ستنشر في الورى تشريعًا

جعلت حياتك للزمان ربيعًا ومشى بشيرك في الأنام مذيعًا
الله أكبر حين بشر قائلاً وهب الإله إلى الأنام شفيعًا

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن أصحابه الغرّ الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا المسجد على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته مع سيد الأولين والآخرين، وقائد الغرّ المحجلين، وشفيع المذنبين.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أيها الأحبة الكرام...

وما زال اللقاء موصولاً عن آفات هذا العضو الخطير، وهو اللسان، وآفة اليوم، هي آفة احتلت غالب بيوت المسلمين، وفتن بها كثير من الرجال والنساء الذين ضعف إيمانهم، وخفت عقولهم.. أعلمت ما هي؟

إنه الغناء.. الذي افتتن به شباب الأمة من بنين وبنات، فشغلوا به أوقاتهم فملأوا أرجاء بيوتهم بأصوات المغنيين والمغنيات عبر الأشرطة والأسطوانات والإذاعات.

بل ربما وجدنا الأب يعلم طفله الصغير أو طفلته ألفاظ الغناء، ويشجعهم على هذا الفعل الذميم.

إنَّ المعركة بين إبليس وجنوده من الجن والإنس، وبين المؤمنين دائمة لا تتوقف وهذه المعركة نعيشها كل يوم، لا بل كل ساعة، وكل دقيقة، لقد أقسم إبليس اللعين يوم أن لعنه الله، وأهبطه إلى الأرض أن يشن حربًا لا هوادة فيها، وأن يجند لها كل من استطاع أن يغويه من عباد الله، وقد اتخذ لأجل ذلك وسائل وطرقًا يكيد بها لبني آدم، والغناء واحدة من تلك المكايد، ومصيدة من مصايده التي صاد، وما زال يصيد بها قلوب الجاهلين.

الغناء يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية الزنا واللواط، وهو رسول العاشقين الفسقة، لينالوا به ما يريدون، وهو سبيل تسلط الفسقة من الجن على الإنس.

عباد الله...

وهذا الغناء قد جاء له في الشرع بضعة عشر اسمًا، هي: اللهو، واللغو، والباطل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، وصوت الشيطان، ومنفث النفاق في القلب، والصوت الأحمق، والصوت الفاجر، وصوت الشيطان، ومزمور الشيطان.

أسماؤه دلت على أوصافه، وتبًا لهذه الأوصاف، أما اسمه الأول: وهو اللهو:

فقد ورد في قول الله ﷻ: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن**

سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ [لقمان: ٦، ٧].

فمن الناس من يشتري هذا اللهو من أشرطة، أو آلات موسيقية، أو قصائد غزلية يشتريه بماله.. ويشتريه بوقته، ويشتريه بحياته، يبذل ماله في لهو رخيص، يفني فيه عمره المحدود، الذي لا يعود منه يوم مضى.. يشتري هذا اللهو ليضل عن سبيل الله بغير علم.. يضل نفسه، ويضل غيره.

قال العلماء والصحابة - رضوان الله عليهم - في لهو الحديث قال ابن مسعود: والله الذي لا إله غيره هو الغناء، يرددها ثلاث مرات، وصح عن ابن عمر ﷺ: أنه الغناء، وبه قال ابن عباس ﷺ وهؤلاء الصحب ﷺ الذين فسروا لهو الحديث بالغناء، هم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، فهم أعلم الناس بكلام الله ﷻ.. لكن كيف يكون الغناء ملهيًا؟

إننا لا نجد الذين يستمعون إلى الغناء إلا معرضين عن سماع كلام الله ﷻ فلو عرض على أحدهم سماع الغناء، وسماع القرآن، لعدل عن هذا إلى ذلك وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله ذلك إلى أن يسكت القارئ، ويظن أن طوّل القراءة، لكن إذا سمع المغني، فإنه يستزيده.

وأما رقية الزنى: فهو من أقوى جنوده، ففيه الدعوة إلى الموعد، والدعوة إلى الجلوس، والخلوة مع المحبوب، والغرام والعشق والصداقة والتأوه والتأسف لفراق المحبوب.. والدعوة إلى التهتك والسفور، وغير ذلك مما لا يخفى عليكم ضرره وفحشه وإسفافه.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: الغناء رقية الزنى.

وقال يزيد بن الوليد: يا بني أمية، إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر فإن كنتم ولابد فاعلين، فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنى.

وأما الاسم الثاني والثالث: الزور واللغو: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال محمد ابن الحنفية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الزور هاهنا: الغناء، وقاله ليث عن مجاهد.

وقال الكلبي: لا يحضرون مجالس الباطل، وقد أثنى الله عَزَّ وَجَلَّ على من أعرض عن اللغو إذا سمعه، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: ٥٥]. وهذه الآية وإن كان سبب نزولها خاصًا، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

والاسم الرابع: الباطل: وهو ضد الحق، وهو الذي ضرره أكثر من نفعه.

عن كثير بن زيد أنه سمع عبيد الله يقول للقاسم بن محمد: كيف ترى في الغناء، قال: فقال له القاسم: هو باطل، فقال: قد عرفت أنه باطل، فكيف ترى فيه؟ فقال له القاسم: أرأيت الباطل أين هو؟ قال: في النار، قال: فهو ذاك[١]

وأمَّا تسميته: قرآن الشيطان، فقد قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما أهبط إبليس إلى الأرض قال: يا رب، لعنتني، فما عملي؟ قال: السحر.

قال: فما قرآني؟ قال: الشعر.

قال: فما كتابي؟ قال: الوشم.

قال: فما طعامي؟ قال: كل ميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

قال: فما شرابي؟ قال: كل مسكر.

قال: فأين مسكني؟ قال: الأسواق.

قال: فما صوتي؟ قال: المزامير.

قال: فما مصايدي: قال: النساء.

وأما تسميته بالصوت الأحمق، والصوت الفاجر، فهي تسمية الصادق المصدوق،

---

(١) «إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان».

الذي لا ينطق عن الهوى، كما في حديث الترمذي من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نَهَيْتُ عَنِ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٍ عِنْدَ نَغَمَةٍ لَـهْوٍ وَلَعِبٍ وَمَزَامِيرِ شَيْطَانٍ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ، وَشَقِّ جُيُوبٍ»[1].

وروى البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة**»[2].

وأما تسميته: صوت الشيطان، فقد قال تعالى للشيطان وحزبه: ﴿ **ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾** ﴾ [الإسراء: ٦٣، ٦٤].

جاء في تفسير ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ **وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ** ﴾، قال: «كل داع إلى المعصية» ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية. ذكر ذلك ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان».

أيها المسلم عباد الله...

إنَّ حكم سماع الأغاني، والآلات الموسيقية هو الحرمة، ومن كان في شك من تحريم الأغاني والموسيقى والمعازف، فليزل الشك باليقين من قول رب العالمين، ورسوله الأمين، في تحريمها، وبيان أضرارها، فقد ذكرنا بعض النصوص، وهناك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، التي تدل على تحريمها، والوعيد لمن

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٩٤)، و«الصحيحة» (٢١٥٧).

(٢) **حسن**: رواه البزار وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٠١)، و«صحيح الترغيب» (٣٥٢٧)، و«الصحيحة» (٤٢٧).

استحل ذلك، وأصر عليه، والمؤمن الصادق يكفيه دليل واحد، فكيف إذا تكاثرت الأدلة.. ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فمن السنة المطهرة ما رواه البخاري من حديث أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْـحِرَ وَالْـحَرِيرَ، وَالْـخَمْرَ وَالْـمَعَازِفَ**»[١].

ومعنى أنهم يستحلون: إما أنهم يفعلون هذه المحرمات فعل المستحل لها بحيث يكثرون منها، ولا يتحرجون من فعلها، وإما أنهم يعتقدون حلها، وقد يكون هذا بسبب فتوى ضالة من فتاوى أصحاب الأهواء، والمراد بالمعازف في الحديث آلات اللهو من طبل وزمر، وطنبور، وعود وقانون، وقيتار ونحوها.

ولو لم يرد في المعازف حديث سوى هذا الحديث لكان كافيًا، وخاصة فيما يغنيه أولئك المطربون اليوم من ألفاظ الفحش والبذاءة والمجون والخلاعة، ونحو ذلك فما يثير الهوى والشهوات.

ومن الأدلة على حرمة الغناء ما رواه الطبراني عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ : «**سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ**» قالوا: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: «**إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمر**»[٢] .

وفي رواية عند الترمذي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه : «**فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، إِذَا ظَهَرَتِ الْـقَيْنَاتُ وَالْـمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْـخُمُورُ**»[٣] .

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح: رواه الطبراني وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٥)، و«الصحيحة» (١٧٨٧).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٢٧٣).

وعند البيهقي وأحمد من حديث ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّـهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْـخَمْرَ وَالْـمَيْسِرَ وَالْـكُوبَةَ، كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»[1].

والمزر هو نبيذ الذرة، والكوبة: الطبل.

أيها الأحبة الكرام...

إنَّ مفاسد الاستماع إلى الغناء كثيرة، وآفاته خطيرة، منها: أنه يفسد القلب وينبت النفاق، كما قال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل ﵀: سألت أبي عن الغناء، فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، وقال: لا يعجبني.

وقال الإمام مالك ﵀: إنما يفعله الفساق.

وقال الضحاك ﵀: الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب، وكتب عمر بن عبد العزيز ﵀ إلى مؤدب ولده: «ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه قد بلغني عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف، واستماع الأغاني، واللهو بها، ينبت النفاق في القلب، كما ينبت العشب الماء».

ومنها: أنه يمحو من القلب محبة القرآن الكريم، فإنه لا يجتمع في القلب محبة القرآن ومحبة الألحان، لأن القرآن وحي الرحمن، والغناء وحي الشيطان، ولا يجتمع وحي الرحمن، ووحي الشيطان في مكان إلا أخرج أحدهما الآخر.

ومنها: أنه يسخط الرحمن، لأنه يصد عن ذكر الله الواحد الديان، وعن طاعته ويجلب العصيان.

ومنها: أنه سبب لأنواع كثيرة من العقوبات الدنيوية والأخروية.

يقول ابن قيم الجوزية ﵀: والذي شاهدناه نحن وغيرنا، وعرفناه بالتجارب،

---

(١) حسن: رواه أحمد والبيهقي والطبراني وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٤٨).

أنه ما ظهرت المعازف، وآلات اللهو في قوم، وفشت فيهم، واشتغلوا بها، إلا سلط الله عليهم العدو، وبلوا بالقحط والجدب، وولاة السوء».

ومنها: أنه مجلبة للشيطان فهو مطردة للملائكة، لأنهما ضدان لا يجتمعان، فالبيت الذي ترتفع فيه أصوات الأغاني، تجتمع فيه الشياطين، وتبتعد عنه الملائكة.

فيا أسفاه على بيوت خلت منها ملائكة الرحمن، وعششت فيها فراخ الشيطان.

أحبتي في الله...

يقول الحبيب النبي ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْـمُنْكَرَ ولَـم يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ اللَّـهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ**»[1].

ويقول ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[2]. أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه وأحمد والترمذي عن أبي بكر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٩٧٤)، و«المشكاة» (٥١٤٢).

(٢) رواه البخاري وغيره.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

إنَّ الله ﷻ نهى المرأة أن تحرك رجلها، حتى لا يُسمع صوت خلخالها، فكيف بمن تتكسر في صوتها، وتتمايع في كلامها، وتتأوه فتثير كامن الشهوات السافلة الدنيئة.. إن غناء المرأة يثير الرجل، وغناء الرجل يثير المرأة.

قال الشافعي رحمه الله: صاحب الجارية (المغنية) إذا جمع الناس لسماعها، فهو سفيه ترد شهادته.. وأغلظ القول فيه، حتى قال: هو دياثة - أي ديوثًا - وهو الذي يرضى الفاحشة في أهله.

قال القاضي أبو الطيب: وإنما جعل صاحبها - أي مالكها - سفيهًا، لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل، كان سفيهًا فاسقًا.

وقد سمع سليمان بن عبد الملك صوت غناء، فأحضر المغنين، وقال: إنَّ الفرس ليصهل، فتسودق له الرمكة - أي تطلبه - وإنَّ الفحل ليهدر، فتضبع له الناقة، وإن التيس لينبّ فتستحرم له العنز، وإنَّ الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة، ثم أمر بخصائهم - أي المغنين.

فأي رجل بعد هذا يسمح لامرأته أو بناته أن يستمعن إلى غزل الفجار من المغنين السافلين.. ويكفي ما هو منتشر الآن في بلادنا من عشق البنات للمطربين، وتفاخرهن بذلك في مدارسهن وجامعاتهن، وتجدون هؤلاء البنات يحتفظهن بصورهم في حجرات نومهن، وليفتش الكثير منّا حقائب البنات وغرفهن، فإن لم تجدوا ففي قلوبهن وعقولهن.. ستجدون آثاره المدمرة، آثار هذا المنكر الخبيث.

فلعمر الله كم من حرة صارت بالغناء من البغايا؟!

وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان والصبايا؟

وكم من غيور تبدل به اسمًا قبيحًا بين البرايا؟!

وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا؟!

وكم من معافى تعرض له، فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا؟!

وكم جرع من غصة، وأزال من نعمة، وجلب من نقمة؟!

أيها الأحبة الكرام...

لقد علمتم الآيات الواضحات، وسمعتم الأحاديث البينات في تحريم الغناء، فلماذا التمادي في العصيان؟ ولِمَ هذا التجاهل لأحكام القرآن؟ لماذا تُرى عند سماع الغناء، وقد خشعت منك الأصوات، وهدأت منك الحركات، وتفجرت ينابيع الوجد من قلبك على عينيك فجرت، وعلى أقدامك فرقصت، وعلى يديك فصفقت، وعلى سائر أعضائك، فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسك فتصاعدت، وعلى نيران أشواقك فاشتعلت.. ولو سمعت القرآن من أوله إلى آخره، لما حرك لك ساكنًا، ولا أزعج لك قاطنًا، ولا آثار فيك وجدا.

إنه من المعلوم أن من أحب حبيبًا، كان كلامه وحديثه أحب شيء إليه، كما قيل:

إن كـنت تـزعم حبـي ... فلـم هجـرت كـتابي؟

أمـا تأملـت مـا فـيه ... مـن لذيـذ خطـابي؟

لماذا تختار مزمار الشيطان، وتقدمه على كتاب الرحمن؟! أتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

حب الكتاب وحب ألحان الغنا ... في قلـب عـبد لـيس يجـتمعان

ثقـل الكـتاب علـيهمُ لَمّـا رأوا ... تقيـيده بـشرائع الإيـمان

واللهـو خَـفّ علـيهم لَمّـا رأوا ... مـا فـيه مـن طـرب ومـن ألحـان

يـا لـذة الفـساق لـست كلـذة ... الأبـرار في عقـل ولا قـرآن

اللهمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.. اللهمَّ ارحم ضعفنا وتقصيرنا، واحفظ ألسنتنا من الخنا، وثبت على الحق قلوبنا يا أرحم الراحمين.. اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بسوء ما عندنا.. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.. اللهمَّ إنا نسألك النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول.

اللهمَّ إنا نسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.. اللهمَّ اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، وماتوا على ذلك يا أرحم الراحمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.



الخطبة الثانية بعد المائة

من آفات اللسان: المزاح

الحمد لله رب العالمين.

فالق الإصباح، أنعم على المؤمنين بالهدى والتقى والصلاح وجعل الدنيا دولاً، فجمعت بين الهموم والأفراح، وجعل الآخرة دارين دار مقيل بارد ومستراح، ودار الاصطراخ والعويل والصياح.

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على ما من به من الإسلام، دين الفطرة وشرط السعادة والفلاح، تطمئن به القلوب، وتعلوها به الفسحة والانشراح.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. رفع السماء بغير عمد وبسط الأرض على ماء جمد، ففرش ومهد، وجعلها قرارًا، وجعل خلالها أنهارًا، وجعل لها رواسي، وجعل بين البحرين حاجزًا.

سبحانه سبحانه.. جعل الظلمات والنور.. خلق سبع سموات طباقًا ما ترى فيها من تفاوت أو فطور.. وأنزل من السماء ماء منه آبار وآنهار وبحور وفي الأرض قطع متجاورات منها الخصبة والبور، جعل الليل لباسًا وجعل النوم سباتًا، وفي النهار نشور.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله كامل النور، وكمال النور صفيه المكرم، وخليله المعظم، تعلقت بحبه قلوب المؤمنين، فافتدوه بالأموال والأولاد والأرواح.. سيدي يا رسول الله ..

يا خير من طلعت على الأكوان	بدرًا منيرًا أنار الكون أزمانًا
وصرت تدعو لدين الله في وسط	كانت ديانته شركًا وأوثانًا

لـولاك مـا شـاع شرع الله في بلـد ولا قــرأنا عــن الإســلام قــرآنًا
لازلـت شمـسًا عـلى الأيـام نـيرة تهـدي الـبرية أشـياخًا وفتـيانًا

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين نشروا دينه، وجاهدوا في سبيله باللسان والسلاح، ومن تبعهم بإحسان فسلك طريقهم في الغدو والرواح وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

أوصيكم ونفسي - في بداية هذا اللقاء المبارك - بتقوى الله ﷻ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أعرض عنه أتعبه وأشقاه.. فتقوى الله خير زاد، تقوى الله خير لباس ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

تقوى الله سبب لحصول الخيرات والبركات.. ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ٩٦]. تقوى الله سبب في قبول الأعمال.. ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

أيها الأحبة الكرام...

وما زال لقاؤنا موصولاً مع آفات اللسان، وآفة اليوم هي «المزاح»:

إنه آفة من الآفات الخطيرة للسان، والتي قد أصيبت بها أمتنا، ولا ينبغي أن يفهم هذا على غير وجهه، فالمزاح مطلوب، وهو من الأشياء التي تدخل السرور على النفس، وتدخل عليها الأنس، وذلك إذا كان في محله، وكان بصورة لطيفة، لكن المزاح الذي نحذر منه، والذي يعتبر آفة من آفات اللسان هو المزاح في غير الحق.

والإسلام دين السماحة، وما ترك شيئًا في حياة المسلم إلا ونظمه ورتبه، وجعل له قواعد وضوابط يسير عليها، ويلتزم بها.

فدين الإسلام ليس دين كبت كما يزعم الحاقدون والجاهلون، وليس دين حبس للنفس فلا ضحك ولا مزاح، ولا لهو، ولا متعة.. فقد كان سيد الأولين والآخرين وهو قدوتنا وإمامنا يمزح، لكنه كان لا يقول إلا الحق والصدق.. ففي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: «**إِنِّي لأَمْزَحُ، وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا**»(١).

أما مزاح الآخرين فقد أصبح مزاحًا أدخله الشيطان على الصغير والكبير، على الذكر والأنثى، لأنهم حين يمزحون يسابق أحدهم الآخر للإتيان بكلمات تعجب الآخرين، فيها يشتد ضحكهم، وعند هذه الأهداف الدنيئة يضيع الحق في نفوس هؤلاء، فتنطق الأفواه والألسن بالكذب والباطل، وحينئذ يقعون في آفات اللسان، وقد حذر رسول الله ﷺ فقال: «**وَيْلٌ لِلَّذِى يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْـقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»(٢).

أيها المسلمون.. عباد الله...

ولقد جاءت سنة النبي ﷺ وسيرة صحابته مليئة، ومبينة وموضحة لمثال هذه القضية، فلقد كانت سيرته ﷺ نموذجًا لحياة المسلم، لمن أراد أن يحيا حياة على وفق ما شرع الله.. فقد كان النبي ﷺ يمازح أصحابه، فقد جاء إليه رجل يستحمله - أي يطلب منه أن يحمله على ناقة، فقال: يا رسول الله احملني - يعني أعطني دابة أركب عليها - فقال: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ».

---

(١) صحيح: رواه الطبراني عن ابن عمر وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٩٤).

(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (١٩٩٠٦)، وأبو داود والترمذي والنسائي، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٤٤)، و«صحيح الجامع» (٧١٣٦).

قَالَ: يا رسول الله وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ»[١].

لقد فهم هذا الصحابي من كلام الرسول ﷺ أنه سوف يحمله على صغار ولد الناقة، وهذا معروفٌ أنه لا يُحمل عليه لصغره، لكن حتى الكبير من الإبل هو ولد للناقة، فلم ينتبه الرجل لمراد الحبيب المصطفى ﷺ وقد كان ﷺ صادقًا فيما يقول.

وروى الطبراني في الأوسط أنّ امرأة عجوزًا، دخلت في بيت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي ﷺ: «**إنَّ الجنة لا يدخلها عجوز**» ثم ذهب للصلاة، فلما رجع قالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: لقد وجدت العجوز من كلامك شدة ومشقة، فقال ﷺ: «**إنَّ الله يرجعهن أبكارًا**»[٢].

وقال زيد بن أسلم: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ زوجي يدعوك، فقال ﷺ: «**من هو؟ أهو الذي بعينيه بياض؟**». قالت: والله ما بعينيه بياض!

فقال: «**بلى، إنَّ بعينيه بياضًا**»، فقالت: لا والله.

فقال: «**ما من أحد إلا وبعينيه بياض**»[٣].

وأراد البياض الذي يحيط بحدقة العين.. صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله.. لقد كنت رفيع الخلق، حتى أنك كنت تمازح الأطفال وتداعبهم، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٢٨).

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه مسعدة بن اليسع ضعيف رقم (٥٧٠٣)، وهو في «السلسلة الصحيحة» مختصرًا (٢٩٨٧).

(٣) حسن: رواه ابن أبي الدنيا وابن الزبير بن بكار في الفكاهة والمزاح والغزالي في «الإحياء».

ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»[١]. يعني عصفور صغير كان يلعب به .

يقول أنس: فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه، فيصلي بنا.

في بعض روايات الحديث: كان يمازحه، وعند أحمد وغيره «يضاحكه» وفي رواية المثنى بن أبي عوانة: «يفاكهه».

ذكر ابن حجر رحمه الله في الفتح، أن ابن القاص ذكر في أول كتابه أن بعض الناس عاب على أهل الحديث أنهم يرون أشياء لا فائدة فيها، ومثلوا بحديث أبي عمير هذا قال: وما دري - أي هؤلاء - أنَّ في هذا الحديث من وجوه الفقه، وفنون الأدب والفائدة ستين وجهًا، ثم ساقها مبسوطة، فلخصتها مستوفية مقاصده، ثم أتبعته بما تيسر من الزوائد عليه، فقال:

١، ٢ - فيه: استحباب التأني في المشي، وزيارة الإخوان.

٣ - وجواز زيارة الرجل للمرأة الأجنبية، إذا لم تكن شابة، وأمنت الفتنة.

٤، ٥ - وتخصيص الإمام بعض الرعية بالزيارة ومخالطة بعض الرعية دون بعض.

٦ - ومشي الحاكم وحده.

٧ - وأن كثرة الزيارة لا تنقص المحبة، وأن قوله: «زُرْ غِبًّا، تَزْدَدْ حُبًّا»[٢]. مخصوص بمن يزور لطمع.

٨ - وأن النهي عن كثرة مخالطة الناس مخصوص بمن يخشى الفتنة أو الضرر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه.

(٢) حسن: رواه الطبراني عن عبد الله بن عمرو، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٥٨٣).

٩-وفيه: مشروعية المصافحة، لقول أنس رضي الله عنه: ما مسست كفًا ألين من كف رسول الله ﷺ وتخصيص ذلك بالرجل دون المرأة.

١٠ - وفيه استحباب صلاة الزائر في بيت المزور، ولا سيما إن كان الزائر ممن يتبرك به.

١١ - وجواز الصلاة على الحصير.

١٢ - وترك التقزز لأنه علم أنَّ في البيت صغيرًا، وصلى مع ذلك في البيت وجلس فيه.

١٣ - وفيه: جواز المهازحة، وتكرير المزح، وأنها إباحة سنة، لا رخصة.

١٤ - وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة.

١٥ - وتكرير زيادة المزوح معه، واكتفى بهذا مع أن هناك فوائد كثيرة ومتعددة، نتوقف معها في درس من دروس المساء إن أذن الله تعالى.

وقد مازح النبي ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه كما مازح أخوه الصبي أبو عمير، فقال لأنس: **«يَا ذَا الأُذُنَيْنِ»**[1].

جاء في تحفة الأحوذي أن معناه: الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له، لأن السمع بحاسة الأذن، ومن خلق الله له الأذنين وغفل ولم يحسن الوعي لم يغدر، وقيل: إنَّ هذا القول من جملة مداعباته ﷺ ولطيف أخلاقه.

وجاء في الأدب المفرد للبخاري أنَّ أصحاب الحبيب المصطفى ﷺ كانوا يتبادحون بالبطيخ، فإذا جد الجد، كانوا هم الرجال.

ودخل رسول الله ﷺ مرة على صهيب رضي الله عنه وكان بإحدى عينيه رمد،

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٨٢٨)، و«صحيح الجامع» (٧٩٠٩).

وكان يأكل تمرًا، فقال له: «**أتأكل التمر وأنت رمد؟**».

فقال صهيب: إنما آكل بالشق الآخر[١] .

ومن بين الذين مازحهم النبي ﷺ صحابي جليل يقال له: زهير، فقد كان يهادي النبي ﷺ بما يستطرف من البادية، والنبي ﷺ بما يستطرف من الحاضرة، وقد جاء النبي ﷺ إلى السوق يومًا، فوجد زهيرًا قائمًا، فجاءه من قبل ظهره، وضمه بيده إلى صدره، فأحسن زهير أنه رسول الله ﷺ فجعل يمسح ظهره في صدره، رجاء بركته، وجعل الرسول ﷺ يقول: «**مَنْ يَشْتَرِى الْـعَبْدَ؟**».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ إِذاً وَاللَّـهِ تَجِدَنِى كَاسِداً. فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**لَكِنْ عِنْدَ اللَّـهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ**»[٢] .

ومازح الحبيب المصطفى ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو غاضب يومًا من ابنته فاطمة رضي الله عنها وقد أخذ يبحث عنه، أو أرسل من يبحث عنه، حتى وجده في المسجد، بجوار جدار، وقد امتلأ ظهره ترابًا، فجعل يمسح التراب عن ظهره، ويقول له: «**قم يا أبا تراب**»[٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ عندي وسودة بنت زمعة، فصنعت (خزيرة) وجئت به، فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه فقلت: والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك.

فقالت: ما أنا بذائقته، فأخذت بيدي من الصحفة شيئًا ما، فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها رسول الله ﷺ

(١) حسن صحيح: «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٤٣).

(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (١٢٥٨٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٦٨)، وابن الأثير في «أسد الغابة» .

(٣) رواه البخاري ومسلم وابن السني.

لتستقد - أي لتقتص مني - فتناولت من الصحفة شيئًا، فمسحت به وجهي، وجعل رسول الله ﷺ يضحك[١].

أحبتي في الله...

يقول الإمام النووي رحمه الله: اعلم أن المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك، وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله، والكفر في مهمات الدين، ويئول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار.

فأمَّا من سلم من هذه الأمور، فهو المباح، الذي كان رسول الله ﷺ يفعله على الندرة، لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة.. وعلى هذا يحمل كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر ضحكه، قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه، كثر سقطه، ومن كثر سقطه، قل حياؤه، ومن قل حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه.. أي من الغفلة.

ولأن كثرة الضحك تدل على غفلة صاحبها عن ذكر الله تعالى، وعن الآخرة، قال الحبيب النبي ﷺ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً**»[٢].

وقد كان ثابت البناني رحمه الله يقول: ما ضحك مؤمن، إلا وهو في غفلة عن الموت.

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: عجبت من ضاحك، ومن ورائه النار، ومن مسرور ومن ورائه الموت.

وقال رجل لأخيه: يا أخي، هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم.

---

(١) أخرجه ابن بكار في الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد قاله العراقي في «تخريج الإحياء».

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد عن أبي ذر ومسلم عن أنس.

قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟

قال: لا.. قال: ففيم الضحك.

ونظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر، فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم، فما هذا فعل الشاكرين؟! وإن كان لم يغفر لهم، فما هذا فعل الخائفين؟

وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول: أتضحك، ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟

وقال محمد بن واسع رحمه الله: إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي، ألست تعجب من بكائه؟ فقالوا: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه.

قال الغزالي رحمه الله: فهذه آفة الضحك، والمذموم منه أن يستغرق ضاحكًا، والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن، ولا يسمع له صوت، وكذلك كان ضحك رسول الله ﷺ[١].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتدرون لم سمي المزاح مزاحًا؟ قالوا: لا.

قال: لأنه أزاح صاحبه عن الحق..

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«عسى رجل منكم أن يتكلم بالكلمة، يضحك بها القوم، فيسقط بها أبعد من السماء، ألا هل عسى رجل منكم يتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه، فيسخط الله بها عليه، لا يرضي عنه، حتى يدخله النار»**[٢].

وعند الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ**

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٣٢٦).

(٢) حسن: رواه أبو الشيخ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٨٧٧).

بِالْـكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ، يَهْوِى بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا»[(١)].

وعند الترمذي: «**لاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْـقَلْبَ**»[(٢)].

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الواحد بلا شريك، والقوي بلا نصير، والعزيز بلا ظهير.

سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين، وأنيس الذاكرين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

كما سمعتم فإن ديننا لا يحرم المزاح ولا المداعبة، ولكنه جعل له ضوابط تجعله لا يخرج إلى الإفساد، وقطع الصلات، وحصول الآثام، ومن تلك الآداب والضوابط:

١ - عدم الإكثار منه، والإفراط فيه: فالإفراط في المزاح مذموم، لأنه ربما كان للعداوة والتباغض سببًا، والشر إذا فتح لا يسد، وسهم الأذى إذا أرسل لا يرد.

قال بعض الحكماء: إنما المزاح سباب، إلا أن صاحبه يضحك.

---

(١) حسن: رواه أحمد في مسنده.

(٢) حسن: رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٠)، و«الصحيحة» (٩٣٠).

وقال بعضهم: خير المزاح لا ينال.. وشره لا يقال.

٢ - ومن الأدب: أن لا يسيء إلى أحد ولا يؤذيه: فهو مندوب إليه بين الأهل والأصدقاء، والإخوان والأقرباء على أن لا يستهزئ بأحد، ولا يستخف به، ولا يروعه، قال ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»[1].

وسبب الحديث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسيرون معه، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه، فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ هذا الحديث.. وقد فعلوا ذلك مزاحًا.

وفي غزوة الخندق كان الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه ينقل تراب الخندق مع أصحابه، فجاء عمارة بن حزم، فأخذ سلاحه أو عصاه، وهو لا يشعر به، فنهاه رسول الله ﷺ وقال: «**مَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا**»[2].

وقال: «**لاَ يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لاَعِبًا، وَلاَ جَادًّا**».

٣ - ألا يكون المزاح فيما يتعلق بالدين كالمزاح بالآيات أو الأحاديث، أو الثوابت الشرعية، التي لا يجوز المساس بها، وهذا من أخطر ما يكون، حيث إن هذا الفعل كفر مخرج من الملة - والعياذ بالله - قال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله: ومن هزل بالله أو بآياته الكونية أو الشرعية، أو برسله، فهو كافر.

٤ - ومن الأدب: اجتناب المذموم من المزاح.. ومن أراد أن يتعرف على هذه الآداب فليرجع إلى كتاب (منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية) للمؤلف.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجبر كسرنا، ويغني فقرنا، ويرحم ضعفنا، ويغفر ذنوبنا، وأن يختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وأحمد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٧٦٥٨)، و«صحيح الترغيب» (٢٨٠٥).

(٢) حسن: «صحيح سنن أبي داود» للألباني (٥٠٠٣)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢٢٦٣).

اللهمَّ متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، واجعل الجنة هي دارنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ﷺ اللهمَّ ارزقنا محبته واتباعه ظاهرًا وباطنًا.. اللهمَّ توفنا على ملته، واحشرنا في زمرته، واسقنا من حوضه، وأدخلنا في شفاعته.. واجمعنا به في جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللهمَّ ارض عن خلفائه الراشدين، وعن زوجاته أمهات المؤمنين، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.



الخطبة الثالثة بعد المائة

من آفات اللسان: السب واللعن

الحمد لله.. الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا.. والحمد لله الذي اتصف بالرحمة رأفة وحلمًا.. يا رب

إن ذنوبي في الورى عظمت ... وليس لي من عمل في الحشر ينجيني

أتيتك بالتوحيد يصحبه ... حب الرسول وهذا القدر يكفيني

أحمده فهو المرتجى وحده في الصغائر والمهمات، وأشكره جل جلاله شكر من يرجو الخروج من النور بعد الظلمات.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.. سبحانك.. وصفت نوحًا بأنه كان عبدًا شكورًا، وجعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، فكانت ضياء ونورًا، وألقيت قميص يوسف على وجهه، فارتد بصيرًا، ووصفت أيوب بأنه كان أوابًا صبورًا، وأرسلت الحبيب محمد شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا.. وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد عبد الله ورسوله.. قدوة القدوات، وخير البريات وسيد الكائنات.. نظر الله في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير القلوب، فجعلهم وزراء نبيه.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

إن ربكم ينادي عليكم، يا من آمنتم بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولاً ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨** ﴾ [الحشر: ١٨]. وصية من الرحمن الرحيم إلى كل عبد مؤمن.

فاتقوا الله **عباد الله**... فما للنفوس لا تتزود من التقوى وهي مسافرة؟!

وما للهمم عن ركب المتقين فاترة؟ وما للألسن عن شكر نعم ربها قاصرة؟!

وما للعيون إلى زهرة الدنيا الفانية ناظرة؟! وعن طريق الهداية الواضحة حائرة؟! ألا فاتقوا الله ربكم، وعظموا نواهيه وأوامره، وتدبروا آياته، فكم فيها من عبرة وموعظة زاجرة.

أحبتي في الله...

وما زال الحديث مستمرًا عن آفات اللسان وعثراته وزلاته، وذلك لأهمية هذا الموضع من ناحية، ومن ناحية أخرى، لغفلة كثير من الناس، وللوبال الذي يجره اللسان على صاحبه، إذا لم يتحكم فيه صاحبه، وآفة اليوم من الآفات المنتشرة بكثرة في هذا المجتمع.. إنها آفة **(السب واللعن والشتم)** فالمسلم الحق هو الذي يحفظ لسانه من السب واللعن والشتم، قال النبي ﷺ: «**ليس المسلم بالسباب، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا البذيء**»[١].

فالمسلم العارف بربه كلامه طيب، كلامه حسن، كلامه نافع، كلامه يحقق الخير ويهدف إلى الخير، لأن لسانه مهذب، ولأن ربه أمره بذلك، قال الله تعالى: ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا** ﴾ [البقرة: ٨٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن حبان والحاكم والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٥٣٨).

وقال: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

فالسباب خلق سيئ، خلق قبيح ذميم، لكنه يتفاوت في الإثم حسب من سُبَّ وعيب وشتم.. وأعظم سب في هذا الوجود، وأشد جرمًا وقبحًا، سب الله الواحد الأحد، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.. كيف يسب الإنسان مولاه وهو الذي خلقه فسواه، فعدله.. وفي أحسن صورة ركبه.. نعمه عليه لا تحصى ولا تعد.. ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

كيف يسبه وقد أنعم عليه بنعمه، التي لا يحصيها عد، ولا يحيط بها حد.. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

فسب رب العالمين ذنب عظيم، وإثم كبير، وجريمة نكراء لا تصدر من إنسان في قلبه ذرة من إيمان.. بل إنَّ المؤمن بعيد كل البعد عن ذلك، لكن مسبته ﷻ كانت على لسان أعدائه من اليهود والنصارى، ومن اتخذوا معه إلهًا آخر، وهؤلاء اليهود الملاعين وصفوا ربهم، نعتوا الخالق العظيم والرب الكريم بأنه فقير، في حين أنهم وصفوا أنفسهم بالغني.. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وصفوا أنفسهم، ووصفوا ربهم بالفقر، ووصفوه بالبخل مع أنه هو القائم بأرزاق العباد جميعًا، من إنس وجن وطير، وحيوان وحشرات.. ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

كيف يسبونه وصفًا بالبخل، وهو الذي يقول في حديثه القدسي الجليل: «**يَدُ اللَّـهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ - وَقَالَ - أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**»(١).

كيف يكون رب العزة والجلال بخيلاً وهو الذي يقول في حديثه القدسي الجليل: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْـمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْـبَحْرَ**»(٢).

اليهود قالوا عن رب العزة والجلال أنه بخي،ل، فـرد الله عليهـم في كتابـه.. ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ** ﴾ [المائدة: ٦٤].

تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.. أمة تطاولت على ربها بهذه الفرية القبيحة أنعجب من تطاولها على بشر من البشر؟!

اليهود كذبوا كذبة، وافتروا فرية، وصدقوها، وروجوا لها في العالم، فرد الله عليهم فريتهم، ودحضها في كتابه يوم أن قال: ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾** ﴾ [المائدة: ١٨].

ومن مسبة اليهود والنصارى لله ﷻ زعمهم أنّ لله تعالى ولدًا سبحانه وتعالى عما يشركون.. وقد بين رب العالمين فساد ذلك بقوله: ﴿ **مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ** ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وأخبرنا مولانا ﷻ أن تلك المقالة تكاد السموات والأرض والجبال أن تتفطر

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم عن أبي ذر.

منها، قال سبحانه: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم: ٩٠ - ٩٣].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله يرد على فرية النصارى في جعلهم عيسى ابنًا لله عز وجل:

أعباد المسيح لنا سؤال	نريد جوابه ممن دعاه
إذا مات الإله بصنع قوم	أماتوه فهل هذا إله؟
ويا عجبًا لقبر ضم ربًا	وأعجب منه بطن قد حواه!
أقام هناك تسعًا من شهور	لدى الظلمات من حيض غذاه
وشق الفرج مولودًا صغيرًا	فاتحًا للثدي فاه!!
ويأكل ثم يشرب ثم يأتي	بلازم ذاك فهل هذا إله؟!

عباد الله...

ومن مسبة رب العالمين - جل جلاله - إساءة العبد الظن بربه ومولاه، فيما قضاه عليه وقدره، فيما أعطاه إياه، أو منعه.. فالمؤمن الحق يعتقد أنّ الله حكيم عليم..عطاؤه لحكمة، ومنعه لحكمة، فمن أساء الظن بربه، واتهم الله في قضائه وقدره، فذاك بعيد عن الإيمان، فالمؤمن يحسن الظن بربه، ويظن بالله الظن اللائق به وبعظمته.

ومن السباب الفاحش مسبة الحبيب المصطفى ﷺ فهو ﷺ سيد الأولين والآخرين، الذي جعل الله رسالته رحمة رحم الله بها الخليقة كلها.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فهو نور هدى الله به الناس إلى طاعته، ومحبته واجبة على كل مؤمن ومؤمنة، بل هي من كمال الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

نصرته واجبة على كل مسلم.. ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فمن يسب رسول الله ﷺ فهو فاقد الإيمان، خلا قلبه من الإيمان وقد ذم الله ﷻ قومًا سخروا بسنته، واستهزؤوا به: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. فمن سبه فليس في قلبه ذرة من إيمان.

ومن السباب الشنيع: مسبة دين الإسلام، أو عيب دين الإسلام، أو الانتقاص منه، أو وصفه بأوصاف قبيحة، كمن يصف الدين بالرجعية أو يصفه بالتخلف.. وكثيرًا ممن لا خلاق لهم يسب الدين، ويدعي أنه غضبان، أو أن فلانًا أغضبه، أو نحو ذلك من الادعاءات الكاذبة.. فلا يسب الإسلام إلا كافر مرتد.. يجب أن يعيد نفسه إلى دين الإسلام، فيشهد الشهادتين، ويتوب إلى الله من ذنبه، ويستغفر من قولته.

ومن السباب المنهي عنه: سب الريح، فقد نهى النبي ﷺ عنه، فقال: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّـهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا**»[١].

ونهانا رسول الله ﷺ عن سب الدهر، فإن الدهر خلق من خلق الله ﷻ، فلا يجوز لنا أن نسب الليالي والأيام، يقول الله جل جلاله: «**يُؤْذِينِى ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[٢].

فمسبة الأيام والليالي، كلها حماقات، لأن الليل والنهار من مخلوقات الله ﷻ

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وأحمد في «مسنده» وابن ماجه وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٣١٦)، و«الصحيحة» (٢٧٥٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

يجري فيهما ما قضاه الله وقدره من كمال حكمته ورحمته وعدله، فلا يجوز أن نسب بألسنتنا أي خلق من مخلوقات ربنا ﷻ.

أحبتي في الله...

ومن مخلوقات الله التي نهانا النبي ﷺ أن نسبها «الديك» فعن زيد بن خالد الجهني أن رسول الله ﷺ قال: **«لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ»**(١).

حتى الشيطان، قال النبي ﷺ: **«لا تسبوا الشيطان، وتعوذوا من شره»**(٢).

الشيطان الذي يؤذي الناس بوسوسته.. الذي يضرهم بإضلاله.. وهمزه ولمزه.. نهانا عن سبه.

وكان النبي ﷺ في سفر يسير، فلعن رجلٌ ناقته وسبها، فقال رسول الله ﷺ: **«أَيْنَ صَاحِبُ النَّاقَةِ؟»**. فَقَالَ الرَّجُلُ أَنَا يا رسول الله. قَالَ ﷺ: **«أَخِّرْهَا فَقَدْ أُجِبْتَ فِيهَا»**.

وفي مرة أخرى سار رجل مع النبي ﷺ فسب بعيره لاعنًا إياه، فقال له النبي ﷺ: **«يا عبد الله، لا تسر معنا على بعير ملعون»**(٣). والسيارة الآن مثل الناقة، أو الفرس، ونحو ذلك.

وفي مرة ثالثة يروى لنا عمران بن حصين رضي الله عنه يقول: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ»**(٤).

قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس، ما يعرض لها أحد.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن حبان والنسائي وغيرهم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٩٧).
(٢) صحيح: انظر «الصحيحة» (٢٤٢٢)، و«صحيح الجامع» للألباني (٧٣١٨).
(٣) حسن صحيح: رواه أحمد بإسناد جيد كما قاله المنذري، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٧٩٦).
(٤) رواه مسلم.

أيها الأحبة الكرام...

وإذا كان الإسلام قد حرم إيذاء الحيوان بالسب والشتم أو اللعن، فمن باب أولى هذا الإنسان، الذي كرمه الله ﷻ قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

فقد حرم الإسلام سب المسلم بغير حق، قال ﷺ: «**سِبَابُ الْـمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[1].

وسباب المسلم أي شتمه بما ليس فيه، يريد أن يعيبه، وفسوق أي خروج عن طاعة الله ورسوله، وهو في عرف الشرع أشد من العصيان، قال الله تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧].

ففي الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق.. ومن الألفاظ المذمومة المستعملة عادة قول أحدهم للآخر: يا حمار أو يا كلب، ونحو ذلك، فهذا قبيح، لأنه كذب وإيذاء بخلاف قوله: يا ظالم ونحو ذلك، فإن ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة، مع أنه صدق غالبًا فقل إنسان إلا وهو ظالم لنفسه، ولغيره.

والسباب ليس من حسن الخلق، الذي بعث من أجل رسولنا المصطفى ﷺ فقد قال عن نفسه: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[2]. وفي رواية: «**صَالِحَ الأَخْلاَقِ**».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: جمع بعضهم علامات حسن الخلق، فقال: أن يكون

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

(٢) صحيح: رواه أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٤٩)، و«السلسلة «الصحيحة» (٤٥).

كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، برٌّ وصول، وقورٌ صبور، شكور حليم، رفيق عفيف شفيق، لا لعان، ولا سباب، ولا نمام، ولا مغتاب، ولا عجول، ولا بخيل، ولا حسود ولا حقود».

عباد الله...

ولا يجوز لمسلم أن يسب مسلمًا، فضلاً عن لعنه، فلا يجوز له أن يلعنه إلا ما ورد النص بلعنه، كما في القرآن أو السنة، وهو لعنة الله على الظالمين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الواصلة والواشمة، ولعن شارب الخمر، وآكل الربا وموكله وكاتبه، وشاهديه، والمصورين، ومن انتمى إلى غير أبيه، وتولى غير مواليه، وغيرهم ولذلك نفى النبي ﷺ أن يكون المؤمن لعّانًا، فقال: «**لاَ يَكُونُ الْـمُؤْمِنُ لَعَّانًا**»، وفي رواية: «**لاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**»[1]. أي لا يجوز له وجاء بصيغة المبالغة هنا (لعّانًا) أي كثير اللعن، إيذانًا بأن هذا الذم لا يكون لمن يصدر منه اللعن مرة واحدة أو مرتين، بل يصدر عنه كثيرًا.

ونفى أن يكون مَنْ ألسنتهم تتلفظ باللعن، أن يكونوا شفعاء أو شهداء، فقال: «**لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**»[2]. لكن ما معنى هذا الحديث؟

قال النووي رحمه الله في شرحه: أي أنهم لا يشفعون يوم القيامة، حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار.

لكن أنهم لا يكونون شهداء ففيها أقوال ثلاثة، أصحها وأشهرها:

الأول: لا يكونون شهداء يوم القيامة بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٢٧٨٧).
(٢) رواه مسلم (٤٧٠٣).

والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم.

والثالث: لا يرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله[١] .

ولما جاء جرموذ الجهني رضي الله عنه إلى أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية صلى الله عليه وسلم وطلب منه الوصية، ماذا قال له؟

أوصاه قائلاً: «**أُوصِيكَ أَنْ لاَ تَكُونَ لَعَّاناً**»[٢].

لذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يعتبرون اللعن لأهل الإيمان كبيرة من الكبائر فعن سلمة بن الأكوع قال: كنَّا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأينا أنه قد أتى بابًا من الكبائر.

وقد جاء في الحديث الصحيح: «**لَعْنُ الْـمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» [٣]. أو لاعن المؤمن كقاتله.

أي مثله في التحريم، وإن كان القتل أغلظ، أو في الإثم والعقوبة.

فاتقوا الله - عباد الله - وافعلوا الخيرات، واتركوا عمل السيئات، واحفظوا ألسنتكم من السب والشتم واللعن، وتعاونوا على البر والتقوى، وكونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر.. وعاشروا الخلق بما تحبون أن يعاشروكم به.

واعلموا أن البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.. أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**»[٤] . ادعوا الله.

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٨/ ٤١٣)، و«عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٠/ ٤٣٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٢)، و«صحيح الترغيب» (٢٧٨٨).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧١٠) عن عمران بن حصين.

(٤) سبق تخريجه.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا.. وكفى به سبحانه وليًا ونصيرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، في ربوبيته ولا في ألوهيته.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. أرسله ربه إلى الناس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وآل بيته الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

ومن جملة ما حرم الإسلام سبه من غير ضرورة (سب الأموات) بغير حق، وبغير مصلحة شرعية، فقد حذر النبي ﷺ من ذلك، ونهى عنه، فقال: «**لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»[١]. أي وصلوا إلى ما قدموا وما عملوا من خير أو شر، ففي الحديث نهى عن سب أموات المسلمين عمومًا.

وقد جاء في مسند أحمد وسنن الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ**»[٢].

ومما نهانا رسولنا ﷺ عن سبه أصحابه - رضوان الله عليهم - فقد روى البخاري ومسلم أنه قال: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِى، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[٣].

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه أحمد في مسنده والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

فأين يذهب من الله من يقع في أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟!

إنهم خير القرون، ففي الحديث المتفق عليه: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[١].

وفي رواية: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ**». فهم خير الناس، وخير القرون، وخير الأمة ﷺ.

فالمؤمنون الصادقون هم الذين يكفون عما شجر بينهم من خلاف ويعتقدون أنهم جميعًا مجتهدون، وللمصيب منهم أجران، والمخطأ له أجر واحد، وذنبه مغفور بفضل سابقته، وجهاده مع الرسول الأعظم ﷺ فلهم من الحسنات الماحية للسيئات الشيء الكثير.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه**»[٢].

فاتقوا الله عباد الله، ونزهوا ألسنتكم عن الشر والفساد، وزينوها بذكر الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين، وارض اللهمَّ عن آل بيته الطيبين وزوجاته أمهات المؤمنين، وخلفائه الراشدين.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده والبزار والطبراني وقال الهيثمي: رجاله موثقون وحسنه الألباني.

اللهمَّ تول أمرنا، وأحسن خلاصنا، واحفظ أمننا وبلادنا يا ذا الجلال والإكرام، اللهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام وركنك الذي لا يضام.

اللهم وفق ولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه.. وفقهم إلى العمل بكتابك وسنة رسولك، وأبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.

اللهمَّ اجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهمَّ هيئ لنا من أمرنا رشدًا.. اللهمَّ أحيينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.. واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



الخطبة الرابعة بعد المائة

من آفات اللسان: شهادة الزور

الحمد لله.. المتصف بالكرم والفضل والجود، قبل وجود الوجود، والمتزه في وحدانيته عن الآباء والأبناء والجدود، المقدس في ذاته عن الصاحبة والوالد والمولود، العليم بأعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود.. البصير بحركات المخلوقات في البر والبحر تحت ظلام الليالي السود.. من أخرج رطب الثمار من يابس العود.. لا تدركه الأبصار، وهو الواحد المعبود.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له من تفرد بالخلق والتدبير والملك والتقدير، والسلطان الكبير.. مكون الأكوان، وخالق الإنسان، الرحيم الرحمن، الذي تعطف العزّ وقال به، ولبس المجد وتكرم به، من رداؤه العظمة، وإزاره الكبرياء، من يرفع القسط ويخفضه أهل الثناء والمجد، رب الأولين والآخرين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. الموصوف بأحسن الأوصاف، وأجل المناقب، الذي شرف به الوجود، وأخرجه سالمًا من جميع المثالب والعيوب، من خمدت لولادته النيران، وخرت لمبعثه الأوثان.. من فضله الله على أهل المشارق والمغارب، من آمن به الضب، وسلمت عليه الأشجار، وخاطبته الأحجار، وحن إليه الجذع.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.. وعلى من تبعهم وسار على دربهم إلى يوم الدين، صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

معشر الأحبة الكرام...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم، الذي جمعنا في الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة مع حبيبنا ﷺ في جنته ودار كرامته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي الأمارة بالسوء بتقوى الله ﷻ، فتقوى الله هي الزاد ليوم كان شره مستطيرًا، عبوسًا قمطريرًا.. اتقوا الله في شئونكم كلها، وراقبوه في الأحيان كلها وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار.. والكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

فخذوا حذركم، وقدموا عذركم، واستعدوا للعرض الأكبر على الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة: ١٨].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وما زال لقاؤنا موصولاً أيها الأحبة الكرام مع **آفات اللسان**، وآفة اليوم كبيرة من الكبائر، ورزيلة من الرزائل، وآفة من أعظم الآفات.. **ألا وهي شهادة الزور**.

فأعيروني القلوب والأسماع، فإنَّ هذا الموضوع من الأهمية بمكان، وأسأل الله أن يهدينا جميعًا.

فما هي شهادة الزور؟

وما مفاسد شهادة الزور؟

وما الأدلة على تحريمها؟

وما هي الصور التي يمكن أن تكون فيها؟

وما هي عقوبة شاهد الزور؟

أيها المسلمون.. عباد الله...

إنَّ الشهادة عمومًا هي معيار يميز الحق من الباطل، وحاجز يفصل الدعاوى الصادقة من الكاذبة.. حتى قال بعض أهل العلم: الشهادة بمنزلة الروح للحقوق، فالله تعالى أحيا النفوس بالأرواح الطاهرة، وأحيا الحقوق بالشهادة الصادقة.

والشهادة ضرورية لقيام الحياة الاجتماعية، وما يخالطها من أحداث، وما يصاحبها من وقائع مادية وتصرفات إرادية ومعاملات، وعلاقات عائلية.

قال شريح رحمه الله: الحكم داء، والشهادة شفاء، فأفرغ الشفاء على الداء[1].

وتوفيه الشهادة حقها فرض لازم، وواجب محتم، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ [الطلاق: ٢].

والذين يقومون بشهاداتهم عدهم ربنا عز وجل في عداد أهل البر والإحسان، وجعلهم من زهرة أهل الفضل والإيمان، يقول الله عز وجل في وصف المكرمين: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٣].

ومن حقوق الإيمان وواجباته الشهادة بالحق، ولو كان ذلك على النفس، قال ربنا - تبارك وتعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥].

---

(١) «المغني» لابن قدامة الحنبلي (١٠/ ١٥٤)، وفيه: الخصم داء، والشهود شفاء، فأفرغ الشفاء على الداء.

وإقامة الشهادة تشمل تحملها، وأداؤها أمام القضاء والقضاة، وكتمان الشهادة أمر مذموم شرعًا، ومبغوض طبعًا، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قال بعض أهل العلم: ما توعد الله على شيء كتوعده على كتمان الشهادة، حيث قال: فإنه آثم قلبه.. فكتمان الشهادة جرم عظيم، وإثم كبير، يقول الله تعالى عن شهود الوصية ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتمانها كذلك».

إخوة الإسلام...

وبعد أن عرفنا حقيقة الشهادة، وضرورة المجتمع إليها، ما هي شهادة الزور؟

وشهادة الزور هي الشهادة بالكذب، ليتم التوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال، أو تحليل حرام.

فالزور هو الكذب الذي قد سُوِّي وحُسِّن في الظاهر، ليحسب أنه صدق وهو وصف الشيء على خلاف ما هو عليه.

وشهادة الزور، وقول الزور، وعمل الزور كلها أعمال متقاربة ومعاني متساوية.

والأصل في الشهادة أن تكون مساندة لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل بين الناس، فإذا تحولت الشهادة عن وجهها، وعدلت عن وظيفتها فأصبحت سندًا للباطل، ومضللة للقضاة، في هذا الوقت تحمل إثم جريمتين عظيمتين في وقت واحد:

الأولى: أنها لم تؤدِّ وظيفتها الطبيعية الموافقة للفطرة السليمة.

الثانية: أنها قامت بجريمة هضم حقوق الآخرين، وظلم فيها البراء، واستعين بها على الظلم والبغي والعدوان، وقد نهى الله عز وجل عن الظلم أيًا كان نوعه، ونهى

عن التعاون على الإثم والعدوان.. قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢].

فشهادة الزور مفسدة للدين قبل أن تفسد على الإنسان دنياه، ومفسدة للفرد والمجتمع على حد سواء، بالإضافة إلى أنها معصية لله ورسوله، وهي كذب وبهتان، وضياع لحقوق الآخرين، وإسقاط للعدالة، وزعزعة للثقة والأمن والأمان في المجتمع.

عباد الله...

يظن كثير من الناس أن شهادة الزور هي أن يذهب الشخص إلى المحكمة، فيشهد شهادة على خصم صاحبه أو جاره.. لكن الحقيقة أن هذا المفهوم السائد مفهوم خاطئ، وحصر لشهادة الزور لا أساس له من الصحة في دين الإسلام لأن شهادة الزور أشمل وأوسع من ذلك بكثير.

لكن يدخل فيها ما يقع كثيرًا بين النساء المطلقات وأزواجهن، فترفع المرأة دعوى على زوجها الذي طلقها، وتدعي أن راتبه كذا وكذا، ودخله كذا وكذا، ثم يقوم المحامي برفع الدعوى أمام القضاء دون أن يستبين الحق، فهو أيضًا شاهد زور، ويدخل فيها تلك الشهادة التي يطلبها شخص من أجل إعانة زواج أو غيرها من الإعانات والمساعدات، ويدخل فيها - أي في شهادة الزور عندما تقع خصومة بين اثنين من المسلمين، فيذهب أحدهم وهو ظالم إلى المستشفى، فيستخرج شهادة طبية، أو تقريرًا طبيًا بأن خصمه قد قام بضربه، مما أدى إلى كسر كذا، أو شرخ في كذا وكذا.. فالطبيب الذي استخرج له التقرير الطبي، أو الشهادة يكون شاهد زور، وكل من شارك في استخراج الشهادة شاهدي زور.

أو يستخرج رخصة قيادة، أو شهادة لمهنة معينة، للحصول على عمل أو

وظيفة قد يسيء فيها ذلك الشخص، وقد يجر على البشر مآسي لا تندمل، مثل المهن الصحية وخاصة التخصصات الطبية، ولو وقفنا عند الشهادات المزورة في مجال رخص السائقين، وأرباب الصناعات الأخرى والأطباء وغيرهم، لطال بنا المقام، ولكن الإشارة كافية.

ومن شهادة الزور ذلك التوقيع لأي مسئول في أي إدارة حكومية بأن شخصًا معين تم ندبه إلى جهة معينة، لمدة شهر مثلاً، في حين أنه ذهب إلى أحد المصايف، أو أنه جالس لديهم في الإدارة، أو الشهادة لفلان بأنه استأجر سيارة بمبلغ معين، ولمدة معلومة أيضًا، والواقع خلاف ذلك، ويتهاون كثير من المسئولين بالتوقيع على ذلك، مع أنهم يعلمون علم اليقين أن الأمر بخلاف ذلك، وأنه غير صحيح، لكن من باب المجاملة والصحبة والصداقة وغيرها، والحقيقة أن ذلك شهادة زور، وتزوير من الطرفين، وكذب، وأكل أموال الناس بالباطل.

ومن شهادة الزور تلك التقارير السرية في كل الإدارات، والتي ترفع عن الموظفين، والتي لا يصدق فيها كاتبوها.

ومن شهادة الزور تلك الأوراق التي يوقع عليها مجموعة ضد شخص معين، كتبها أحد مرضى النفوس، لخلاف معين، ولحقد دفين في نفسه، ثم وقع معه آخرون أحدهم مجاملة، والآخر لأنه جاره، والثالث من أجل الثقة فيه، والرابع يوقع عنه، وعن غيره مساعدة للطرف الأول، وانتقامًا من الطرف الثاني، وما علم أولئك أنهم شهود زور.

إنهم يحسبون أنهم مصلحون، لكنهم كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿ **أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾** ﴾ [البقرة: ١٢].

أيها المسلمون عباد الله...

تلك هي صور شهادة الزور وما أكثرها في هذا الزمان، مع أن الشارع حذر

منها كل التحذير، قال عندما سئل عن الكبائر: «الإِشْرَاكُ بِاللَّـهِ، وَعُقُوقُ الْـوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»(١).

وفي حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْـكَبَائِرِ». قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّـهِ. قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّـهِ، وَعُقُوقُ الْـوَالِدَيْنِ». وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: «أَلاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَشَهَادَةُ الزُّورِ». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ(٢).

وفي كتاب الله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠].

فقد قرنها الله ﷻ بأعظم الكبائر على الإطلاق، وهي الشرك بالله ﷻ.

وكذلك في السنة المطهرة نجد النبي الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ قد سوَّى بين شهادة الزور، والإشراك بالله تعالى، ففي مسند الإمام أحمد من حديث خريم بن فاتك الأسدي، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائمًا، فقال: «عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللَّـهِ ﷻ». ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]»(٣).

لكن لماذا عدلت شهادة الزور كبيرة الإشراك بالله؟

أتدرون لماذا؟ لِـمَا وراءها من تضييع الحقوق، ولأنها تؤجج نار العداوة والخصومة بين الناس.

---

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) إسناد صحيح: صحيح إسناده حمزة الزين في «تخريج المسند» رقم (١٨٨٠٠) (١٤/ ٢٩٨)، وضعفه الألباني.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: جعلت الشهادة الكاذبة مماثلة للإشراك بالله في الإثم، لأن الشرك كذب على الله ﷻ بما لا يجوز، وشهادة الزور كذب على العبد بما لا يجوز، وكلاهما غير واقع في الواقع[1].

فأعظم بشيء هو عدل الشرك بالله.. قال ابن العربي رحمه الله: شهادة الزور كبيرة عظمى، ومصيبة في الإسلام كبرى، لم تحدث حتى مات الخلفاء الثلاثة، وضربت الفتنة سرادقها، فاستظل بها أهل الباطل، وتقولوا على الله ورسوله ما لم يكن.

فعدلت شهادة الزور في الحديث الإشراك بالله، وتوعد عليهما رسوله، حتى قال الصحب الكرام: ليته سكت، وقد جعلها عدل القتل في حديث، لأنه قد يكون بها القتل الذي بغير حق، ويكون بها الفساد في الأرض، وهو عديل للشرك[2].

عباد الله...

وشاهد الزور يرتكب عظائم ومفاسد عليه وعلى غيره، توجب له النار، روي الحاكم رحمه الله في المستدرك من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**شاهد الزور لن تزول قدماه، حتى يوجب لها النار**»[3].

وقال الحبيب النبي ﷺ لأصحابه: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**»[4].

---

(١) «تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي» (٦/ ٨٥).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٢٠٤).

(٣) صحيح الإسناد: رواه الحاكم في «المستدرك» (١٦/ ٣٦٤) رقم (٧١٤٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

فشهادة الزور تسبب لشاهد الزور دخول النار وعذابها، إلى جانب أنها في الدنيا تطمس معالم العدل والإنصاف، وتعين الظالم على ظلمه، وتضيع حقوق الناس، وتظلم بعضهم على حساب بعض، وتعطي الحق لغير مستحقه، وتسبب زرع الأحقاد والضغائن في القلوب.

ومما يدل على قبح شهادة الزور أنَّ رسول الله ﷺ جعل إثم شهادة الزور أعظم في الحرمة والذنب من أجر الصائم، فمعلوم أن الله ﷻ جعل أجر الصائم من أعظم الأجور عنده تبارك وتعالى.

فلو وضع إثم شاهد الزور في كفة، وأجر الصائم في كفة، لرجحت كفة إثم شاهد الزور على أجر الصائم، وهذا من أكبر الأدلة على قبح شهادة الزور، قال ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**[1].

أحبتي في الله...

«البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان».

و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. أو كما قال. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الملك القهار.. العزيز الجبار.. مكور الليل على النهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. الرحيم الغفار.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. إمام المتقين الأبرار.. اللهمَّ صلِّ وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار.

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

أما بعد...

أيها المسلمون.. عباد الله...

يكفي في قبح شهادة الزور أن صاحبها لا يكون من عباد الرحمن، الذين نزههم الله تعالى عن أن يكونوا من الذين يشهدون الزور، قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣]. إلى أن قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٢].

شاهد الزور ظالم، ومضيع لحقوق الآخرين، وقد قال النبي الأكرم ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّـهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْـجَنَّةَ»(١).

والمظلوم الذي شهد عليه زورًا وكذبًا وبهتانًا يدعو عليه..

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم آخره يأتيك بالندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لن تنم

ولينصرن الله دعوته، ولو بعد حين، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّـهِ حِجَابٌ»(٢).

وفي رواية: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْـمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْـغَمَامِ، يَقُولُ اللَّـهُ جَلَّ جَلالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»(٣).

شهادة الزور تطمس معالم الحق، وهذا ذنب من أعظم الذنوب.. شاهد الزور بإعانته للظالم على ظلمه يعلن الحرب على الحق والعدل، وهذا يزلزل إيمانه، قال ﷺ: «مَنْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِسْلامِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.
(٣) صحيح: رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٧).
(٤) ضعيف: رواه الطبراني و«الضياء في المختارة»، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٨٥٩).

شاهد الزور يتقاضى مالاً حرامًا.. إنه غالبًا يبيع شهادته ويمينه بثمن بخس، والنبي ﷺ يقول فيما رواه عنه خادمه ثوبان: **«لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا»**. قَالَ ثَوْبَانُ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ.

قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»**[1].

فيا شاهد الزور إلى متى تصر على الخطايا والعصيان؟!

يا شاهد الزور إلى متى تأكل الحرام، ويدخل بطنك الحرام؟!

يا شاهد الزور إلى متى تبدل الحقائق، وتجعل الحق باطلاً، والباطل حقًّا؟

يا شُاهد الزور أما آن الأوان أن تتوب إلى الله، وتقلع عما أنت فيه، ليعود الحق إلى أهله.

عباد الله...

اتقوا الله، وخافوا عذابه، واحذروا عقابه، وإياكم وشهادة الزور.

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات. اللهمَّ أصلح أحوالنا، وتب علينا، واغفر ذنوبنا، وتولنا برحمتك، وارزقنا فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين.. اللهمَّ ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، واهدِ الأزواج والزوجات، والبنين والبنات، وطهر بيوتنا من المنكرات.

اللهمَّ إنا نسألك إيمانًا صادقًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، وطرفًا دامعًا، وتوبة قبل الموت ومغفرة بعد الموت، برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧١٧٤).

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، واشكروه يزدكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ. وأقم الصلاة.



الخطبة الخامسة بعد المائة

من آفات اللسان: المدح والشعر

الحمد لله.. اللهمَّ لك الحمد عدد ما تحيي، ولك الحمد عدد ما تميت، ولك الحمد عدد أنفاس خلقك ولفظهم ولحظ أبصارهم.

لك الحمد عدد ما تجري به الريح وتحمله السحاب، وعدد ما تشرق عليه الشمس ويطلع عليه النهار.. وعدد ما يظلم عليه الليل ويطلع عليه القمر.. حمدًا لا ينقضي عدده، ولا يفنى مدده.

أحمدك حمد من عرف قدرك، وشكر نعمك.. لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت، ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. أحاط علمه كل شيء ولا يعجزه شيء.. ولا يتوارى عنه شيء.

إذا افتقرت إلى الرزق، فقل: يا مغني المفتقرين، وإذا ضللت، فقل: يا دليل المتحيرين.. وإذا تعاظمت عليك أهوال القيامة، فقل: حسبي الله أرحم الراحمين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.

اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله صلاة تكثر عدد الأنفاس، وعلى سائر عباد الله الفطن الأكياس، المطهرين بمياه التقى من جميع الأدناس، وعلى الخلفاء الراشدين الذين شيدوا أساس الدين على أقوى أساس.

اللهمَّ صلِّ عليه صلاة تفتح لنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها الأحبة الكرام...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذا المسجد على طاعته أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته.. وفي بداية هذا اللقاء المبارك أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فبالتقوى ينجو الإنسان من المهالك في الدنيا، وينجو في الآخرة ﴿ **وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝** ﴾ [الزمر: ٦١].

المتقون هم المفلحون، هم المرحومون، هم المنصورون، هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ **فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٥].

بتقوى الله ﷻ هي مفتاح مغاليق القلوب، ومفتاح مغاليق العقول.. ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أيها الموحدون...

وما زال اللقاء موصولاً مع آفات اللسان وعثراته وزلاته.. ومن آفاته التي يقع فيها الكثير من الناس «المدح» والشعر، ودعاء المرء على نفسه وولده.

أحبتي في الله...

إنَّ الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده، بل لابد أن يخالط الآخرين بحكم فطرته.. فالمرء مدني بطبعه.. والمؤمن الذي يخالط الناس أفضل عند الله تعالى من المؤمن الذي لا يخالطهم، إذا صبر على أذاهم، كما قال الحبيب النبي ﷺ: «**الْـمُؤْمِنُ الَّذِى يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ**

الْـمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»[١].

وفي معترك الحياة وخضمها يجد المرء نفسه بالضرورة محاطًا بالناس في كل أموره، سواء في بيته، أو مسجده، أو عمله، أو سوقه.. ولا يمكن أن تكون صفات الناس وسماتهم واحدة، لا يمكن أن تكون سمات المخالطين له على حد سواء، بل إنهم يكونون على أصناف ثلاثة: صنف مادح له، وصنف قادح له، وصف ناصح وخير هذه الأصناف الثلاثة هو آخرها.

أمَّا المدح - عباد الله - فهو سلاح خطير، ومحك دقيق في عفة اللسان، وحسن القصد، وغالبًا ما يؤدي بالممدوح إلى العجب بالنفس، والغرور، والبطر.

والمادح لا يخلو من المبالغة والتصنع والنفاق والإغراء.

والنبي المصطفى ﷺ قال: **«إِذَا رَأَيْتُمُ الْـمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»**[٢].

وحذر منه كما في حديث معاوية رضي الله عنه: **«إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ»**[٣].

فالمدح له مساوئ كثيرة، فمن سلبياته أنه قد يفرط فيه صاحبه فينتهي به إلى الكذب.. وذلك بأن يقوم المادح بذكر أوصاف ليست موجودة في الممدوح، وتلك مصيبة يقع فيها الشعراء عندما يمدحون شخصًا أو يثنون عليه.

قال خالد بن معدان: من مدح إمامًا، أو أحدًا بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد، بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه».

ومن سيئات المدح أيضًا أنه يدخل فيه الرياء والنفاق وهما من أخطر الأمراض لأن المادح مظهر للحب، ولا يعلم ما في قلبه حقيقة إلا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٥١).

(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأبو داود وغيرهم.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٦٧٤).

ولذا قال الشاعر:

يلقاك فيقسم أنه بك واثق	وإذا توارى عنك فهو العقرب
يسقيك من طرف اللسان حلاوة	ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وقال آخر:

كم من صاحب يلقاك عناقًا	ويقسم بالله أنه لا يطيق لك فراقًا
ملك كريم في مظهره	شيطان رجيم في مخبره
إذا لقيك لقيك بوجه أبي بكر	وقلب أبي لهب

وقد يكون المادح مبغضًا للممدوح، لكنه يمدحه لمصلحة معينة، فإذا انقضت تلك المصلحة، صار المادح ذامًا.

ومن سلبيات المدح أيضًا: أنه يقول ما لا يعلمه، ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه فيقوم بمدحه، وذكر صفات قد لا تكون في الرجل الممدوح، عن أبي بكر رضي الله عنه أنَّ رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل آخر بالخير، فقال له النبي ﷺ: «**وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ - يَقُولُهُ مِرَارًا - إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا. إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللَّهُ، وَلاَ يُزَكِّى عَلَى اللَّهِ أَحَدًا**»(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل، ويطريه في المدح، فقال له: «**أَهْلَكْتُمْ، أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ**».

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلاً يثني على رجل، فقال له: أسافرت مع الرجل؟ قال: لا.. قال: أخالطته في البيع والشراء؟ قال: لا.. قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال: لا. فقال عمر رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو، لا أراك تعرفه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

أيها المسلمون.. عباد الله...

إنَّ النبي ﷺ قال للرجل المادح: «**قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ**»، لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة، فيترك الازدياد من الخير، فيجد الشيطان إليه سبيلاً، ويوهمه في نفسه.

وكان السلف يقولون، إذا أثنى على أحدهم: اللهمَّ اغفر لنا ما لا يعلمون، واجعلنا خيرًا مما يظنون.

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: العاقل لا يدعه ما ستر الله عليه من عيوبه، بأن يفرح بما أظهره من محاسنه.

وأثنى على رجل من الصالحين، فقال: اللهمَّ إنَّ هؤلاء لا يعرفونني، وأنت تعرفني وقال آخر لما أثنى عليه: اللهمَّ إنَّ عبدك هذا تقرب إليَّ بمقتك، وأنا أشهدك على مقته.

وقال عليٌّ رضي الله عنه لما أثنى عليه: اللهمَّ اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون.

وأثنى رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: أتهلكني وتهلك نفسك؟!

وكان بشر بن الحارث رحمه الله يقول: سكون النفس إلى المدح وقبول المدح لها أشد عليها من المعاصي[1].

ورحم الله سفيان بن عيينة حين قال: قالت العلماء: المدح لا يغر من عرف نفسه[2].

---

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ١٩) لأبي نعيم.

(٢) «الحلية» (٣/ ٢٩٦).

أحبتي في الله . . .

ومن سلبيات المدح: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز، يقول الحسن البصري رحمه الله: «من دعا لظالم بطول البقاء» فقد أحب أن يعصي الله تعالى في أرضه.

واحذر أن تمدح المنافق وتقول له: سيد أو تثني عليه، قال ﷺ: «لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عز وجل»[١].

فالفاسق والمنافق، والظلم، ينبغي أن يكون هؤلاء مذمومين.. لا ممدوحين.. لكي يغتموا بالذم، ولا يمدحوا فيفرحوا.

وقد يكون المدح على جهة الافتخار، وقد حذر منه الحبيب النبي ﷺ.

عندما قال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّـهِ مِنَ الْـجُعَلِ الَّذِى يُدَهْدِهُ الْـخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّـهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْـجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»[٢].

وهذا كله - عباد الله - لا يمنع إعطاء كل ذي حق حقه، وإنزال الأمور منازلها من خلال الشكر للمحسن، وتشجيع صاحب الهمة بالثناء المنصف المعتدل، لأن ذلك خلق من أخلاق الإسلام الرفيعة، ومن لا يشكر الناس، لا يشكر الله.

قال الغزالي رحمه الله: فمن صنع بك معروفًا، فإن كان ممن يحب الشكر والثناء فلا تمدحه، لأن قضاء حقه أن لا تقره على الظلم وطلبه للشكر ظلم، وإلا فأظهر شكره، ليزداد رغبة في الخير.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود والنسائي والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٢٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٢٢).

وقد تأول العلماء قوله: «**احْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْـمَدَّاحِينَ**»(١).

بأن المراد به المداحون الناس في وجوههم بالباطل، أو بما ليس فيهم، وقد مدح النبي ﷺ في الشعر والخطب، كقول أبي طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وكمدح العباس والحسان له في كثير من شعره، وكعب بن زهير، وقد مدح الرسول ﷺ الأنصار، فقال: «**إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع**».

ولذلك قال لأصحابه - رضوان الله عليهم - ولأمته من بعده: «**لاَ تُطْرُونِى كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ**». أي لا تصفوني بما ليس فيَّ من الصفات تلتمسون بذلك مدحي، كما مدحت النصارى عيسى ابن مريم ووصوفه بما لم يكن فيه، فنسبوه إلى أنه ابن الله، فكفروا بذلك وضلوا.

والحذر الحذر - عباد الله - من حب المرء أن يُمدح بما ليس فيه، أو بما لم يفعله، فقد قال جل شأنه: ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

أيها المسلمون عباد الله...

ومن آفات اللسان وعثراته وزلاته: التلفظ بكلمة (لو) فيقول: لو أني فعلت كذا، لكان كذا، أو يا ليتني فعلت كذا، وهذه اللفظة منهي عن التلفظ بها، ولكننا كثيرًا ما نسمعها، ولم يتركها إلا القليل النادر.. قال الله تعالى: ﴿ **يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا** ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ** ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

---

(١) سبق تخريجه.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: «**الْـمُؤْمِنُ الْـقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّـهِ مِنَ الْـمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّـهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّـهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١).

نعم إنها تفتح عمل الشيطان، ولقد شاعت هذه الكلمة بين العام والخاص، فلم يكد يخلو منها لسان إلا وتلفظ بها وتفوه.. إنها تدل على ضعف إيمان صاحبها بقدر الله ﷻ، وبعدم تسليمه واستسلامه لقضاء الله ﷻ تدل على نقصان الصبر، وسوء الخلق مع الأزواج والأحباب والأصحاب.

إنها تفتح عمل الشيطان، وتفتح بابه للوسوسة.

ومن آفاته وعثراته: (الشعر) وهو أقوال الشعراء من الشعر والكلام الجميل، الذي يأخذ بعقول الناس وقلوبهم.. فالشعر له سحره وتأثيره والشاعر يستطيع أن يصرف أصحاب القلوب المهزوزة إلى الفسق والفجور، وهذا هو الغالب على الشعر في هذا العصر، جعلوا طريق الشرك والفسوق والعصيان فالشعر في الخمر، والزنا والفاحشة، ومدح إنسان بما ليس فيه كثير، وقد عظمت المصيبة لما صار في الأشعار مادة الغناء.. يرقص لها الناس على كافة المستويات.

أيها الأحبة في الله...

وقد ذم الله تعالى الشعراء بأنهم في كل واد يهيمون، وأن أقوالهم تخالف أفعالهم مستثنيًا منهم أهل الإيمان والصلاح.

قال ﷻ: ﴿ **وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾** ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْراً**» (١).

ذكر النووي رحمه الله في شرحه: المراد أن يكون الشعر غالبًا عليه، مستوليًا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية، وذكر الله تعالى، وهذا مذموم من أي شعر كان، فأما إذا كان القرآن والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية هو الغالب عليه فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا، لأن جوفه ليس ممتلئًا شعرًا.

وقال العلماء: هو مباح ما لم يكن فيه فحش ونحوه، قالوا: وهو كلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح، وهذا هو الصواب، فقد سمع النبي ﷺ الشعر واستنشده، وأمر به حسان في هجاء المشركين، وأنشده أصحابه بحضرته في الأسفار وغيرها، وأنشده الخلفاء وأئمة الصحابة - رضوان الله عليهم - وفضلاء السلف، ولم ينكره أحد منهم على إطلاقه، وإنما أنكروا المذموم منه، وهو الفحش وقد ظهر في الآونة الأخيرة نوعًا من الشعر، هو في الحقيقة ليس بشعر، ولكنه أقرب ما يكون إلى محاولات الأطفال في نظم الشعر، ويسمونه الشعر الحر وما هو الإسخافات، وكلام مهزول.

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ ...

إنَّ الإسلام لا يحرم الشعر، إذا كان شعرًا نظيفًا نافعًا، وقد قال النبي ﷺ «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**»(٢).

وفي رواية: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً، وَإِنَّ مِنَ الْـبَيَانِ سِحْراً**»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البخاري وأحمد.

(٣) صحيح رواه أحمد في مسنده.

وبينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت إصبعه، فقال:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: «أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلٌ»**»[١].

فإذا كان الشعر يحتوي على حث الأمة على الجهاد في سبيل الله مثلاً، أو كانت قصائد وعظية خالية من الإفراط والتفريط، فهذا شيء لا شيء فيه، بل هو مطلوب.

أحبتي في الله...

يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قيل: ومن يأبى أن يدخل الجنة يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٢].

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان، و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. ولي الصالحين، وأنيس المتقين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله.. نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتبعها إلا كل منيب سالك.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ ...

ومن آفات اللسان وعثراته وزلاته المنتشرة الآن بكثرة في مجتمعاتنا، وتنطلق كثيرًا من الألسنة، وخاصة حال الغضب، وخصوصًا من النساء في البيوت «الدعاء على النفس أو الأموال، أو الأولاد».

بعض الناس أحيانًا يفقد وعيه وحسه، ويختل توازنه، ويخرج عن كيانه وعن شعوره، فيتكلم بألفاظ اللعن والسب والشتم، مصحوبة بالدعاء على نفسه، أو على أولاده أو على ماله.

إنها آفة من آفات اللسان خطيرة، فما يدريكم وهو يطلق هذه الدعوات على نفسه أوِ أولاده أن يلقى هذا الدعاء بابًا مفتوحًا، أو توافق ساعة إجابة، فيستجاب هذا الدعاد؟!

كيف بك أيها الداعي على ولده إذ هلك الولد، أو زال المال، أو احترق البيت وقد جاء في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّـهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ**»[1].

وفي سنن أبي داود من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال يوم موت أبي سلمة: «**لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**»[2].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رسـول الله ﷺ قال: «**لاَ تَدْعُوا بِالْـمَوْتِ، وَلاَ تَتَمَنَّوْهُ، فَمَنْ كَانَ دَاعِيًا لاَ بُدَّ، فَلْيَقُلِ: اللَّـهُمَّ أَحْيِنِى مَا كَانَتِ الْـحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِى إِذَا كَانَتِ الْـوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»[3].

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

(٢) رواه مسلم وأبو داود، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

فاتقوا الله في ألسنتكم، واحذروا فلتات اللسان.. يا من أعزكم الله بالإسلام تيقظوا فإليكم يوجه الخطاب، وتنبهوا قبل أن تناخ للرحيل الركاب قبل هجوم هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، ومذل الرقاب، ومشتت الأحباب.

اتقوا الله حق تقاته، وادعوا الله أن يحفظ أولادكم وأموالكم، لتقر بها عيونكم يوم القيامة في مستقر رحمته.. وأكثروا من الصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ اللهمَّ صلِّ على نبينا محمد ما ذكره الذاكرون.. وصلِّ عليه ما غفل عن ذكره الغافلون.

اللهمَّ أحيينا على محبته، وأمتنا على ملته، وثبتنا على سنته، وأكرمنا بشفاعته وأوردنا حوضه، وأنلنا شرف صحبته في عليين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. وأقم الصلاة.



الخطبة السادسة بعد المائة

من آفات اللسان: الكذب

الحمد لله.. القاسم المرزق والجالب للقوت، القادر فلا يعجزه شيء ولا يفوت.. الموصوف بالقدم، وبالكرم منعوت، له العز والكبرياء والملكوت، وإذا حدَّق الفكر نحو عظمته، رجع وهو مبهوت، صرعت أقداره العتاة، فهلك إبليس وما روت.

أحمده فهو المبدئ المعيد، وأشكره على نعمه فهو الفعّال لما يريد من هداهم فهو السعيد، ومن أضله فهو الطريد البعيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. أجزل النعم وبثها بثًا، فكم كشف كربًا وكم رفع بثًا، وكم قوي أملاً كان قد رثا أنزل من السماء ماء، فسقى حرثًا، وأخرج لبنًا قد جاور دمًا وفرثًا أنشأ الجبال صمًا، ثم يعيدها هباءً منبثًا.

واقصده منقطعًا إليه فكل من ... يرجوه منقطعًا إليه كفاه

شملت لطائفه الخلائق كلها ... ما للخلائق كافل إلا هو

فعزيزها وذليلها وغنيها ... وفقيرها لا يرتجون سواه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمد رسول الله ﷺ، كانت المعرفة رأس ماله، والعقل أصل دينه، والحب أساسه، والشوق مركبه، وذكر الله أنيسه، والثقة كنزه، والحزن رفيقه، والعلم سلاحه، والصبر رداءه والزهد حرفته، واليقين قوته.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على أشرف من أظلت السماء، وأكرم من أقلت البيداء.. وعلى آله وأصحابه الذين آووه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكلما غرد بلبل وناح.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

في بداية هذا اللقاء الطيب المبارك، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه قد سعد المتقون وفازوا.. وتزودوا منها، فإن خير الزاد التقوى، اتقوا الله، واحذروا سيئ القول والخلق، واتبعوا محاسن الأخلاق، تفوزوا برضا الله ﷻ في دنياكم وأخراكم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وما زال لقاؤنا موصولاً مع آفات اللسان، وآفة اليوم هي خلة رديئة، وصفة ذميمة، وهي أساس الرزائل، وأصل الشرور أعلمت ما هي؟

إنها آفة الكذب.. إنها رأس الخطايا وبدايتها، وهو من أقصر الطرق إلى النار، كما أخبر بذلك النبي ﷺ المختار عندما قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْـكَذِبَ، فَإِنَّ الْـكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْـفُجُورِ، وَإِنَّ الْـفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْـكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّـهِ كَذَّابًا**»(١).

الكذب هو: إخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه.. وهو مذموم عند جميع العقلاء فكثيرًا ما ضاعت به حقوق، وانتهكت به حرمات، وارتكبت به جرائم، فكم من خبر كاذب، كان سببًا في تقطيع الصلات، وإثارة العداوات بين الناس وكم من شائعة كاذبة اختلقها شخص مهين، كان لها أثرًا على الأفراد والجماعات.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

الكذب - أيها الأحبة الكرام - وصمة عار على جبين الكذاب، لا تزول ولا تنسى حتى ولو مات صاحبها.. ويكفي الكذب دناءة وعارًا أنه مكروه ومنبوذ، لا يصدقه الناس في قول، ولا يثقون به في عمل، ولا يحبون له مجلسًا، وأحاديثه مرفوضة، وشهادته مردودة..

الكذب من أبغض الأخلاق عند النبي المصطفى ﷺ قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب[1].

ومجانبة هذا الخلق الذميم يدخل الجنة مع النبيين والصالحين، قال النبي الأمين ﷺ فيما رواه عنه أبو أمامة رضي الله عنه: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا**»[2].

وكان ﷺ إذا علم من أحد من أصحابه كذبًا، فيكون في نفسه شيء منه، حتى يعلم أنه تاب إلى الله واستغفر منه.. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة، فما يزال في نفسه، حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة[3].

والكذب خلق قبيح من تخلق به كان مجانبًا للإيمان بالله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥].

معاشر الأحباب...

والكذاب جبان ذو وجهين، لا يجرؤ على الصدق، وهو معدود من المنافقين،

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبزار، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٠٥٢).

(٢) حسن: رواه أبو داود والترمذي، وحسنه وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٢٧).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٤١).

فالمنافق يظهر خلاف ما يبطن، ولا ينفك الكذاب عن النفاق، حتى يهجر الكذب فإن عاد إلى الصدق، زال عنه اسم النفاق، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ أن النبي ﷺ قال: **«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»**(١).

وفي رواية: **«آيَةُ الْـمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»**(٢).

وعند أبي يعلى من حديث أنس ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ثلاث من كن فيه، فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر، وقال: إني مسلم: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»**(٣).

ولو تمثل الكذب، لأظلم معه النهار، فهو يدل على خسة منزلة الكاذب، وانعدام إيمانه فهو يكذب، ليدفع مضرة بكذبة، بدلاً من دفعها بشجاعته، ويكذب ليأكل باطلاً بدلاً من كسبه بعمله، ويكذب رياء لطلب المنزلة عند الناس، ولا منزلة له عند الله ﷻ والمؤمن لا يكون كذابًا قط، لماذا؟ لأنه لا يجتمع إيمان ونفاق أبدًا، والكذاب منافق.

وقد درج الناس في المجتمعات الحديثة على تسمية الكذبة الذي لا ضرر فيها بالكذبة البيضاء، وهذا تسويغ لعادة الكذب الممقوتة، فليس في شرع الله ما يسمى بالكذبة البيضاء فضلاً عن أن الكذب المباح، إذا خرج عن الحدود المرسومة له والأهداف المرجوة منه، صار كذبًا ممقوتًا.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) حسن: رواه أبو يعلى رقم (٣٩٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٣٨).

ومن عجب أن بعض الناس يبيحون الكذب في أول نسيان أو غيره، وهو تقليد أعمى للفكر الغربي، فقد جرت به العادة عند بعضهم، وهذا كله حرام شرعًا، وهو من أقبح الصفات، لأنه يجر إلى خصلة ذميمة، وهي الفجور، الذي يجر صاحبه إلى نار جهنم - والعياذ بالله -.

أيها الأحبة الكرام...

والكذب أساس التغرير والتضليل، ومنبع الزور والبهتان، وسلم المكر والاحتيال وهو رزيلة شائنة، تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها.

قال الإمام الماوردي رحمه الله: والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة، ولذلك قيل: من قل صدقه، قل صديقه».

وكتب سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله: إياك أن تستعين بكذوب فإنك إن تطع الكذوب تهلك.

وقيل في ذم الكذب: لا تطلبوا الحوائج من كذاب، فإنه يقربها وإن كانت بعيدة، ويبعدها وإن كانت قريبة.

وهناك بعض الأمور التي يستهان بها الناس، ويكذبون فيها، وذلك مثل كذب الآباء والأمهات على أبنائهم الصغار، وقد بين لنا ديننا الحنيف بأن تربية الأولاد يجب أن تكون على الصدق، لا على الكذب، ليشب الأطفال وقد تعودوا على الصدق والصراحة، والجُرأة في القول والعمل، فقد روى الصحابي الجليل عبد الله بن عامر رضي الله عنه قائلاً: «دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم: «**وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟**».

قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا، كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ**»(١).

والصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه يروي أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: لِصَبِيٍّ تَعَالَ هاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ، فَهِيَ كَذْبَةٌ**»(٢).

فبهذا الهدي النبوي ينبغي أن نربي أولادنا.. وننشئهم النشأة الإيمانية.

وبعض الناس يعود أبناءه الكذب، ويعلمه إياهم منذ الصغر، فمثلاً لو طرق أحد الباب، أو دق جرس الهاتف، قال للابن أو البنت، قل: إن أبي غير موجود مع أنه موجود، وهو الذي لقنه الكذب، ثم يطلب منهم أن يكونوا صادقين بعد ذلك؟ إنه عودهم الكذب من حيث لا يشعر، فهل يستجيبوا له بعد ذلك؟ الجواب: لا إنهم إن استجابوا وصدقوا مرة، فسوف يقولون الكذب مرات، لأنهم طبعوا على ذلك وتعودوا عليه.

عباد الله...

وقد وصلت عناية الإسلام في تحري الصدق، وذم الكذب حتى في الشئون المنزلية الصغيرة، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه: لا أشتهيه يُعد ذلك كذبًا؟ قال ﷺ: «**إِنَّ الْـكَذِبَ يُكْتَبُ كَذِباً، حَتَّى تُكْتَبَ الْـكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً**»(٣).

ومن الناس من يتوهمون بأنَّ الكذب إذا جر منفعة فهو جائز، وهذا ما يسلكه

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود وأحمد والخرائطي في «مكارم الأخلاق» ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٤٣).

(٢) حسن: رواه أحمد وابن أبي الدنيا وهو في «الصحيحة» برقم (٧٤٨)، و«صحيح الترغيب» (٢٩٤٢)

(٣) رواه مسلم.

بعض التجار وأصحاب المهن والحرف، لأنهم يرون أن في الكذب مصلحة دنيوية لهم، حيث يستفيدون مالاً إلى مال بترويج بضائعهم وتسليك مصالحهم، وهم لا يدركون أنهم يبتعدون عن الدين خطوة إلى خطوة.

عباد الله...

تعالوا معي لنتعرف على العقوبات التي أعدها الله للكذاب.

لابد أن نعلم أن له عقوبات في دنياه، وعقوبات في القبر، وعقوبات في الآخرة فأمَّا عقوبة الكذاب في الدنيا: فقد كتب الله ﷻ عليه الضلالة، ونفى عنه الهداية، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ** ﴾ [غافر: ٢٨].

ومن عقوبته في الدنيا سواد قلبه، ففي موطأ الإمام مالك أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: لا يزال العبد يكذب، وتنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه كله، فيكتب عند الله من الكاذبين[١].

وقد ورد أن الكذاب يخرج من فمه نتن تنفر منه الملائكة.

وأما في الآخرة فعقوبته متعددة ومتنوعة، ومنها سواد وجهه، قال تعالى: ﴿ **وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِى جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠** ﴾ [الزمر: ٦٠].

ومن عقوبات الكذاب: أن الله ﷻ لا يكلمه يوم القيامة، ولا ينظر إليه.

قال ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»[٢].

ومن عقوبة الكذاب: أنه لن يدخل الجنة، فهو محروم منها، قال ﷺ: «**ثلاثة**

(١) رواه مالك في «الموطأ».

(٢) رواه مسلم والنسائي.

لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو»(١).

وقد أعد الله ﷻ للكذابين عقوبة خاصة بهم في نار جهنم، قال ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِى يُحَدِّثُ بِالْـحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْـقَوْمَ، فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»(٢).

الويل هو الهلاك العظيم، وقيل: هو وادٍ عميق في جهنم.. والتكرير لكلمة: «ويل له، ويل له» للتأكيد، وإيذانًا بشدة هلكته، لأن الكذب رأس كل مذموم، وجماع كل شر.

وفي الحديث الصحيح: «**وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفًا**»(٣).

وفي رواية: «**يَزِلُّ بِهَا فِى النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِبِ**».

أما عقوبته في القبر، ففي البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**كَانَ النَّبِىُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟». قُلْنَا: لاَ.**

قَالَ: «لَكِنِّى رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِى فَأَخَذَا بِيَدِى، فَأَخْرَجَانِى إِلَى الأَرْضِ الْـمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُدْخِلُ ذَلِكَ الْـكَلُّوبَ فِى شِدْقِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أَمَّا الَّذِى رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْـكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْـقِيَامَةِ»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البزار بإسناد جيد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٣٩٨).
(٢) حسن: رواه أبو داود وأحمد والترمذي والنسائي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٣٦).
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه البخاري.

عباد الله...

وللكذب مظاهر كثيرة منها:

١ - الكذب على الله ورسوله: كحال من يفتي بغير علم ويقول على الله ورسوله الكذب، فيضل ويضل، ويهلك ويهلك.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** ﴾ [النحل: ١١٦].

وكحال من يكذب على رسول الله، فتجد من يكذب عليه للترغيب أو للترهيب، أو لترويج بدعة أو ضلالة، أو غير ذلك.. قال ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

وقال: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ...**»(٢).

٢ - **الكذب في البيع والشراء**: كحال من ينفق سلعته بالأيمان الكاذبة، ومن يغش المشتري بجودة بضاعته، فما أكثر ما يقع هذا بين الناس، مع عظم خطورته وشدة الوعيد فيه، قال ﷺ: «**الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ الْبَرَكَةَ**»(٣).

وقال: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(٤).

وقال ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يفترقا، فإن صدق البيعان وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما، فعسى أن يربحا ربحًا ما، ويمحق بركة بيعهما**»(٥).

٣ - **الكذب لإفساد ذات البين**: فبعض الناس - والعياذ بالله - لا يهدأ له بال،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس.

(٢) رواه مسلم وغيره عن المغيرة.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.

(٤) رواه مسلم، وابن حبان وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن حكيم بن حزام.

ولا يقر له قرار حتى يفسد ذات البين، ويفرق شمل المتحابين، فتراه يختلق الأقاويل وينسج الأباطيل تلو الأباطيل، ليفسد بين خليلين، ويحل محل المحبة والود، القطيعة والبين، فهذا العمل بلية عظيمة، ورزية جسيمة، فكم تقطعت لأجله أرحام، وكم تفصمت من روابط.. ووالله لا يقوم بهذا العمل إلا دنيء النفس حقيرها، فإصلاح مثل هذا الكذاب عزيز، والحيلة معه قليلة، وصدق القائل:

لي حـــيلة فـــيمن يـــنم ... ولـــيس في الكـــذاب حـــيلة

مـــن كـــان يخلـــق مـــا يقـــول ... فحيلتـــــي فـــــيه قلـــــيلة

أحبتي في الله...

ومن الكذب على الله ﷻ ما ورد في الحديث القدسي الجليل: «**كَذَّبَنِى ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِى كَمَا بَدَأَنِى، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْـخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَىَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاىَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّـهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِى كُفوًا أَحَدٌ**»(١).

الخطبة الثانية

الحمد لله.. الذي لم يكن له شريك في الملك، وما كان معه من إله. وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له، ولا رب سواه. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله.. النبي المصطفى، والرسول المجتبى اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

هل هناك حالات يجوز فيها الكذب؟ وما هي هذه الحالات؟

---

(١) رواه البخاري والنسائي واللفظ له.

نعم هناك حالات يجوز ويرخص فيها الكذب، فقد قال ﷺ: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**»[1].

قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها».

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: قال القاضي: لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور.. قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد الظالم قتل رجل هو عنده مختفٍ وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو؟ فقد قال الحبيب النبي ﷺ: «**مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ، بَعَثَ اللَّـهُ مَلَكًا يَحْمِي لَـحْمَهُ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»[2].

وهناك أنواع كثيرة من الكذب لا تجوز بحال من الأحوال، بل هي محرمة مثل الكذب لاستدرار عطف الآخرين، وكسب المؤيدين، كحال من يكذب في مسألة الناس، فتراه يظهر الفقر والفاقة، ويوهم بأن الديون قد ركبته، ولم يعد له طاقة في سدادها، أو يزعم أنه مريض، أو يقوم برعاية ابنه أو أباه، أو أحد أقرباءه، وربما حمل شهادات ملفقة ومزورة بأنه مريض ويستحق العلاج ونحو ذلك مما نراه كثيرًا.

وهناك الكذب السياسي، الذي يقوم على القاعدة (الميكافيلية) التي تقول: إنَّ الغاية تبرر الوسيلة، أو الغاية تسوغ الواسطة، وهذه القاعدة الفاجرة يأخذ بها أغلب السياسيين، وهذه القاعدة منسوبة إلى المفكر الإيطالي (ماكيافيلي) رائد هذا المبدأ، وقد قدمه لأحد ملوك أوربا في القرون الوسطى.. وهو مبدأ يتسم بالخداع

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم عن أم كلثوم.
(٢) حسن: صحيح سنن أبي داود للألباني رقم (٤٨٨٣).

والمراوغة.. ومن الأمثلة على ذلك ما نراه من المرشحين أنفسهم لمجلسي الشعب والشورى فترى الواحد منهم يسعى لكسب المؤيدين، واستقطاب الأصوات، ليفوز بالانتخابات فإذا حصل على ما يتمناه، فإذا أحرز قصب السبق، تنكر لمن أيده، ويقلب لهم ظهر المجن، ويتغير كلي وجزئي.

فاتقوا الله - عباد الله - وتجنبوا سوء الأخلاق، وطهروا ألسنتكم من الكذب، وقلوبكم من النفاق، رزقني الله وإياكم ألسنة صادقة، وقلوبًا مستنيرة بنور الهدى المحمدي، مستقيمة على منهجه.. اللهمَّ أحينا على الإسلام سعداء، وتوفنا على التوحيد شهداء واحشرنا في زمرة الأنبياء، ولا تشمت بنا الحاسدين والأعداء.

اللهمَّ يا ذا الجلال والإكرام آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.. ربنا إنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.. ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٥ ﴾ [الممتحنة: ٥].

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

وأقم الصلاة.



الخطبة السابعة بعد المائة

من آفات اللسان: الحلف بغير الله

الحمد لله.. إلهي يا أنس كل مستوحش غريب.. ويا فرج كل مكروب كئيب.. ويا غوث كل مخذول فريد.. ويا عضد كل محتاج طريد.. أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلمًا، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهمًا، وأنت الذي عفوه أعلى من عقابه.. وأنت الذي تسبق رحمته غضبه.. وأنت الذي تسع الخلائق كلهم في واسع رحمتك.

نحمدك حمدًا كثيرًا.. ونسبحك بكرة وأصيلاً.. نحمدك ما طلع صباح وأسفر، وما ذكرك ذاكر وكبر.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. الملك القدوس السلام، الذي رضي للعالمين دين السلام، أحل الحلال وحرم الحرام، وفصل الأحكام فسبحان صاحب العزة التي لا تضام، والملك الذي لا يرام، وهو وحده ذو الجلال والإكرام.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا وقائدنا محمد، عبد الله ورسوله.. الكريم خلقه.. الجميل خصاله.. السامية شمائله.. الطيبة سيرته ما ضره يومًا حسد الحاسدين.. ولا شتم الحاقدين، ولا شنئان المبغضين.

﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝ ﴾ [الكوثر: ٣].

هو خاتم النبيين، وشفيع المذنبين أكمل الله ببعثته دين الإسلام، وأتم بشرعه معالم الحلال والحرام.

اللهمَّ صلِّ على عبدك ورسولك وخليلك محمد بن عبد الله ما ذكره الذاكرون الأبرار وصلِّ على عبدك ورسولك محمد ما تعاقب الليل والنهار، وصلِّ عليه يا ربنا

ما لاحت الأنوار، وغردت الأطيار، وأورقت الأشجار، وأينعت الثمار واختلفت الأمصار.. وتتابعت الأعصار، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ ...

في بداية هذا اللقاء الإيماني المبارك، أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته ومحبته أن يجمعنا مع رسولنا وحبيبنا ﷺ في الفردوس الأعلى.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فأهل التقوى هم ملوك الدنيا والآخرة وهم أهل السعادة في الدنيا والآخرة.. ﴿ **تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾** ﴾ [القصص: ٨٣].

فاتقوا ربكم، وراقبوه في سركم وعلانيتكم، فقد وعدكم على ذلك صلاح أعمالكم، ومغفرة ذنوبكم، وحصول الفوز العظيم لكم، والفضل الجسيم في آخرتكم.

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾** ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

وما زال الحديث موصولاً عن آفات اللسان، واليوم نتحدث عن آفة من أخطر الآفات.. ومرض من أمراض اللسان، ألا وهو الحلف.. واليمين الغموس وهذا الموضوع من الأهمية بمكان، فأرجو من حضراتكم أن تفتحوا آذانكم بل وقلوبكم.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب.

عباد الله...

من آفات اللسان الأيمان الكاذبة، والحلف بغير الله تعالى، وكثرة الحلف وشأن حلف اليمين عند الله عظيم، وخطر التساهل بها جسيم، وفي هذا العصر، قد تساهل أناس كثيرون - هداهم الله - في شأن اليمين، واليمين ليست مجرد كلمة تمر على اللسان، ولكنها عهد وميثاق، يجب أن يوفي حقه لأن صاحبه سوف يقف بين يدي الملك الديان، فإن كان صادقًا وكان حقًا فاز صاحبه بالفوز، وإلا كان الحالف عرضة للشقاء والخسران.

وقد جعل ربنا تبارك وتعالى ورسوله ﷺ اليمين وسيلة من وسائل إثبات الحقوق، قال ﷺ: **«لو يعطي الناس بدعواهم، لادعى رجال دماء قوم وأموالهم، ولكن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر»**(١) .

فاليمين وسيلة من وسائل إثبات الحقوق، أو وسيلة لبراءة من ادُّعي عليه، ليتخلص مما أقيم عليه من دعوى. كما شرعت اليمين لتعظيم رب العالمين جل في علاه، وتوحيدًا لإله الأولين والآخرين وقيامًا بحق الرب الخالق جل وعلا، وشرعت لتأكيد الخبر الصادق، وحفظًا لحقوق العباد، وقطعًا للنزاع والخصام.. فهي شريعة من شرائع الله المحكمة، وشعيرة من شعائره المعظمة.. فالواجب تعظيم اليمين بحفظها عملاً بقول الله ﷻ في قرآنه: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَـٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩].

فلا ينبغي الحلف إلا عند الحاجة، وإذا حلف لا يحلف إلا صادقًا.. قال ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِاللَّـهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّـهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّـهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّـهِ»**(٢).

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه والبيهقي.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٥١)، و«صحيح الجامع» (٧٢٤٧) عن ابن عمر.

أيها الأحبة الكرام...

ولما كان هذا شأن اليمين عند الله تعالى، كان من لطف اللطيف جل وعلا بعباده ورحمته بهم، أن عفا عن لغو اليمين، وهي التي لا تقصد، كقول الرجل: لا والله، وبلى والله.. ونحو ذلك فيما لا يقصد التأكيد لليمين، فإن هذه اليمين تسمى (لغو اليمين) وهي لا تنعقد، وليس لها كفارة، قال الله ﷻ في كتابه: ﴿ **لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وكذلك من رحمته سبحانه بعباده ولطفه بهم أن شرع لهم كفارة اليمين المنعقدة، عندما يحنثون فيها، عندما يرون غيرها خيرًا منها.

قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: «**إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ**»[(١)].

وجاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال للأشعريين، الذين طلبوا منه رواحل للجهاد: «**والله لا أحملكم، فقال: إني لم أحملكم بل الله حملكم، إني والله - إن شاء الله - لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيرًا منها، إلا وكان قد حلف قبل ذلك أن لا يحملهم**» فقالوا له: لعلك قد نسيت أنك قد حلفت لا تحملنا، فقال: «**أتيت الذي هو خير، وكفرت عن يميني**»[(٢)].

فمن حلف مثلاً أن يكلم أخاه المسلم، أو حلف ألا يصل رحمه، أو حلف ألا يزور فلانًا قريبه المريض، أو لا يدخل بيت فلان، ونحو ذلك مما كان فيه معصية لله ورسوله، فلا يصح، ولا ينبغي أن تمنعه يمينه التي حلفها عن فعل الخير، وتحقيق الصلة.. بل الأفضل عند الله تعالى أن يحنث في اليمين ثم يكفر عنها

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١٠٨) بنحوه، والنسائي، ورواه أبو داود واللفظ له وصححه الألباني (٣٢٧٧)، وأحمد في «مسنده» ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٤١).

(٢) رواه البخاري.

ويفعل الخير، أسوة بالحبيب المصطفى ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

لكن فما هي كفارة اليمين؟

قال تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٩].

فكفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، لكل مسكين صاع أي حوالي كيلو ونصف أرز أو بر، أو نحو ذلك من غالب قوت البلد، أو كسوتهم بما يصلح لأن يلبس في الصلاة أو يصلح للزينة من أوسط الناس، أو عتق رقبة.. وهذه الثلاثة بالتخيير، فإن لم يستطع فعل واحدة منها، انتقل إلى الصيام لمدة ثلاثة أيام.

أحبتي في الله...

وقد أمرنا الله ﷻ بحفظ اليمين، فقال: ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩].

فإن لم يحفظ المرء يمينه، كان واقعًا في المخالفة، لأن كثرة الحلف تدل على الاستخفاف بالمحلوف به، وعدم تعظيمه، وكثرة الحلف بالباطل من صفات الكفار والمنافقين قال ربنا تبارك وتعالى لحبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

والحلاف هو كثير الحلف.. وقال الله عنهم - أي المنافقين -: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤].

وقال عنهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١٦]. أي أنهم جعلوا الحلف وقاية يتقون بها ما يكرهون، ويخدعون بها المؤمنين.. ومن قبلهم حلف إبليس لآدم وزوجه حواء، ليخدعهما باليمين.

قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١]. أي أقسم لأبينا آدم وأمنا حواء أنه يريد نصحهما ومصلحتهما، ليخلدا في الجنة.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف: ٢٢]. أي خدعهما بهذا القسم، وأوقعهما في فخ المعصية.

حلف إبليس كاذبًا، وما كان يظن آدم أنه يحلف بالله جل جلاله كاذبًا.

وقد جاء الوعيد الشديد لمن حلف يمينًا كاذبًا فاجرًا، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

أول عقوبة:

١ - **لا خلاق لهم**: أي لا نصيب لهم من الخير.

٢ - **لا يكلمهم الله**: غضبًا عليهم وسخطًا، لتقديمهم هوى أنفسهم على رضا ربهم.

٣ - **ولا يزكيهم**: أي لا يزيل عيوبهم، ولا يطهرهم من ذنوبهم.

٤ - **ولهم عذاب أليم**: أي مؤلم موجع للقلوب والأبدان.. عذاب السخط، والحجاب، وعذاب جهنم - والعياذ بالله -.

كل هذا الوعيد على يمين كاذبة لأخذ شيء من متاع الدنيا، وهي قليلة، ولو كان المال كثيرًا، لكن آثامه وأوزاره باقية على صاحبها.. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين كذب، ليقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان**»[1]. ثم قرأ الآية السابقة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [آل عمران: ٧٧].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وأبو داود وغيرهم.

وقال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّـهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»(١).

وقال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّـهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْـجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا - أي قليلاً - يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»(٢).

عباد الله...

اتقوا الله في أيمانكم، وتذكروا مقامكم بين يدي ملك الملوك ومالك الملك، ولا تقبلوا على حلف يمين إلا بعد التأكد من حلفكم هل هو مبني على الصدق واليقين والطمأنينة؟ أم مبني على الكذب والفجور.. إنَّ هذه اليمين الفاجرة، ما حقة للمال وللعمر وما حقة للبركة كلها في العمل.. فلا تبيعوا دينكم بمصلحة دنيا أنتم زائلون عنها ولقد حذرنا النبي المصطفى ﷺ من الحلف في بيعنا وشرائنا لترويج للتجارة أو السلعة، فقال ﷺ: «الْـحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»(٣).

وفي رواية: «مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ».

والمحق هو النقص والمحو والإبطال.

قال القاري: وسبب ذهاب بركة المكسوب: إمّا بتلف يلحقه في ماله، أو بإنفاقه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل أو ثوابه في الآجل، أو بقي عنده وحرم نفعه أو ورثه من لا يحمده - أي من لا يحبه -.

وقد جاء الوعيد في حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم عن أبي أمامة والنسائي وأحمد وابن ماجه.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة.

يقول النبي ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئًا إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[١].

فهو دائم الحلف، لا يبالي حلف على حق أم على باطل، فما دامت اليمين ستروج سلعته فلا بأس عنده، لا يقيم لليمين وزنًا المهم عنده أن تروج البضاعة، المهم أن يظفر بالمال، هذه غايته، لكن عقوبته في الآخرة، فإنها وراء ظهره.. لا يبالي بها، بل يستخف بها، ولا يهتم بها.

فاحذروا غاية الحذر من الأيمان الفاجرة الكاذبة.

كان بعض السلف إذا توجهت اليمين عليهم، خافوا منها مع أنها حق وصدق، لكن ورعهم كان يدعوهم إلى الإقلال منها، وعدم الإكثار منها، لأنهم يخافون إكثارهم سببًا للكذب.

فاتقوا الله في أيمانكم، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقين، لأن هذه اليمين الكاذبة سماها العلماء باليمين الغموس، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: **«الإِشْرَاكُ بِاللَّـهِ»**. **قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْـيَمِينُ الْـغَمُوسُ». قُلْتُ: وَمَا الْـيَمِينُ الْـغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِى يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ»**[٢].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «كنّا نعُدُّ اليمين الغموس من الكبائر».

وقد جاء في حديث عبد الله بن أنيس عند الطبراني مرفوعًا: **«مِنْ أَكْبَرِ الْـكَبَائِرِ: الشِّرْكُ بِاللَّـهِ، وَالْـيَمِينُ الْـغَمُوسُ»**[٣].

---

(١) رواه مسلم وأحمد وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٦٧).

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (١٤٦٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٠٠).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: كنا نعد الذنب الذي لا كفارة له: اليمين الغموس».

فاليمين الغموس هو أن يحلف الرجل أو المرأة على الشيء وهو يعلم أنه كاذب ليرضي بذلك أحدًا، أو يقطع بها مالاً. وسميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في النار.

وجمهور العلماء على أن اليمين الغموس لا كفارة فيها، وصاحبها آثم مذنب وكفارته أن يتوب إلى الله ﷻ منها ويستغفره.

قال النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى**». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى أن يدخل الجنة يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى**»[1].

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان.. و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. أو كما قال: ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. المعروف بأسمائه وصفاته، المتحبب إلى خلقه بجزيل هباته.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، المتفرد بالألوهية والوحدانية المتوحد في العظمة والكبرياء، والمجد والربوبية.

وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبده ورسوله، أكمل الخلق في مراتب العبودية.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار، والتابعين لهم بالأقوال والأفعال والإقرار.

---

(١) رواه البخاري.

أما بعد...

أيها المسلمون.. عباد الله...

ومن الأيمان المحرمة التي ينبغي أن ينزه المسلم عنها لسانه، وأقواله «الحلف بغير الله تعالى، فلا يجوز الحلف بالنبي، ولا بالولي، ولا بالآباء، ولا بالأبناء ولا بالأمانة، ولا بالذمة..

فعن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب ﵁ وهو يسير في ركب ويحلف بأبيه، فقال: «**أَلاَ إِنَّ اللَّـهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّـهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ**»[١].

وعنه ﵁ قال: سمعت أبي عمر يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّـهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**». قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرًا، ولا آثرًا»[٢].

والحلف بغير الله تعالى شرك، قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّـهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[٣]. وقال: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّـهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ**»[٤].

فلا ينبغي أن يقول قائل: وحياة أبويا، أو ورحمة أمي، كما يفعله الكثير من الناس في هذا الزمان.

ومن الناس من يحلف بالأمانة، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فقال: «**مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»[٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صحيح: رواه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٥٢).

(٤) متفق عليه.

(٥) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٩٥٤)، و«المشكاة» (٣٤٢٠).

وعن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ**»[(١)].

لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والتعظيم لا ينبغي إلا لله وحده سبحانه وتعالى، والحلف بغير الله، يعتبر نوع من اتخاذ الأنداد له.. وقد قال الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٢].

فينبغي على من صدر منه نحو هذه الأيمان أن يتوب إلى الله تعالى ويستغفره، ويقلع عن الحلف بغيره أو بغير أسمائه أو صفاته.. ليسلم من الشرك.. قال عبد الله بن مسعود ﷺ وغيره: **لأن** أحلف بالله كاذبًا، أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا.

وذلك لأن الحلف بالله على الكذب محرم، لكن الحلف بغير الله أشد تحريمًا لكونه من الشرك وسيئة الكذب أخف من سيئة الشرك.

فاتقوا الله - عباد الله - وعظموا اليمين بالله، ولا تتساهلوا في شأنها، واحذروا من الحلف بغيره، لتسلم عقيدتكم، وتصلح أحوالكم.. وأكثروا من الصلاة والسلام على الحبيب.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد - صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود، وارض اللهمَّ عن خلفائه الراشدين المهديين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة والتابعين.. وعن من سار على نهجهم إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك يا أكرم الأكرمين.

اللهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين.

اللهمَّ يا قوي يا عزيز، يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء أهلك

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبزار وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٠١٣).

الطغاة والظالمين.. اللهمَّ ارزقنا حبك، وحب من يحبك، وألهمنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.. اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.. إنك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعاء.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠]. فاذكروا الله العظيم يذكركم، وأقم الصلاة.



الخطبة الثامنة بعد المائة

العين حق (الحسد)

الحمد لله الذي أعطى ومنع، وبسط وقبض، ووسع وقتر، لا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، وكل شيء عنده بمقدار:

يا من إليه جميع الخلق يبتهل ... وكل حيٍّ على رحماه يتكل

يا من نأى فرأى ما في القلوب ... وما تحت الثرى وحجاب الليل منسدل

أنت المنادي به في كل حادثة ... وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل

أنت الغيّاث لمن سُدت مذاهبه ... أنت الدَّليل لمن ضلت به السبل

وأشهد أن لا إله إلا الله.. سبحانه نبرأ من الثقة إلا فيه، ومن التسليم إلا له.. ومن التفويض إلا إليه، ومن التوكل إلا عليه.. ومن الرضا إلا عنه.. ومن الطلب إلا منه.. ومن الرجاء إلا لما في يديه الكريمتين..

يا واحدًا في ملكه ما له ثان ... يا من إذا قلت يا مولاي لباني

أعصاك تسترني أنساك تذكرني ... فكيف أنساك يا من لست تنساني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا محمدًا عبد الله ورسوله.. صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود، والشفاعة العظمى يوم الدين.. من أدبه ربه فأحسن تأديبه، فكان للعالمين سيدًا وإمامًا.. صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.. يا سيد الأولين والآخرين ويا قائد الغرِّ المحجلين.. ويا خاتم الأنبياء والمرسلين، ويا شفيع المذنبين.

اللهمَّ صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين، صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير وتغلق بها عنا

أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

طبتم جميعًا، وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته مع حبيبنا المصطفى ﷺ.

وفي بداية هذا اللقاء الإيماني، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فاتقوا الله ﷻ حق التقوى، واستمسكوا بالعروة الوثقى.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

في عصرنا هذا تقدم الطب وتطور تطورًا هائلاً، وصار علماء الطب وخبراؤه على جانب كبير من المهارات والدراية، التي أهلتهم لإجراء أدق العمليات وأصعبها، فنراهم بفضل الله الواحد الأحد قد فتحوا الرؤوس، وشقوا الصدور والبطون، والقلوب، وأظهروا مهارات فائقة، إلا أنه مع هذا التقدم، وذاك التطور ما زال الكثير من الناس يشتكون أمراضًا مزمنة، وأعراضًا مقلقة، لم يستطع

هؤلاء الأطباء الماهرون أن يعرفوا أسبابها، ولم يجدوا لها علاجًا، فكان لابد من الوقوف مع هذا الحديث الصحيح الصريح النابع من مشكاة الطب النبوي العظيم، يبين لنا سببًا من أسباب الأوجاع المضنية والآلام المبرحة، التي أقضت مضاجع أناس كثيرين، ومنعتهم الرقاد وحرمت أقوامًا من أن يتمتعوا بحياتهم، ونغصت عليهم عيشتهم، تلكم هي: (العين) أو (الحسد) يقول النبي ﷺ: **«الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْـقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْـعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ، فَاغْسِلُوا»**[1].

ويقول النبي ﷺ: **«إن العين تورد الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر»**[2].

أحبتي في الله...

إنَّ الأمراض منها ما هو متعلق بالأبدان والأجسام، ومنها ما هو متعلق بالقلوب وأمراض القلوب أشد خطرًا، وأعظم ضررًا من أمراض الأبدان، وتلك الأمراض إما نتيجة شهوة، أو شبهة.. ومن هذه الأدواء الخبيثة، والأمراض الفتاكة المقيتة «الحسد» الذي يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب.

فما هو الحسد؟ وما أنواعه؟ وما كيفية علاجه والتخلص منه؟

الحسد مجمع الآفات، ومستنقع الشرور والرزائل، وإنه ما دخل الحسد في شيء إلا شانه، ولا نزع من شيء إلا زانه.

الحسد هو تمني زوال نعمة الغير.. إنه نظرة من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر.. ولنا في هذا الموضوع وقفات:

الوقفة الأولى: أنه ما من شيء يحدث في هذا الكون إلا بإرادة الله ﷻ وتدبيره، ولحكمة يعلمها هو - سبحانه وتعالى - ولا يجوز نسبة شيء من الحوادث في هذا

---

(١) رواه مسلم عن ابن عباس، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) حسن: رواه أبو نعيم في «الحلية» عن جابر (٧/ ٩٠)، وابن عدي عن جابر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤١٤٤)، و«الصحيحة» (١٢٤٩).

الكون إلى مخلوق أبدًا إلا على سبيل السبب. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.. والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

وقال عن السحر: ﴿ هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢]. فالله تعالى هو الحكيم الخبير، وهو المدبر المتصرف، وهو المالك لهذا الكون بما فيه.

ويقول النبي ﷺ ملقنًا الأمة درسًا عظيمًا في شخص الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (١).

فإذا علمنا هذا حق العلم، وأدركنا هذا حق الإدراك، نكون قد قطعنا نصف الطريق.

الوقفة الثانية: أنَّ الإصابة بالعين حق، كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق ﷺ وكما أشار إليه القرآن الكريم في مواضع، يقول الله تعالى لنبيه وحبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم: ٥١].

قال أكثر من واحد من المفسرين في هذه الآية: إنه الإصابة بالعين، فأرادوا أن يصيبوا بها رسول الله ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين، وقالوا: ما رأينا مثله، ولا مثل حجته.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وأحمد وغيرهما عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٥٧).

وقال بعض المفسرين: «كان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة، فيعينها ثم يقول لخادمه: خذ المكتل والدرهم، وآتنا بشيء من لحمها، فما تبرح حتى تقع، فتنحر» ثم قال: وكان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه، فتمر به الإبل، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً، ولا غنمًا أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليل، حتى يسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين كفعله في غيره، لكن الله ﷻ عصم نبيه ﷺ وحفظه، وأنزل عليه.. ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [القلم: ٥١].

وأشار القرآن أيضًا على لسان نبي من أنبيائه - وهو يعقوب عليه السلام - إلى تأثير العين، عندما خاف هذا النبي ﷺ على أبنائه، وقال لهم: ﴿ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٦٧].

قال ابن عباس وغيره: خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم، فإن العين حق، إنَّ عاطفة الأبوة تجعله يخاف على أبنائه، ولم ينس أن الحكم النافذ إنما هو حكم الله وحده، وإنما هي حاجة كانت في نفسه، وهي لا تغني من الله، ولا من قضائه النافذ، وقدره المحتوم شيئًا.. فقد أخذ بالسبب، وأوكل الأمر كله إلى الله ﷻ واغتسل سهل بن حنيف رضي الله عنه فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر إليه، وكان سهل رجلاً أبيض، حسن الجلد، فقال له عامر بن ربيعة: «ما رأيت كاليوم، ولا جلد عذراء» فوعك سهل مكانه، واشتد وعكه، فأُتي رسول الله ﷺ فأخبر أنَّ سهلاً وعك، وأنه غير رائح معك يا رسول الله، فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر، فقال رسول الله ﷺ لعامر: «**عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، أَلاَّ بَرَّكْتَ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأْ لَهُ**». فَتَوَضَّأَ لَهُ عَامِرٌ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ

رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ (١).

وقد أخبرنا حبيب قلوبنا ﷺ أن قتلى العين من هذه الأمة كثير فقال ﷺ: «**أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس**»(٢). يعني بالعين.

فإذا كان عدد الموتى كثير، فما بالك بعدد المرضى والمصابين في حوادث وكوارث.

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْـعَيْنَ لَتُولِغُ الرَّجُلَ بِإِذْنِ اللَّـهِ، حَتَّى يَصْعَدَ حَالِقاً، ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْهُ**»(٣). أي يصعد الجبل برجليه، فيسقط منه.

وقال لأسماء بنت عميس رضي الله عنها: «**مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً** - أي نحيفة منهكة - **تُصِيبُهُمُ الْـحَاجَةُ**». **قَالَتْ: لاَ، وَلَكِنِ الْـعَيْنُ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ. قَالَ** «**ارْقِيهِمْ**». **قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ** - أي رقيتها -، **فَقَالَ**: «**ارْقِيهِمْ**».

وقال ﷺ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّـهِ فَإِنَّ الْـعَيْنَ حَقٌّ**»(٤).

فهذه النصوص تدل على وجود الحسد، وتدل على تأثيره، حتى ولو خالفه الأطباء والماديون، فكلام الله، وكلام رسوله ﷺ أولى بالاتباع.

الوقعة الثالثة: ينبغي أن يعلم المسلم أن هذا الداء مذموم، ولا يكون إلا من نفس خبيثة.. وقد قال النبي ﷺ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْـبَغْضَاءُ، وَالْـبَغْضَاءُ: هِيَ الْـحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة بن سهل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٠٢٠)، و«الصحيحة» (٢٥٧٢).

(٢) **حسن**: أخرجه الطيالسي في «مسنده»، والحكيم الترمذي والبزار عن جابر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٠٦)، و«الصحيحة» (٧٤٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والبزار عن أبي ذر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٨١).

(٤) رواه مسلم ورواه الحاكم وابن ماجه.

(٥) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود والترمذي والبزار عن أبي الزبير، وحسنه الألباني في «صحيح =

وقد جاء النهي عنه في حديث الشيخين: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَقَاطَعُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّـهِ إِخْوَانًا»[1].

وذمه أصحاب العقول السليمة، قال بعض الحكماء: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وغضبًا، ولا ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًا، ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً».

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا تعادوا نعم الله تعالى، قيل: ومن يُعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وقال بعض السلف: أول خطيئة هي الحسد، حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته، فأبى أن يسجد له، فحمله على الحسد والمعصية.

ودخل عون بن عبد الله يومًا على الفضل بن المهلب، وكان أمير واسط، فقال: إني أريد أن أعظك بشيء، فقال: وما هو؟

فقال: وإياك والحسد، فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده، ثم قرأ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال: وإياك والكبر، فإنه أول ذنب عصى الله به، ثم قرأ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ [البقرة: ٣٤].

وإياك والحرص، فإنه أخرج آدم من الجنة، أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة، نهاه الله عنها، فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها، ثم قرأ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [طه: ١٢٣].

= سنن الترمذي» (٢٠٣٨).

(١) رواه البخاري ومسلم.

وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك، وإذا ذكر القدر، فاسكت، وإذا ذكرت النجوم، فاسكت.

وقال بكر بن عبد الله المزني التابعي رحمه الله: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك، فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء تكفيه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام، فسعى به إلى الملك، فقال: إنَّ هذا الذي يقوم بحذائك، ويقول ما يقول، زعم أن الملك أبخر.

فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: ندعوه إليك، فإنه إذا دنا منك، وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر.

فقال له: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك، فدعا الرجل إلى منزله، فأطعمه طعامًا فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده، وقام بحذاء الملك كعادته، فقال قولته المشهورة: أحسن إلى المحسن بإحسانه، فإن المسيء سيكفيه إساءته.

فقال له الملك: ادن مني، فدنا فوضع يده على فيه، مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانًا إلا صدَق.

وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة، فكتب له كتابًا بخطه إلى عامل من عماله، إذا أتاك كتابي هذا فاذبحه واسلخه، واحش جلده تبنًا، وابعث به إليَّ، فأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الرجل الذي سعى به، فقال: ما هذا الكتاب؟

قال: خط الملك بصلة.. قال: هبه لي.. فقال: هو لك، فأخذه ومضى به إلى العامل.

فقال له العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك.

قال: إنَّ الكتاب ليس هو لي. فالله الله في أمري، حتى ترجع إلى الملك.

فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه، وحشا جلده تبنًا، وبعث به.

ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله، فعجب الملك، وقال: ما فعل الكتاب؟ قال: لقيني فلان، فاستوهبه مني، فوهبته له.

فقال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر، قال: ما قلت ذلك.

قال: فلِمَ وضعت يدك على فِيك؟ قال: لأنه أطعمني طعامًا فيه ثوم، فكرهت أن تشمه، قال: صدقت، ارجع إلى مكانك، فقد كفى المسيء إساءته.

أيها المسلمون. . عباد الله...

والوقفة الرابعة: كيف نقي أنفسنا من شر العين؟

أولاً: بملازمة ذكر الله تعالى في كل الأوقات، وخاصة أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: حسن التوكل على الله ﷻ، وذلك بصدق الاعتماد على الله في دفع المضار، وجلب المنافع، وتحقيق الإيمان، وذلك بصدق اعتماد القلب على الله تعالى في دفع المضار، وجلب المنافع، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي إلا الله، ولا يمنع إلا الله، ولا يضر، ولا ينفع سواه.. ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣].

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧].

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم: ١٢].

ثالثًا: كما ينبغي على المسلم للوقاية من العين أو الحسد، أن يستر المحاسن التي يخشى الإصابة عليها من العين خاصة النساء والأطفال، وقد رأى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه صبيًا مليحًا، فقال لأهله: «دسموا نونته لئلا تصيبه»، أي اجعلوا على ذقنه شيئًا من السواد، حتى لا تستحسنه العيون.

والعين عينان: عين إنسية، وأخرى جنية، وهي ما يطلق عليها النظرة.

رابعًا: ينبغي أن يتحصن المسلم قبل وقوع العين بالاستعاذة بالله تعالى منها، والمحافظة على الأوراد، والأذكار، التي علمنا إياها حبيبنا ﷺ يقول: «مَا مِنْ

عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّـهِ، الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْـعَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ»[١].

وعن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه أنه قال: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: **«أَصَلَّيْتُمْ»**. فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: **«قُلْ»**. فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **«قُلْ»**. فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: **«قُلْ»**. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ مَا أَقُولُ، قَالَ: **«قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ، وَالْـمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»**[٢].

عباد الله...

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان، و**«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»**.. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له، هو ولي الصالحين.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين..

أما بعد...

أيها المسلمون.. عباد الله...

وكما يحصن المرء نفسه، فإنه يسن له أن يحصن أبناءه ويعوذهم، وخير ذلك ما

---

(١) حسن صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٣٨٨) عن عثمان بن عفان.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٤٩)، و«صحيح الجامع» (٤٤٠٦).

رواه البخاري من حديث ابن عباس ﷺ قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّـهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ»[١] .

ومما يتقي به العين قبل وقوعها: التبريك، كقولك: بارك الله لك، أو بارك الله فيك أو قوله: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وأما إذا أصابت العين ووقعت، فإن علاجها إذا عرف العائن: أن يؤمر بالوضوء أو الاغتسال للمعين، ويصب الماء عليه، كما أمر رسول الله ﷺ عامر ابن ربيعة أن يغتسل لسهل، وفي حديث مسلم عن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر أن نسترقي من العين.. وفي المسند عنها ﵂ قالت: دخل النبي ﷺ فسمع صوت صبي يبكي، فقال: «مَا لِصَبِيِّكُمْ هَذَا يَبْكِي؟ فَهَلاَّ اسْتَرْقَيْتُمْ لَهُ مِنَ الْـعَيْنِ»[٢].

والرقى تكون مشروعة إذا تحقق فيها شروط ثلاثة:

أولها: أن لا يكون فيها شرك ولا معصية، كدعاء غير الله، أو الإقسام بغير الله.

وثانيها: أن تكون بالعربية، وما يعرف معناه.

وثالثها: أن لا يعتقد كونها مؤثرة بنفسها.

قال ابن أبي العز الحنفي ﵀: «اتفقوا على أن كل رقية وتعزيم، أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته الجن، أو غيرهم».

وقال الإمام ابن تيمية ﵀: نهى علماء الإسلام عن الرقى، التي لا يفقه معناها، لأنها فطنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك، فعن عوف بن مالك

---

(١) رواه البخاري وأبو داود.

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده عن عائشة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٦٢)، و«الصحيحة» رقم (١٠٤٨).

الأشجعي، قال: كنَّا نرقى في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى، مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»(١).

أحبتي في الله...

ومن الرقى الواردة رقية سيدنا جبريل عليه السلام للنبي ﷺ التي رواه الإمام مسلم، حيث كان يرقيه ﷺ بقوله: «**بِسْمِ اللَّـهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ، أَوْ حَاسِدٍ، اللَّـهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّـهِ أَرْقِيكَ**»(٢).

ومن الرقى الواردة ما صح عنه في رقية المعين: «**اللهمَّ اذهب عنه حرها وبردها ووصبها**»(٣).

ألا قاتل الله الحسد، فكم أذهب من نعمة، وكم أحل من نقمة، وكم فرق بين الأخوة، وشتت شمل الأحبة، وكفى بالحاسد أنه معترض على حكمة الله عز وجل، مجترئًا على حدوده:

أيــا حاســدًا لي عــلى نعمتــي	**أتــدري عــلى مــن أســأت الأدب**
أســـأت عـــلى الله في حكمـــه	**لأنــك لم تــرض لي مــا وهـــب**
فأخـــــزاك ربي بـــــأن زادني	**وســـد علـــيك وجـــوه الطلـــب**

اتقوا الله **عباد الله**... وانزعوا الغل والحسد من قلوبكم، واصطلحوا وتوادوا وتسامحوا، وكونوا عباد الله إخوانًا.. وليكن شعاركم ما قاله السلف الأخيار من المهاجرين والأنصار: ﴿ **رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد وهو حديث حسن لأجل أمية بن هند وثقه ابن حبان وضعفه غيره.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسن الأخلاق إلا أنت واصرف عنها سيئها، فإنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.. اللهمَّ طهر قلوبنا من الغل والحسد والحقد والبغضاء، وطهر أعيننا من الخيانة، وألسنتنا من الكذب يا سميع الدعاء، اللهمَّ إنا نعوذ بك من شر الحاسدين وكيد الحاقدين إنك على كل شيء قدير.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]. وأقم الصلاة.



الخطبة التاسعة بعد المائة

داء السحر وخطره

الحمد لله.. العفو الغفور، لا تنقضي نعمه ولا تحصى على مر الدهور سبقت رحمته غضبه قبل خلق الأيام والشهور.. يتوب على من تاب ويغفر لمن أناب.. ويجبر كسيرًا، ويغيث لهفانًا.. ويعافي مبتلى.. يفقر غنيًا، ويغني فقيرًا.. وينصر مظلومًا.. ويقهر ظالمًا..

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله وإن نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

أحمده حمد الشاكرين، وأستغفره استغفار المذنبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. شهد بوحدانيته الحجر والنبات والنور والظلمات.. والأرض والسموات.. وتدكدكت من خشيته الجبال الراسيات.. كل شيء هالك إلا وجهه.. لن يطاع إلا بأمره، ولن يعصي إلا بعلمه.. يطاع فيشكر.. ويعصي فيغفر.. أقرب شهيد.. وأدنى حفيظ.. كتب الآثار.. ونسخ الآجال.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وأستاذنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد عبد الله ورسوله.. إمام الموحدين، وشفيع المذنبين وقائد الغرِّ المحجلين.. والمفضل من رب العالمين..

اللهُ فضل خير الخلق بالكرم ... هو أفضل الناس من عرب ومن عجم

هو النبي الذي فاقت فضائله ... وخصه الله بالتنزيل والحكم

الله فضله، الله أكرمه ... الله أرسله من جملة الأمم

صلوا عليه عباد الله كلكم ... إن الصلاة عليه تنجي من النقم

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، صلاة تفتح لنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها يا ربنا وليًا ونصيرًا، فأنت نعم المولى ونعم النصير.

أما بعد...

اتقوا الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

تزودوا ليوم الوعيد، فعمّا قليل سيبلى الجديد، ويشيب الوليد، وما أقرب القاصي من الداني.

أحبتي في الله...

إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

أيها المسلمون.. عباد الله...

وإن من الأمراض التي انتشرت وشاعت في المجتمعات، مرض خطير، وآفة قبيحة، ألا وهي السحر.

فما السحر؟ وما حقيقته؟ وما تأثيره؟ وما حكم تعلمه؟ وما حكم من يمارسه ومن يأتيه ويفعله؟ وكيف نتقيه؟

هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله ﷻ

السحر داء خطير، وشر مستطير، له حقيقة خفية، وضرر محقق، يهدم الدين ويتلف الجسد، ويخرب البيوت، ويقطع الأرحام، ويورد النار، لذا فقد اتفقت الشرائع السماوية قاطبة على حرمته، وسماه الله كفرًا، وحذر منه، ولم يجعل لصاحبه في الآخرة نصيبًا، ولا حظًا.

السحر من كبائر الذنوب، كما قال رسول علام الغيوب ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ**». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ: وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللَّـهِ: وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّـهُ إِلاَّ بِالْـحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْـيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْـمُحْصَنَاتِ الْـغَافِلاَتِ الْـمُؤْمِنَاتِ**»[١].

فقد جعل الرسول ﷺ السحر في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله ﷻ إذ السحر قسيم الشرك.. ونوع من أنواعه.. وصنف من أصنافه.. وفي سنن النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ**»[٢].

السحر هادم الأسر، فكم من أسرة فرق شملها، وكم من صحيح أعل صحته، وكم من سعيد سلب الفرحة من قلبه؟! وكم من شفة أزال البسمة عنها؟!

إنه كهف مظلم بظلام آثاره، ومستنقع قذر بقذارة أهله.

السحر عالم عجيب، ظاهره فاتن خلاب، وباطنه قذر عفن.. ولقد أعاب الله تعالى على فريق من الذين أوتوا الكتاب أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) ضعيف: رواه النسائي (٤٠٩٠) لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، واتهم بالتشيع.

وتركوا ما فيه، واتجهوا إلى ما يضاده، ألا وهو السحر، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والسحر - أيها المؤمنون - يطلق على كل ما خفي سببه، ودقَّ ولَطُف، ولذا يقال للوقت قبيل الفجر: السَّحر حيث تخمد الأصوات، وتخفض الحركات، ويخلد الناس إلى الراحة.. سمَّى هذا الوقت سحرًا.. والطعام الذي نتناوله في هذا الوقت بالسحور، ومن خدع الناس بحلاوة حديثه، وطلاقة لسانه، وحلو بيانه، سماه النبي ﷺ ساحرًا، فقال: «إِنَّ مِنَ الْـبَيَانِ لَسِحْرًا» (١).

السحر هو عبارة عن عزائم ورقى، وطلاسم، يجمع بعضها إلى بعض، وتعالج معالجات خفية، فيحدث تأثيرها بإذن الله.. فقد تقتل، وقد تفرق بين المرء وزوجه، وقد تعوِّج عضوًا.

السحر عزائم ورقى، ونفث وعمل يُوثِّر به في القلوب والأبدان، والمشاعر والطباع إنه بضاعة الشيطان، يلجأ إليه ضعاف الإيمان، وضعاف النفوس، جلبًا لحظ، أو دفعًا لنحس، أو طمعًا في مال، أو بغيًا على عباد الله..

الساحر يأتي بالأمور المنكرات العظيمات، كأن يطير في الهواء، أو يمشي على الماء أو يركب كلبًا، أو يسير على خيط دقيق.. وغير ذلك من الحيل والأساليب التي يستعملونها.

الساحر مفسد فاجر، قد نزع الله الرحمة من قلبه، وباع نفسه للشيطان، باع دينه بدنياه، باع رضي الله ﷻ بسخطه وغضبه.

---

(١) رواه البخاري عن ابن عمر.

السحر والسحرة والعرافون والكهنة عالم موبوء بالخرافات والدجل، مطمور بالبغي والظلم.. تعشش في أكنافه الشياطين، ويظلله الشرك والكفر المبين.. ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩].

هؤلاء أيها الأحبة الكرام - أفسد خلق الله، وأخس خلق الله، لا دين يحميهم، ولا إيمان يمنعهم، إنما الكذب والدجل، وأكل أموال الناس بالباطل.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أراد المسير، لقتال الخوارج، عُرض عليه منجم، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسافر فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب، هزم أصحابك.

فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : بل نسافر ثقة بالله، وتوكلاً على الله، وتكذيبًا لك»، فسافر، فبُورك له في ذلك السفر، حتى أنه قتل عامة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُرّ به رضي الله عنه .

ومن افتراءاتهم التي دونها لنا التاريخ، وأصبحت وصمة عار على جبين الكهّان والمنجمين كذبهم، حينما ادعوا أن الخليفة المعتصم، لا يمكنه فتح عموريه قبل أن ينضج التين والعنب، وانتشر الخبر بين الناس، فكذب الله المنجمين، وأعز المسلمين.. وكان الفتح استجابة لصرخة امرأة مسلمة أذلها الروم، فصاحت وامعتصماه، فبرز أحد الشعراء بقصيدة عصماء، عرض فيها لدجل المنجمين وكذبهم، وكان من بين قال:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجدّ واللعب
أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
وخوّفوا الناس من دهياء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربي والذنب
تسعون ألفًا كآساد الشرى ... جلودهم قبل نضج التين والعنب

أيها المسلمون أتباع رسول الله ﷺ ...

إنَّ من النساء من تذهب إلى الساحر أو الساحرة بزعم أنها لا تريد زوجها أن يتزوج عليها، وإن كان متزوجًا بأخرى تذهب إلى الساحر لتجعله يميل إليها، ويطلق الثانية، وهي بذلك قد عرضت نفسها لسخط الله ﷻ لقد اشترت هي وأهلها الذين سعوا لها في ذلك، اشتروا الفلس والخسران، وباعوا الغفران.. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة: ١٦]

أو لم تعلم هذه وأمثالها أنها قد أتت فعلاً شنيعًا، وعملاً مغضبًا للرب تبارك وتعالى قال ﷺ: **«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَومًا»**[١].

وهذا الوعيد عن سؤاله فقط.. أمَّا من يسألهم ويصدقهم، ويعتقد في أعمالهم، فقد قال ﷺ: **«مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»**[٢].

وفي حديث بيّن فيه الحبيب النبي ﷺ أن الذي يؤمن بالسحر لا يدخل الجنة، فقال: **«لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم»**[٣].

أيها المسلمون...

ومن ابتلي بشيء من السحر، فليتعزَّ بحبيبه بالنبي ﷺ ففي البخاري من حديث عائشة ﵂ قالت: سُحر النبي ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال: **«أَشَعَرْتِ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٩).

(٣) حسن: رواه الدارمي وابن حبان وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٠٥٠).

يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّـهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ».

قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّـهِ؟

قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ الْـيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ. قَالَ: فِيمَا ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ».

قَالَت: فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى الْـبِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ ﵂ فَقَالَ: «وَاللَّـهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْـحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «لاَ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّـهُ وَشَفَانِي، وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا». وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[(١)].

فقد أصيب رسول الله ﷺ وهو حبيب الرحمن وسيد الأولين والآخرين، فكيف بمن دونه؟!

والذي يتعلم السحر، الذي يمارسه، الذي يباشره كافر بالله العظيم، ليس من دين الإسلام في قليل أو كثير، قال تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩].

قال علماء التفسير: علم من استقراء أدلة القرآن الكريم أن الله ﷻ لا ينفي الفلاح إلا عمن كان كافرًا، لا ينفي الله تعالى الفلاح بإطلاق إلا عمن كان كافرًا: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

فالله جل جلاله قد نفى الفلاح في هذه الآيات عن أصناف منهم الكفار، فلما قال: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه: ٦٩].

---

(١) رواه البخاري.

علم يقينًا أن الساحر كافر، وهذا مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة، والإمام أبو حنيفة، وهو قول أصحاب الإمام أحمد وهذا الساحر، الذي يفرق بين المرء وزوجه، ويظهر في الأرض الفساد، ويسير بين الناس بالعداوة والبغضاء، حكمه في شريعة الإسلام أنَّه يقتل، ودليل ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن بجالة بن عبيد رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أهل البصرة: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس، يقول بجالة رحمه الله: فقتلنا في يوم واحد ثلاث سواحر[1].

في يوم واحد قتلوا ثلاث نساء ساحرات كافرات بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروى الإمام الترمذي من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»[2].

لأن فساده عظيم، وشره كبير، وإثمه مستطير، لا يقتصر على نفسه، بل شره متعد إلى العباد.

وقد كان أحد الأمراء، وهو الوليد بن عقبة بين يديه ساحر يلعب، يمارس ألعابًا سحرية يخيلها في أعين الناس، يقطع رأس إنسان ويحمله ثم يعيده ثانية، ويقول الناس الجالسون: سبحان الله! إنه يحيي الموتى.. ورجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جندب الأسدي رضي الله عنه جاء في اليوم الثاني مشتملاً سيفه، فلما بدأ ذلك الساحر يلعب، ويمارس تلك الأمور الموهمة، استل سيفه، وضرب عنق الساحر، وقال: إن كان صادقًا فليحيي نفسه.. فرَّق الله بهذا الصحابي بين الحق والباطل.. بين الهدى والضلال.

وأم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما سحرتها جارية لها، دبرتها، فقتلتها حفصة بسحرها.

---

(١) رواه البخاري.

أيها المسلمون.. عباد الله...

الساحر زنديق، خلا قلبه من مخافة الله ﷻ، إنه ربما كتب القرآن الكريم بالنجاسة ولربما ألقى كتاب الله في النجاسة.. ربما كفر بالصلاة أو ببعضها، أو يصلي مع الناس بغير وضوء، أو بغير غسل للجنابة.. كل هذا إرضاء للشيطان.. بل إنه ربما سب الله ﷻ أو سب رسوله الكريم ﷺ من أجل أن يكون بينه وبين الشيطان عقد، هذا يخدمه، وذاك يرد له الخدمة، كما قال الله ﷻ على لسانهم: ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. الشيطان يستمتع بكفر الساحر، والساحر يستمتع بخدمته التي يقدمها له.

والبعض منهم يزعم أن الشيطان قد سُخر له، وهذا هو الكذب المبين، والافتراء الواضح، لماذا؟

لأن الجن لم يسخر لأحد بعد نبي الله سليمان عليه السلام قال الله عنه: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ص: ٣٦ - ٣٨]. فدعا ربه فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: ٣٥].

فالشيطان لا يسخر لأحد بعد نبي الله سليمان، حتى نبينا محمد ﷺ وهو أشرف النبيين، وسيد المرسلين، لما عرض له الشيطان، أمسك به وخنقه، حتى سال لعابه على يديه، فقال: «**فَأَمْكَنَنِى اللَّـهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِى الْـمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِى سُلَيْمَانَ:** ﴿ هَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ [ص: ٣٥]» (١).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم. و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. إله الأولين والآخرين، ورب العرش العظيم.

وأشهد أن سيدنا محمدًا.. عبده ورسوله، النبي الأمين.. اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

أيها المسلمون.. عباد الله...

اتقوا الله حق تقاته، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]. والجؤوا إلى ربكم، ولا تعتقدوا في ساحر، لأن السحرة لا علم عندهم، ولا خير يرجى من ورائهم، وإنه وإن قُدِّر بعض الشفاء على أيديهم، فما يحصل من شفاء في البدن، يعقبه فساد في القلب يعقبه ضعف في الإيمان، وربما زواله، لأنهم يعتمدون في علاجهم على الخرافة والضلال، والدجل، والتضليل، يقولون: إن فيك لسحرًا، والساحر لك فلان، وربما قالوا: أمك أو أبوك، أو زوجتك، أو قريبك فلان، ليحدثوا عداوة وبغضاء وفتنًا وهم ربما أمروا ذلك المريض بالشرك بالله، بدعاء غير الله، بالالتجاء إلى سواه.. فاتخذوا الأسباب النافعة، والأوراد الصحيحة من كتاب الله وسنة رسوله، واعلموا أن للسحر علاجين: علاج دفع، وعلاج رفع.

علاج الدفع معناه: الأخذ بالأسباب، الإكثار من ذكر الله، أذكار الصباح والمساء قل: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّـهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**» ثلاث مرات، قل: «**بِسْمِ اللَّـهِ، الَّذِى لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَىْءٌ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْـعَلِيمُ**» ثلاث مرات، حافظ على الوضوء فإنه لا يحافظ عليه إلا مؤمن، كن أيها المسلم على طهارة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

حافظوا على المكتوبات في أوقاتها مع جماعة المسلمين، ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، فهذه الخصلة من أعظم الأسباب التي تقي من شر السحرة والحاسدين والكائدين، قال ﷺ: «**من صلى الصبح في جماعة كان في ذمة الله حتى يمسي**»، في أمانه وضمانه، لا يستطيع أن يكيد لك ساحر أو شيطان.

أما علاج الرفع فمعناه: علاج السحر بعد وقوعه، أو بعد الإصابة به.

فعلاجه بالرقية الشرعية، بفاتحة الكتاب، وفاتحة سورة البقرة، وآية الكرسي وخاتمة سورة البقرة، وقراءة المعوذتين، والإخلاص.. قال ﷺ: «**اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**». وقال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ خَرَجَ مِنْهُ**».

وقال عن آخرها: «**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**». وآية الكرسي لها فضل كبير، وكذا المعوذتين، والتسمية عند الطعام والشراب، وكل ما يفعله المسلم من أقوال وأعمال.

حصنوا أنفسكم بطاعة الله ﷻ، بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وحصنوا أنفسكم بكثرة ذكر الله ﷻ، والجوؤا إلى الله ﷻ: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ** ﴾ [النمل: ٦٢].

نسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا، وذهاب همومنا وغمومنا، وشفاء لأسقامنا وأمراضنا. اللهمَّ اغفر ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا.. وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اجعل لنا من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل فتنة عصمة، ومن كل بلاء عافية.. اللهمَّ إنا نسألك الفوز يوم القضاء وعيش السعداء، ومنازل الشهداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء.. وأستغفر الله لي ولكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة العاشرة بعد المائة

داء وخطر الرشوة

الحمد لله.. الذي نشر بقدرته البشر، وصرَّف بحكمته وقدّر، وابتعث محمدًا إلى كافة أهل البدو والحضر، فأحل وحرم وأباح وحظَّر، لا يغيب عن بصره وسمعه دبيب النمل في الليل إذا سرى، يعلم السر وأخفى ويسمع أنين المضطر ويرى، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.. اصطفى آدم ثم تاب عليه وهدى، ابتعث نوحًا، فبنى الفلك وسرى، ونجا الخليل من النار، فصار حرها ثرى، ثم ابتلاه بذبح ولده فأدهش بصبره الورى.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. سبحت له السموات وأملاكها والنجوم وأفلاكها، والأرض وسكانها، والبحار وحيتانها، والنجوم والجبال والشجر والدواب والأتان والرمال، وكل رطب ويابس، وكل حي وميت ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

سبحانه إذا أطيع شكر، وإذا عصى تاب وغفر، وإذا دعى أجاب، وإذا عمل أثاب لا إله إلا هو سبحانه وبحمده، لا يحصي عدد نعمته العادون، ولا يؤدي حق شكره الحامدون، ولا يبلغ مدى عظمته الواصفون.. ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة: ١١٧].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده، ورسوله.. أرسله ربه على الظلماء كشمس النهار وعلى الظمأ كالغيث المدرار.. فهز بسيوفه رؤوس المشركين هزًا عظمت بدعوته المنن.. وأحيا الله برسالته السنن..

صلى عليك الله يا علم الهدى   واستبشرت بقدومك الأيام

هتفت لك الأرواح من أشواقها   وازينت بحديثك الأقلام

أما بعد...

حياكم الله جميعًا أيها الإخوة الفضلاء، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته، أن يجمعنا مع حبيب قلوبنا، ونور أبصارنا سيدنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الإيماني المتجدد أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أوصيكم بتقوى الله ﷻ والعض عليها بالنواجذ إبان هذه الفتن العمياء وعليكم بالاستقامة على دينه، والثبات عليه للنجاة من أي داهية دهياء ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فيا سعادة من اتقاه، ويا فوز من خافه في سره ونجواه.. ويا فلاح من لم يزل بطاعته قائمًا، وعن معصيته متباعدًا.

أيها الأحبة الكرام...

حديثنا اليوم عن داء عضال، ومرض خطير قد استشرى في الأمة وفشا بسبب هذا الداء طمست الحقوق، ومظالم انتهكت.. أعلمتم ما هو؟ **إنه الرشوة.**

أيها المسلمون...

إن الأمم تبتلى في أيام محنتها وانتقاص وضعف نفوس أبنائها بأمراض كثيرة، تضعف شأنها، وتقوض صفاء عيشها وطمأنينة مسيرتها وسلامة طرق الكسب فيها، وتقضي على حياتها وإن من شر ما تصاب به الأمم في أهلها وبنيها أن تمتد أيدي فئات من عُمَّالها وأصحاب المسئوليات فيها إلى تناول ما ليس بحق. فصاحب الحق عندهم لا ينال حقه إلا إذا قدم مالاً، وذو الظلامة فيهم لا ترفع مظلمته إلا إذا دفع رشوة.

الرشوة مَغْضبة للرب ومجْلبة للعذاب، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄: «**لَعَنَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْـمُرْتَشِيَ**»[(١)].

وفي المسند وغيره بسنده حسن عن ثوابان ﵁ قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْـمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ**»[(٢)]. **يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا**.

والراشي هو دافع الرشوة، والمرتشي هو آخذها وقابضها، والرائش الوسيط بين الراشي والمرتشي، فهؤلاء جميعًا ملعونون من الله وعلى لسان رسوله: ﴿ **أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ۝** ﴾ [النساء: ٥٢].

واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ﷻ، والملعون لا يفلح أبدًا إلا إن تاب من ذنبه وتاب الله عليه، وما استحق الراشي والمرتشي والرائش اللعن إلا لعظم الذنب والجرم الذي اقترفه، فالحذر الحذر من التساهل في الرشوة وتعاطيها وقبضها وأخذها، وتأسيسًا على هذه الدلالة الصريحة ولما رواه الطبراني بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال: «**الرَّاشِي وَالْـمُرْتَشِي فِي النَّارِ**»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٣٣٧).

(٢) حسن: رواه أحمد في مسنده.

(٣) حسن: رواه الطبراني عن ابن عمر، وحسنه بعض العلماء.

قال أهل العلم كالذهبي وغيره: «إن الرشوة كبيرة من كبائر الذنوب» إنها من أكبر الكبائر والذنوب وصاحبها معرض للوعيد الشديد لأنها أكل أموال الناس بالباطل والله ﷻ نهى عن أكل أموال الناس بالباطل قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال قتادة: «اعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يحل لك حرامًا ولا يحق لك باطلاً، وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى وتشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب، واعلموا أن من قضى له بباطل أن خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبطل للحق بأجود مما قضي به للمبطل على المحق في الدنيا».

فأموال المسلمين حرام لا يجوز استحلالها إلا بحقها أو بطيبة من أنفسهم وقد حرم الإسلام أموال المسلمين فقد قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلاَّلاً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ...»[١].

والرشوة وسيلة من وسائل أكل أموال الناس بالباطل وقد انتشرت في هذا الزمان، وفي بلادنا على وجه الخصوص حتى صارت ديدن كثير من المسلمين، يأخذونها ولا يخافون من أكل الحرام، ولا يتحرجون من أكل الأموال بالإثم، فقل أن تجده موظفًا أو قاضيًا أو عاملاً إلا وهو يمد يديه لأخذ الرشوة من دون حياء من الله، ولا خجل من الناس وقد أخبرنا أستاذ البشرية ﷺ عن هذا الزمان فقال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الْـحَرَامِ»[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه.
(٢) رواه البخاري والنسائي.

الرشوة تناول للسحت والله تعالى يقول في شأن اليهود: ﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة: ٤٢].

يُروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «بابان من السحت يأكلهما الناس: الرُّشا ومهر الزانية»، الرشوة خيانة عند جميع أهل الأرض وهي في دين الله أعظم إثمًا وأشد مقتًا إنها تخفي الجرائم، وتستر القبائح وتزيف الحقائق.

بالرشوة يفلت المجرم ويدان البريء، بها يفسد ميزان العدل الذي قامت به السموات والأرض، وقام عليه عمران المجتمع، هي المعول الهدام للدين والفضيلة والخلق.

الرشوة - أيها الناس - تلبس عند أهلها ثيابًا مستعارة، فتأخذ صورًا متلونة، وأغراضًا متعددة، فهذه هدية وتلك إكرامية، وهذه محاباة في بيع أو شراء، وذلك إبراء من الدين، والصور في ذلك لا تتناهى، وسبل الشياطين وأعوانهم في ذلك عريضة واسعة.

في القطاع العام والقطاع الخاص، وفي المؤسسات وفي الشركات.

إخوة الإيمان والإسلام...

الرشوة داءٌ وبيل ومرض خطير، خطرُها على الأفراد عظيم، وفسادها للمجتمع كبير، فما يقع فيها امرؤ إلا ومُحقت منه البركة في صحته ووقته ورزقه وعياله وعمره، وما تدنَّس بها أحد إلا وحُجبت دعوته، وذَهبت مروءته، وفسدت أخلاقه، ونُزع حياؤه، وساء منبَته، في الحديث: «**كُلُّ لَـحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني وغيره عن أبي بكر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٤٥١٩).

وفي رواية قيل: وما السحت؟ قال: «**الرِّشْوَةُ فِي الْـحُكْمِ**»[١]. رواه ابن جرير وغيره.

الرشوة - أيها الفضلاء - تُسبب الهلاك والخسران للمجتمعات، تفسدُ أحوالها، وتنشر الظلم فيها، بل ما تفشَّت في مجتمع إلا وغابت منه الفضيلة، وحلت فيه الرذيلة والكراهية والأحقاد، وما وقعت في أمة إلا وحلَّ فيها الغش محل النصيحة، والخيانةُ محلَّ الأمانة، والظلم محل العدل، والخوف محل الأمن. والرشوة في المجتمع دعوةٌ قبيحة لنشر الرذائل والفساد، وإطلاق العنان لرغبات النفوس، وانتشار الاختلاف والتزوير، واستغلال السلطة والتحايل على النظام، فتتعطل حينئذ مصالح المجتمع، ويسود فيه الشر والظلم، وينتشر بينه البُؤس والفقر والشقاء، في المسند مرفوعًا وله شواهد: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَظْهَرُ فِيهِمُ الرُّشَا، إِلاَّ أُخِذُوا بِالرُّعْبِ**»[٢].

أيها المسلمون. . عباد الله...

بفشو الرشوة تصاب مصالح الأمم بالشلل، وعقول النابغين بالإحباط، ومواهب المفكرين بالجمود، وجهود العاملين بالفتور وعزائم المجتهدين بالخور.

أي خير يرجى في قوم مقياس الكفاءة فيهم ما ينفقه المرؤوس لرؤسائه من الأموال والقرابين؟! وأي إنتاج يرتجى لأعمال لا تسير عندهم إلا بعد هدايا الراشين والمرتشين؟!

نفدت ثروات، وهدمت بيوت، وفرقت جماعات، وارتفع باطل وغاب حق، وكل ذلك بسبب الرشاوى المحرمة والخصومات الفاجرة.

---

(١) حسن: رواه أحمد والترمذي والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي ورواه ابن حبان.

(٢) ضعيف: رواه أحمد في «مسنده» عن عمرو بن العاص رقم (١٧٧٥٠).

أيها المسلمون...

حقيقة الرشوة كلُّ ما يدفعه المرء لمن تولَّى عملاً من أعمال المسلمين ليتوصَّل به إلى ما لا يحل له، وهي تأتي على صور كثيرة، من أعظمها ما يُعطي لإبطال حق، أو إحقاق باطل، أو لظلم أحد من الناس. ومن صُورها دفع المال في مقابل قضاء مصلحة يجب على المسئول عنها قضاؤها بدون هذا المقابل، أو هي كما قال بعض أهل العلم: ما يؤخذ عما وجب على الشخص فعله. ومن صورها أيضًا من رشى ليُعْطي ما ليس له، أو ليدفع حقًا قد لزمه، أو رشى ليُفضَّل أو يقدَّم على غيره من المستحقين.

أحبتي في الله...

الرشوةُ في الإسلام محرَّمةٌ بأي صورة كانت، وبأي اسم سُمِّيت، سواء سُميت هديةً أو مكافأة أو تركةً، فالأسماء لا تغيِّر من الحقائق شيئًا، والعبرة للحقائق والمعاني لا للألفاظ والمباني: ومن المقررات في شريعتنا الإسلامية أن هدايا العمَّال غلول، والمراد بالعمال كل من تولى عملًا للمسلمين، وهذا يشمل السلطان ونوَّابه وموظفيه، أيًا كانت مسئولياتهم، ومهما اختلفت مراتبهم وتنوعت درجاتهم.

روى البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أُهدي لي، فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِىَ لِى. أَفَلاَ قَعَدَ فِى بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِى بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا، إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ**»[1].

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

قال الخطابي رحمه الله: «في هذا بيان أن هدايا العمال سُحت، وأنه ليس سبيلها سبيل الهدايا المباحة، وإنما يُهدي إليه للمحاباة، وليخفِّف عن المُهدي، ويُسوِّغ له بعض الواجب عليه، [وهو خيانة منه، وبخس للحق الواجب عليه] استيفاؤه لأهله» انتهى[١].

وقال الشوكاني رحمه الله: «إن الهدايا التي تُهدي للقضاة ونحوهم هي نوعٌ من الرشوةٌ؛ لأن المهدي إذا لم يكن معتادًا للإهداء إلى القاضي قبل ولايته لا يهدي إليه إلا لغرض، وهو إما التقوِّي به على باطله، أو التوصل بهديته إلى حقه، والكل حرام[٢].

وقال غيرهما من أهل العلم: ويتعين على الحاكم ومن له ولاية تتعلق بأمور الناس أن لا يقبل الهدية ممن لم يكن معتادًا الإهداء إليه قبل ولايته، فهي في المقام تُعتبر رشوة، انتهى.

أيها المسلمون...

إن المصائب التي تتوالى علينا بين حين وآخر وتفاقم المشكلات وتعاظم المنكرات وانعدام الأمن وشيوع الفساد وتتابع المحن والابتلاءات كلها بسبب ذنوبنا ومعاصينا ونحن نضج ونشكو وندعو الله ولا يستجاب لنا، إذ كيف يستجاب للإنسان وهو يأكل المال الحرام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ اللَّـهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّـهَ أَمَرَ الْـمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْـمُرْسَلِينَ قَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾** [المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن**

---

(١) «معالم السنن» للخطابي.

(٢) «نيل الأوطار» (١٣/ ٣١٩) للشوكاني.

طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ، أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَقَدْ غُذِّيَ بِالْـحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ»**(١).

أي كيف يستجاب لمن هذه حاله؟!

إن المال الحرام كما أنه سبب من أسباب شقاء الإنسان فهو من أسباب حجب إجابة الدعاء هذا في الدنيا أما في الآخرة فإن آكل أموال الناس بالباطل معرض للوعيد فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْـمُفْلِسُ؟**».

قَالُوا: الْـمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ.

فَقَالَ: «**إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْـقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٢).

ويقول الحبيب المصطفى ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(٣).

أو كما قال: «**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**». ادعوا الله.

---

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم والترمذي، وقال: حسن صحيح ورواه أحمد في «مسنده».

(٣) صحيح: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين إله الجود والعطاء، نحمده على ما أسبغ علينا من الفضل والنعماء.

وأشهد أن لا إله إلا الله المنزه عن الصاحبة والأبناء.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء الأنقياء، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون.. عباد الله...

يا من يأكلون الرشوة ويستحبونها احذروا من أكل أموال الناس بالباطل، واعلموا أن الظلم ظلمات يوم القيامة، وردوا المظالم إلى أهلها وتوبوا إلى الله قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ويقول يوسف بن أسباط: إن الرجل إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه، وقال بعض السلف: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تعلم ما يدخل بطنك ؛ أحلال أم حرام؟

ألا فاتقوا الله رحمكم الله، وراقبوا ربكم، فرُب متخوض في مال الله له النار يوم القيامة، ألا يخشى أكلة السحت أن يسحتهم الله بعذاب؟! وقد خاب من افترى.

وقد خاطب النبي ﷺ صاحبه كعب بن عجرة رضي الله عنه فقال له: يا كعب بن عجرة: «**إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ لَـحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ، يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ: النَّاسُ غَادِيَانِ، فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا**»(١).

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٧٢٩).

وفي الخبر الآخر: «**إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله عمله أربعين يومًا، وأيُّما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به**»[١] .

فاتقوا الله - رحمكم الله - وليتق الله هؤلاء المقصرون، فهلا أخذوا بأوامر ربهم، واستمسكوا بتوجيهات نبيهم ففي ذلك ما يحفظ حقوقهم، ويطهر قلوبهم ويملأ بالرضا والإيمان نفوسهم، ويمنع تقاطعهم وشحناءهم وتحاسدهم وبغضاءهم.

فطوبى لمن أكل طيبًا وعمل في سنة، طوبى لمن حَسُنَ تعامله وعفَّ في طعمته، حفظ الأمانة وصدق في الحديث، وأمِنَ الناس بوائقهُ.

اللهمَّ تب على التائبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين.. اللهمَّ إنَّا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل.. ونعوذ بك من النار ومن كل ما قرب إليها من قول وعمل.. اللهم أجرنا من النار ومن عذاب النار.. اللهمَّ إنَّا مثقلون بالذنوب والخطايا، وبضاعتنا في الخير قليلة فلا تؤاخذنا بذنوبنا.. اللهمَّ لا نهلك وأنت رجاؤنا.. اللهمَّ عاملنا برحمتك وحلمك، واجعل حبنا لدينك ونبيك ولعبادك الصالحين شفيعًا لنا عندك.

اللهمَّ يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون يا من عليه يتوكل المتوكلون، وإليه يلجأ الخائفون، نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار.

يا أمان الخائفين، ويا رجاء المذنبين نسألك برحمتك أن لا تعذبنا بالنار.

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا، وكن لنا ولا تكن علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا.

---

(١) رواه الطبراني وغيره.

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة الحادية عشرة بعد المائة

داء الغفلة المهلك

الحمد لله.. المبدئ المعيد.. الغني الحميد.. ذي العفو الواسع، والعقاب الشديد.. من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد، ومن أرشده إلى طريق النجاة ووفقه فهو الرشيد.

يعلم ما ظهر وما بطن، وما خفي وما علن.. وهو أقرب إلى الكل من حبل الوريد قسم الخلق قسمين، وجعل لهم منزلتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

إنَّ ربك فعَّال لما يريد.. ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦].

أحمده فهو أهل الحمد والتحميد، وأشكره والشكر لديه من أسباب المزيد.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. ذو العرش المجيد والبطش الشديد.. لا إله إلا الله أخلو بها وحدي.

لا إله إلا الله، أفنى بها عمري.. لا إله إلا الله يغفر بها ذنبي.

لا إله إلا الله.. ألقى بها ربي.. لا إله إلا الله أدخل بها قبري.

يا رب..

أنت الذي تهب الكثير وتجبر الـ قلب الكسير وتغفر الزلات

وتقول هل من تائب مستغفر أو سائل أقضي له الحاجات

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد نبي كانت المعرفة رأس ماله، والعقل أصل دينه، والحب أساسه، والشوق إلى الله مركبه.. وذكر الله أنيسه.. والثقة كنزه.. والعلم سلاحه والصبر رداءه.. والزهد

حرفته.. والرضا غنيمته.. واليقين قوته.. والصدق شفيعه.. والجهاد خلقه.. وقرة عينه في الصلاة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.. اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار وآل بيته الأبرار.. وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . أحباب رسول الله ﷺ. .

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العلي العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة مع حبيبنا محمد ﷺ في الفردوس الأعلى.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الإيماني المبارك أوصيكم بتقوي الله ﷻ وعضوا عليها بالنواجذ، إبان هذه الفتن العمياء، وعليكم بالاستقامة على دينه والثبات عليه من أي داهية دهياء.. ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

واعلموا أن الدنيا دار ممر، والآخرة دار المستقر، فتزودوا لمقركم من ممركم.. **وَتَزَوَّدُوا** ﴿ **فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أيها الأحبة الكرام...

واليوم مع داء آخر، ومرض من أمراض الأمة، أتدرون ما هو؟

إنه مرض الغفلة.

فما هي الغفلة؟ وما حقيقتها؟ وما أسبابها؟ وما أنواعها؟ وما هي مراتبها؟ وما نتيجة الغفلة.

كل هذه الأسئلة سوف نجيب عنها بمشيئة الله تعالى، فأعيروني القلوب والأسماع، فإن الموضوع من الأهمية بمكان، وأسأل الله ﷻ أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الغفلة هي الانغماس في شهوات الدنيا، ونسيان الآخرة، بحيث يصير الإنسان له قلب، لكنه لا يفقه به، وله عين، ولكنها لا ترى العبرة وله أذن، لكن لا تسمع، فيكون كالبهائم.. ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالغافل يجتهد في تعمير دنياه، وتخريب أخراه، يكره لقاء الله واليوم الآخر يبني القصور، وينسى القبور، تراه يملأ بطنه من الطعام حلالاً كان أو حرامًا، وينسى يوم الحساب، تراه غارقًا في نعم مولاه، وينسى شكر النعم.. تجده منغمسًا في المعاصي، وقلبه من ذكر ربه قاسي.. تجده هلوعًا جزوعًا منوعًا.

إنهم كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

إنَّ لهم آذان لكنهم لا يسمعون بها كتاب الله، ولا يسمعون بها المواعظ، سماع تدبر وتفكر وتذكر، بل مثلهم، كما قال الله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

إنهم كالأنعام التي لا هم لها إلا أن تأكل وتملأ البطون لا همّ لهم إلا التمتع بالشهوات والملذات.. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

بل هم أضل من الأنعام والبهائم، أتدرون لماذا؟ إنهم كذلك لسببين:

الأول: أن البهائم تميز بين النافع والضار، فتأتي ما ينفعها، ولا تفعل ما يضرها

أبدًا، وإن حملت عليه قهرًا مثل فيل أبرهة.. أمَّا هؤلاء الغافلون، فيعملون ما يضرهم ويتركون ما ينفعهم، يفعلون المعاصي التي تقربهم من النار.. وتعرضهم لسخط الله تعالى وعقابه.

ولذا يتحسرون وهم فيها يوم القيامة، فيقولون: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠، ١١].

الثاني: أنهم أضل من الأنعام، لأن الأنعام تذكر ربها وتسبحه وتقدسه، وتصلي له.. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النور: ٤١].

أمَّا هؤلاء الغافلون فترى أحدهم لا يذكر الله في اليوم ولا مرة.. مع أنه لو استشعر أنَّ الله ﷻ موجود معه في كل مكان ما غفل عنه ولكنه غافل.. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [المجادلة: ٧].

لو علم ذلك، واستشعره ما كتب من الغافلين..

إذا ما خلوت الدَّهر يومًا	فلا تقل خلوت ولكن قل: عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا أن ما يخفى عليه يغيب

والقلب الغافل اللاهي عن الله صاحبه في ضنك وشقاء، حتى ولو كان في نعيم ورخاء، فالشقاء ثمرة الضلال، والضنك ثمرة الإعراض، قال جلال جلاله: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ۝ ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

أيها الأحبة في الله...

أليس من العجب العجاب أن يعرض المسلم عن ربه ومولاه؟ أليس عجيبًا أن يقضي المسلم حياته في غفلة عن مولاه؟ لا تزيده نعم الله عليه إلا إعراضًا وعصيانًا وضلالاً، ولا يزيده ستر الله عليه إلا تماديًا واستخفافًا وإعراضًا.. لا تغتروا أيها الغافلون بنعم الله عليكم.. لا تغتروا بحلمه، ولا تظنون أنه يحبكم بإمدادكم بالنعم والأموال، وإنما ذلك استدراج منه، حتى إذا أخذكم، أخذكم أخذ عزيز مقتدر.

قال ﷺ فيما يرويه عنه عقبة بن عامر رضي الله عنه: «**إِذَا رَأَيْتَ اللَّـهَ يُعْطِي الْـعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝** ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]»[1].

أمَّا عن أسباب الغفلة، فمن أهم أسبابها: حب الدنيا.

وحب الدنيا رأس كل خطيئة.. قال تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝** ﴾ [الروم: ٧].

قال الحسن البصري رحمه الله: «والله ليبلغ أحدهم من علمه بدنياه أن يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، ولا يحسن يصلي»[2].

يقول ابن كثير رحمه الله: إن أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وكسبها وشئونها، فهم فيها حذاق أذكياء في تحصيلها، ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عن

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في «الشعب»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٤١٤)، و«صحيح الجامع» (٥٦١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٠٥).

أمور الدين، وما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة.

والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ، جَوَّاظٍ، سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، جِيفَةٌ بِاللَّيْلِ، حِمَارٌ بِالنَّهَارِ، عَالِمٌ بِالدُّنْيَا، جَاهِلٌ بِالآخِرَةِ**»(١).

كأنه لم يخلق للعبادة، وإنما خلق للدنيا وشهواتها.. فهو إن فكر، فكر في الدنيا وإن أحب، أحب للدنيا، وإن عمل، عمل للدنيا.. فيها يزاحم ويخاصم، ويقاتل.. قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ**»(٢).

بسبب حبه للدنيا ينتهك المحرمات، ويترك الصلوات أو يؤخرها من أجل صفقة، أو اجتماع عمل، أو مباراة كرة قدم.. يجلس أحدهم فلا حديث له إلا عن الدنيا.. عن المال.. عن النساء.. عن الشهوات.. عن الأرباح والخاسر، وهم عن الآخرة غافلون. إنهم يحفظون الأغاني وأسماء الممثلين والممثلات، والمطربين والمطربات الأحياء منهم والأموات.. لكنك إن سألت أحدهم عن الصحابة أو التابعين أو العلماء الصالحين.. لا يعرفون عنهم شيئًا إلا من رحم ربي.

وإن سألت أحدهم: كم تحفظ من القرآن؟ يقول: المعوذتان، فكم تحفظ من حديث رسول الله ﷺ؟ يقول: حديثنا: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ**»(٣).

وحديث: «**إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ**»(٤). فإلى الله المشتكى.

---

(١) صحيح: رواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٧٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي رقم (٢٤٦٧) عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٩).

(٣) رواه البخاري والنسائي.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

أيها المسلمون عباد الله...

ولقد أخبرنا الله ﷻ حقيقة هذه الدنيا، وضرب لها المثل، فقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وضرب لها النبي ﷺ المثل لها، ثم بين أنها حقيرة وهينة، فقد صح عن النبي ﷺ أنه مرّ على شاة ميتة، فقال لأصحابه: **«أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟»** قالوا: من هوانها عليهم ألقوها.

فقال ﷺ: **«والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها»**(١).

وهكذا بين ربنا وبين لنا رسولنا ﷺ هذه الحقائق، ثم نادى على أهل الإيمان ونبههم ألا يغفلوا، فقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر: ١٩].

لكن ما هي أنواع الغفلة؟

قد ذكر أهل العلم أن الغفلة ثلاثة أنواع، وقد ذكرها القرآن الكريم.

أولاً: الغفلة عن التفكير في آيات الله تعالى: فالغافل ينظر إلى آياته الله في كل مكان من فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، لكن غفلته أعمته عن الاعتبار وعن رؤية آيات الله الواحد القهار، قال العزيز الغفار: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٥].

فكان جزاؤهم، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

---

(١) رواه مسلم بنحوه عن جابر رضي الله عنه على أنه جدي أسك وليس شاة.

لما غفل عن التفكير في آيات الله المقروءة والمتطورة، ازداد مرضه.

ثانيًا: الغفلة عن ذكر الله تعالى: فالغافل لا يذكر ربه إلا قليلاً، لذا أمر الله تعالى حبيبه بدوام الذكر في كل الأوقات، وفي كل الحالات، وحذره من الغفلة.

فقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

ثالثًا: الغفلة عن الموت والمصير والآخرة وأهوالها، والله تعالى يقول لحبيبه ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم: ٣٩].

وهذه آية تذكره بالغفلة عن الموت.. ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق: ١٩ - ٢٢].

فاحذر أيها المسلم من الغفلة..

أيا عبد كم يراك الله عاصيًا ... حريصًا على الدنيا وللموت ناسيًا

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى ... ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصيا

لو أن المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تجرد عريانًا ولو كان كاسيًا

ولو أن الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حيًا وباقيًا

ولكنها تفنى ويفنى نعيمها ... وتبقى الذنوب والمعاصي كما هيا

واحذروا غفلة التسويف.. فهو مرض يصيب القلوب، فكلما همت نفس الإنسان بالتوبة، أو بفعل الخير، تعوقه سوف، فلا يزال على ذلك حتى يأتيه الموت.. فيقول: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فيأتيه الجواب من الله الكبير المتعال: ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

فالتسويف بضاعة كل نفس خسيسة، ليس لها همة.. وصدق من قال:

وانتبه من رقدة الغفلة فالعمر قليل
واطرح سوف وحتى فهما داء دخيل

يقول النبي المصطفى ﷺ عن رب العزة والجلال: «قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِى، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1].

ويقول ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي»[2].

أو كما قال.. «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. إله الأولين والآخرين، ورب العالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله.

اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٥٤٠)، و«صحيح الجامع» (٤٣٣٨).

(٢) صحيح: رواه مالك في «الموطأ» ، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٨٦)، وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٢٩٣٧).

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

بقي أن نتحدث عن علاج هذا المرض الخطير، وهذا الداء المهلك.. داء الغفلة.

فما هو العلاج؟

أول علاج لهذا الداء: تذكر الموت والآخرة.. قال ﷺ: «**أَكْثِرُو ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»[1]. تذكر الموت يقطع على صاحبه التفكير في دنياه، وفي شهواتها ولذاتها الباطلة.. فيحدث للإنسان انزعاج للقلب.. وينفتح في هذا القلب عين يرى بها إنعام الله عليه، وكرمه وإحسانه.. ويرى حقيقة الدنيا وحقارتها ويرى بها ويشاهد أهوال يوم القيامة من البعث والنشور.

يا نفس قد أزف الرحيل	وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس	لا يلعبن بك الأمد الطويل
فلتنزلن بمنزل	ينسى الخليل فيه الخليل
وليركبن عليك فيه	من الثرى ثقل ثقيل
قرن الفناء بنا جميعًا	فلا يبقى العزيز ولا الذليل

فالعاقل اللبيب هو الذي يعرف حقيقة الدنيا، ويجعلها مزرعة للآخرة، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار نعيم لمن فهم عنها، فهي مهبط وحي الله، وفيها مصلى أنبيائه، وهي متجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة وكسبوا الجنة.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٢٠١).

إن لله عـــــــــبادًا فطـــــــــنًا	طلقـــوا الدنـــيا وخافـــوا الفتـــنا
نظـــــروا فـــيها فلـــما علمـــوا	أنهـــا ليـــست لحـــيٍّ وطـــنًا
جعلـــــوها لجـــــة واتخـــــذوا	صـــالح الأعـــمال فـــيها ســـفنًا

فهي مزرعة الآخرة، وكل ذم وارد في كتاب الله أو في سنة نبيه في حق الدنيا، فهو غير منصب على زمانها أو مكانها، أو ما فيها من خيرات ونعيم، فزمانها هو الليل والنهار، وقد جعله الله خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا.. ومكانها هو الأرض وما فيها من سماء وأشجار وأنهار وكنوز وبحار.. إنما هي نعم الله ﷻ على عباده.. ولكن الذم المنصب على كل ما يرتكب فيها من معاصي لا ترضى الله.

ومن العلاج للغفلة: البكاء بدمع الندم على ما فرط في جنب الله.. حينها يأتيك صوت الغفور الرحيم: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

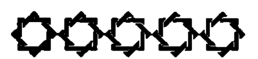
دمعة من عين القلب في جوف الليل.. بعدها يكون لك قلب جديد، وعين جديدة وأذن جديدة.. قلب يفقه، وعين تبصر.. وأذن تسمع.

اللهمَّ اجعلنا ممن تعرف عليك في حال الرخاء، فتعرفت عليه في حال الشدة.

اللهمَّ ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر، والطف بنا فيما جرت به المقادير يا ذا الجلال والإكرام.

اللهمَّ اجعلنا من عبادك المقبولين الذين رضيت عنهم ورضوا عنك.. اللهمَّ بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.. اللهمَّ بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحيانا ما كانت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا إذا كانت الوفاة خيرًا لنا.

اللهمَّ إنا نسألك القصد في الغنى والفقر، ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين.. وأستغفر الله لي ولكم.. وأقم الصلاة.



الخطبة الثانية عشرة بعد المائة

التحذير من الظلم وأنواعه

الحمد لله.. حذر من الظلم وحرمه على نفسه، وجعله بيننا محرمًا، فقال في حديثه القدسي الجليل: «يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي: كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي، أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي: كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي: كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّـهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله.. الملك الحق المبين.. خالق السموات العلى، ومنشئ الأراضين والثرى، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى بعثه الله بالنور المضيء.. والأمر المرضي، فدفع به الطغيان، وأظهر به الإيمان، ورفع دينه على سائر الأديان.

---

(١) رواه مسلم.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليه ما دار في السماء فلك، وما سبح في الملكوت ملك وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، صلاة تفتح لنا بها يا ربنا أبواب الخير والتيسير، وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليًا ونصيرًا فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.. ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝** ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]..

ما زال لقاؤنا موصولاً **مع أناس لا يحبهم الله.**

وقد تحدثنا في اللقاء الماضي عن تحذير الإسلام من الظلم، وبينا عقوبة الظالمين في الدنيا والآخرة، واليوم نكمل الحديث عن هذه الفرقة، وسيدور حديثنا عن العناصر التالية:

- **أنواع الظلم.**
- **عظات وعبر عن الظلم والظالمين.**
- **دعوة إلى كل ظالم للتوبة.**

والله نسأل أن يجنبنا موارد الظالمين، وأن يحشرنا مع عبادة الأبرار المتقين لأنه لا فلاح مع الظلم، ولا بقاء للظالم، ولا استقرار للمعتدي مهما طال الزمان ومهما بلغ به الشأن.. قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال: ﴿ **فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝** ﴾ [الحج: ٤٥].

أيها الموحدون...

ما هي أنواع الظلم؟

الظلم أنواع ثلاثة:

النوع الأول: ظلم الإنسان لربه، وذلك بكفره بالله ﷻ، قال تعالى: ﴿ **وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ويكون بالشرك في عبادته، وذلك بصرف بعض عبادته لغيره سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣].

فمن مات على الشرك بالله، خلده الله في النار أبدًا كما قال الله ﷻ: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة: ٧٢].

وكان ظلم الشرك غير مغفور لمن مات عليه من غير توبة، لأجل مضادة الله رب العالمين في الغاية والحكمة من خلق الكون لعبادة الله تعالى، ولأن الشرك تنقص لعظمة الخالق ولقدره جل جلاله.. كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾** ﴾ [الزمر: ٦٧].

وأي ظلم أعظم من أن يجعل الإنسان لرب العالمين جل في علاه ندًا يعبده من دون الله الذي خلقه؟

وأي ذنب أكبر من أن يتخذ الإنسان مخلوقًا إلهًا من الصالحين أو من غيرهم يدعوه من دون الله، أو يرجوه، أو يستغيث به، أو يخافه كخوف الله، أو يستعين به، أو يتوكل عليه، أو يستعيذ به، أو يذبح له القربان، أو ينذر له، أو يسأله المدد والخير.. أي ذنب أعظم من هذا الشرك بالله؟

قال الله تعالى: ﴿ ۞ **وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم**

مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل: ٥١ - ٥٤].

وعن جابر رضي الله عنه، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ قَالَ: «**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّـهِ شَيْئاً دَخَلَ الْـجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّـهِ دَخَلَ النَّارَ**»(١).

النوع الثاني: ظلم الإنسان نفسه، وذلك باتباع الشهوات، وإهمال الواجبات، وتلويث نفسه بآثار أنواع الذنوب والجرائم والسيئات، من معاصي الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣].

النوع الثالث: ظلم الإنسان لغيره من عباد الله ومخلوقاته، وذلك بأكل أموال الناس بالباطل.. وغير ذلك.

فهذا زوج يظلم زوجته ولا يبالي.. وذاك أب لا يلقي بالاً للظلم الذي يوقعه على بعض أبنائه.. وثالث يظلم أمه لكي يرضي زوجته.. وتاجر يظلم من استأمنه على ماله.. وصاحب عقار، يظلم من يتعامل معه.. وكبير يظلم من هو دونه.. ومسئول يظلم مرؤوسه.

وهناك صور كثيرة لظلم الإنسان غيره.. فلو غصبت أرضًا ليست ملكًا لك فقد ظلمت غيرك.. قال ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ أَرْضٍ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**»(٢).

وإذا ماطلت من له حق عليك، فقد ظلمت.. قال ﷺ: «**مَطْلُ الْـغَنِيِّ ظُلْمٌ**». إن منعت أجر أجير، فقد ظلمته، حينئذ يكون الله عز وجل خصيمك.

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة.

قال ﷺ: «قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ... وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»(١).

وأذكر قصة ذكرها أحد المشايخ، وقد حدثت بإحدى الدول العربية: كان رجل يعمل عند كفيله، فلم يعطه راتب الشهر الأول، ثم جاء الشهر الثاني، فلم يعطه، ثم جاء الشهر الثالث فلم يعطه راتبه، وهو يتردد إليه، ويلح، ويشكو أنه في حاجة إلى المال، لأن له ولدان وزوجة، وأبناء في بلده، وأنهم في حاجة ماسة، فلم يستجب له، وكأنَّ في أذنيه وقرًا.

فقال له المظلوم: حسبي الله، ونعم الوكيل، بيني وبينك الله، وسوف أدعو عليك. فقال له الظالم: اذهب وادعو عليَّ عند الكعبة.

انظروا هذه الجرأة.. وشتمه وطرده، واستجاب المظلوم لرغبته، ودعا عليه عند الكعبة - بتحري أوقات الإجابة - على حسب طلبه.. وتمر الأيام.. ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ومرت الأيام، وإذا بالكفيل يمرض مرضًا شديدًا، حتى أنه لم يكن يستطيع تحريك جسده، وانصب عليه الألم صبًا حتى نقل إلى إحدى المستشفيات فترة من الزمن، فعلم المظلوم بما حدث له، فذهب يعوده مع الناس، فلما رآه، قال له: ادعوت عليَّ؟ قال له: نعم وفي نفس المكان، الذي طلبت مني، فنادى على ابنه، وقال له: اعطه جميع حقوقه، وطلب منه أن يسامحه، وأن يدعو له بالشفاء.

أيها المسلمون عباد الله...

شهادة الزور ظلم، وعدم العدل بين الأبناء ظلم، والسرقة ظلم، وأكل صداق الزوجة بلا رضاها ظلم.. وأذية المؤمنين والمؤمنات ظلم، والغش ظلم.. وكتمان الشهادة ظلم، وخداع المؤمن ظلم، والسكوت عن قول الحق ظلم،

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة وابن ماجه.

والنميمة ظلم.. والغيبة ظلم، وعدم الحكم بما أنزل الله ظلم.. ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٥].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة، له دواوين ثلاثة:

١- ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك بالله، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

٢ - وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله عز وجل يستوفيه كله.

٣ - وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين الله عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين، وأسرعها محوًا، فإنه يمحي بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحو ذلك.

بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يمحي إلا بالتوحيد.. وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها، واستحلالهم منها.

وتأملوا أيها الأحباب هذا الحديث، الذي يرويه لنا الإمام الحاكم في مستدركه من حديث أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «**رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربِّ العزة، فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب، فكيف تصنع بأخيك، ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب، فليحمل من أوزاري.**

قال: وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء، ثم قال: إنَّ ذلك اليوم عظيم، يحتاج الناس أن يُحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك، فانظر في الجنان، فرفع رأسه، فقال: يا ربّ، أرى مدائن من ذهب وقصورًا من ذهب، مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: لمن أعطى الثمن، قال: يا رب، ومن ملك ذلك؟

قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب، فإني قد عفوت عنه.. فقال الله ﷻ: فخذ بيد أخيك، فأدخله الجنة..» (١) .

أيها المسلمون عباد الله...

الظلم نار فلا تحقر صغيرته ... لعل جذوة نار أحرقت بلدًا

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الله ﷻ يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة، وإن كانت مؤمنة.

أيها المظلوم صبرًا لا تهن ... إن عين الله يقظى فلا تنام

نم قرير العين واهنأ خاطرًا ... فعدل الله دائم بين الأنام

وإن أمهل الله يومًا ظالمًا ... فإن أخذه أليم ذي انتقام

ثانيًا: عظات وعبر:

وفيما حدث للظالمين في كل عصر من العصور عبرة وموعظة، فهذا وهب بن منبه رحمه الله يقص علينا قصة جبار من الجبابرة الظلمة يقول: بنى جبار من الجبابرة قصرًا وشيده، فجاءت عجوز فقيرة، فبنت إلى جانبه كوخًا تأوى إليه، فركب الجبار الظالم يومًا، وطاف حول القصر، فرأى الكوخ، فقال: لمن هذا؟ فقيل: لامرأة فقيرة، تأوي إليه، فأمر به فهُدم، فجاءت العجوز فرآته مهدومًا، فقالت: من هدمه؟ فقيل: الملك رآه، فهدمه، فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت: يا رب، كنت غائبة أبحث عن رزقي كما أمرتني، فأين كنت أنت يا الله.

قال: فأمر الله جبريل عليه السلام أن يقلب القصر على من فيه.

أرأيتم كيف انتقم الله ﷻ من هذا الظالم المعتدي؟!

وقال العلامة الذهبي رحمه الله: رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف، وهو ينادي:

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠/ ١٣٠) رقم (٨٨٦٩)، وفي إسناده ضعف.

من رآني فلا يظلمن أحدًا، فقدمت إليه، فقلت له: يا أخي، ما قصتك؟ قال: يا أخي، قصة عجيبة، وذلك أني كنت من أعوان الظلمة، فرأيت يومًا صيادًا قد اصطاد سمكة كبيرة، فأعجبتني، فجئت إليه، فقلت: أعطني هذه السمكة، قال: لا أعطيكها، أنا آخذ بثمنها قوتًا لعيالي فضربته، وأخذتها منه قهرًا، ومضيت بها.

قال: وبينما أنا أمشي بها حاملها إذا عضت عليَّ إبهامي عضة قوية، فلما جئت بها إلى بيتي وألقيتها من يدي، ضربت عليَّ إبهامي وآلمتني ألمًا شديدًا، حتى لم أنم من شدة الألم، حتى ورمت يدي، فلما أصبحت أتيت الطبيب، فشكوت إليه الألم فقال: هذه بدء الأكلة، اقطعها، وإلا تقطع يدك، فقطعت إبهامي، ثم ضربت عليّ يدي، فلم أطق النوم، ولا القرار من شدة الألم، فقيل لي: اقطع كفك، فقطعته وانتشر الألم إلى الساعد، وآلمني ألمًا شديدًا، ولم أطق القرار، وجعلت أستغيث من شدة الألم، فقيل لي: اقطعها إلى المرفق، فقطعتها، فانتشر إلى العضد، وضربت عليَّ عضدي أشد من الألم الأول، فقيل: اقطع يدك من كتفك، وإلا سري السم إلى جسدك كله، فقطعتها.

فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة، فقال له: لو كنت رجعت في أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة، واستحللت منه وأرضيته، لما قطعت من أعضائك عضوًا، فاذهب الآن إليه، واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك.

قال: فلم أزل أطلبه، حتى وجدته، وقلت له: سألتك بالله أن تعفو عني، فقال لي: ومن أنت؟ فقلت له: أنا الذي أخذت منك السمكة غصبًا، وذكر ما جرى لي، وأريته يدي، فبكى حين رآها، ثم قال: يا أخي قد أحللتك منها، لما رأيته بك من البلاء.

فقلت له: بالله هل دعوت عليَّ حين أخذتها منك؟ قال: نعم، فقلت له: فماذا

قلت: فقلت: اللهمَّ إن هذا تقوى عليَّ بقوته على ضعفي، فأرني فيه قوتك يا قوي يا جبار.

فقلت له: قد أراك الله قدرته فيَّ، وأنا أتوب إلى الله عما كنت عليه من خدمة الظلمة، ولا عدت أقف لهم على باب.

فاعتبروا يا أولي الأبصار.. اعتبروا يا أولي الألباب.

الحقوق ضربان: حق الله تعالى، وحق العباد.

حق الله تعالى مبنيٌّ على المسامحة، وحق العباد مبني على المشاحنة، فمن كان له عند أخيه مظلمة، فليتحللها منه اليوم.

ذكر بعض السلف رحمه الله أنه رأى رجلاً ممن يخدم الظلمة بعد موته بمدة في حالة قبيحة، فقلت له: ما حالك؟

قال: شرُّ حالٍ، فقلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله.

قلت: فما حال الظلمة عندك؟

قال: شر حال، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿ **وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

عباد الله...

البر لا يبلي، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت، كما تدين تدان.. و«**التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**».. ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله.. من استعان به أعانه، ومن استعان به أعاذه.. ومن لجأ إلى حماه، وقاه وكفاه.. أحمده وأستعينه وأستهديه، وأتوب إليه وأستغفره لا أحصي ثناء عليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. شرعه نور، وهداه هنأة وسرور لا ملجأ منه إلا إليه، ولا مفر ولا مهرب منه إلا إليه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله.. أوتي الرحمة، فكان الرحمة المهداة والنعمة المسداة.. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون.. أحباب المصطفى ﷺ...

دعوة إلى كل ظالم ليتوب إلى الله ﷻ.. ينبغي على كل مسلم أن يتبصر في أفعاله وأحواله، وأن يحاسب نفسه، فيتوب إلى الله تعالى توبة نصوحًا من كل المعاصي وأن يرد المظالم إلى أهلها.

فالويل لأهل الظلم من ثقل الأوزار، وذكرهم بالقبائح قد ملأ الأقطار، يكفيهم أنهم قد وسموا بالأشرار، ذهبت لذاتهم بما ظلموا وبقي العار، وداروا إلى دار العقاب، وملك الغير الدار، وخلوا بالعذاب في بطون تلك الأحجار، فلا مغيث ولا أنيس، ولا رفيق، ولا جار.. ولا راحة لهم ولا قرار.

أما علموا أنَّ الله جار المظلوم ممن جار، فإذا قاموا في القيامة، زاد البلاء على المقدار لا يغرنك صفاء عيشهم كل الأخير أقدار.

ومع ذلك إن تابوا وعادوا، فإن الله هو العلي الغفار..

أما والله لو علم الأنام … لِمَا خلقوا ولما هجعوا وناموا

لقد خلقوا لأمر لو رأيته … عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات ثم قبر ثم حشر … وتوبيخ وأهوال عظامُ

يا مبادرًا بالخطايا ما أجهلك؟ إلى متى تغتر بالذي أمهلك؟ كأنه قد أهملك؟ أين أصحاب الأموال؟ أين طويل الأمل؟

أما خلا وحده في لحده بالعمل؟

أين من تنعم في قصره، فكأنه في الدنيا ما كان، وفي قبره لم يزل؟!

أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول؟

يا قليل الزاد والطريق بعيد، يا مقبلاً على ما يضر تاركًا لما يفيد، أتراك يخفى عليك الأمر الرشيد.. إلى متى تضيع الزمان، وهو يحصي برقيب عتيد!!.

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات.

اللهمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.. يا رب العالمين.

اللهمَّ إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك، اللهمَّ إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، ونعوذ بك من السلب بعد العطاء، ونعوذ بك من عضال الداء.

اللهمَّ اجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين، واكتبنا في ظل عرشك من المستظلين واحشرنا في زمرة سيد المرسلين.

اللهمَّ ثقل موازيننا بالحسنات، ووفقنا فيما هو آت.. يا رفيع الدرجات.. يا فاطر الأرض والسموات.. يا بديع الكائنات.. يا عظيم البركات.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وأستغفر الله لي ولكم، وأقم الصلاة.

الخطبة الثالثة عشرة بعد المائة

التقليد وأضراره

الحمد لله.. الواحد الأحد.. المتفرد بالتوحيد والتمجيد، ليس له مثل ولا نديد.. هو المبدئ المعيد.. الفعّال لما يريد.. جل عن اتخاذ الصاحبة والولد.. ولم يكن له كفوًا أحد.. سبق الأشياء علمه.. ونفذت فيها إرادته ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض. سبحانه وبحمده.. هو الواحد القهار، مغشي الليل النهار، خضع لعظمته المتعززون المتكبرون.. وخشع له المترفعون، واستكان لربوبيته المتعظمون، ودان له الخلق أجمعون.

نحمده كما حمد نفسه، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه، ونستعينه استعانة من فوض أمره إليه، وأقر أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له.. له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.. شهادة عبد وابن عبده، وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته.. إقرارًا بوحدانيته، وإخلاصًا لربوبيته فهو العالم بما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار.. لا تغيب عنه غائبة.. ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.. وأمينه على وحيه، أشرف من وطئ الحصى بنعله بلغ عن ربه رسالاته، ونصح له في برياته، وجاهد في الله حق جهاده وقاتل أهل البغي والفساد، حتى تمت كلمة الله، وقطع دابر الفساد.. اللهمَّ صلِّ عليه وعلى أصحابه الصالحين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنات، ومن سار على نهجهم.. واقتدى بهديهم إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم أن نلقى الله رب العالمين.

أما بعد...

معشر الأحبة الكرام...

في بداية هذا اللقاء المبارك أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في الدنيا على طاعته ومحبته، أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته مع سيد الأولين والآخرين، وشفيع المذنبين يوم الدين سيدنا المصطفى ﷺ وأوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ، فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد: ٢٨].

بتقوى الله ينشرح الصدر، بتقوى الله يهتدي الضال، وينشرح البال إي وربي، إنه لحق.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

أيها المسلمون.. عباد الله...

وحديثنا اليوم عن مرض آخر من أمراض هذه الأمة، إنه مرض العصر وهو من أخطر الأمراض على الشباب والشابات.. والأبناء والبنات إنه مرض «التقليد الأعمى».

فما هو التقليد؟ وبم ميز الله ﷻ البشرية؟ التقليد للآباء والأجداد من صفات الجاهلية.. وما أثر التقليد على الفرد والمجتمع؟ كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله تعالى.

التقليد هو المحاكاة والمماثلة دون معرفة، ودون استخدام للعقل البشري، الذي ميزنا الله ﷻ به على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وسر هذا التكريم، ومنبع هذا التفضيل للبشرية، هو ما حباهم الله تعالى به من العقول والألباب التي يدركون بها الضار من النافع، ويميزون الحق من الباطل.

فالعقل هو أفضل موهبة وهبها الله ﷻ لعباده.. وقد أحسن القائل:

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

والإسلام قد حرر عقول البشرية من العادات التي ألفتها نفوسهم، وهي مخالفة للحق، وسد كل الأبواب والطرق التي تؤدي إلى تشويه صفاء التوحيد والعقيدة، فأمرهم بالتفكر في ملكوت السموات والأرض، والنظر في عجائب صنع الله تعالى، والبحث عن الحق أينما وجد.

أيها المسلمون.. عباد الله...

وقد حذرنا الإسلام ونهانا عن التقليد الذي يؤدي إلى رد الحق ورفضه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾** ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾** ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وفي موضع آخر: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾** ﴾ [لقمان: ٢١].

ولما سئل الكفار والمشركون الذين يعبدون التماثيل والحجارة عن سر عبادتهم لها، ماذا كان جوابهم؟ ﴿ **مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾** ﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣].

فيتضح من هذه الآيات الكريمة أن دين الجاهلية مبني على قواعد وأصول جاهلية، أعظمها التقليد والمحاكاة، وبسبب هذا التقليد فهم لا يحكمون لهم رأيًا،

ولا يعملون لهم عقلاً، ولا يشغلون لهم فكرًا في البحث عن الحق والهدى لذلك تاهوا في أودية جاهليتهم.

تأملوا - أيها الأحبة - سوء مداركهم، وجمود قرائحهم، وضعف عقولهم، حتى وإن زعموا أنهم أصحاب العقول السليمة، والألباب المدركة القوية، وإلا فتلك العقول السليمة، والألباب المدركة تأنف من اتباع ما لا فائدة فيه، وتتلاشى ما لم تتيقن صوابه.

ولا يغيب عنا قصة الرسول المصطفى ﷺ مع عمه أبي طالب، فعن سعيد ابن المسيب رحمه الله عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أمية وأبو جهل بن هشام، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**». فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فكان آخر الأمر أن قال: هو على ملة عبد المطلب. وأبي أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال النبي ﷺ: «**وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**». فأنزل الله ﷻ: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ** ﴾ [التوبة: ١١٣]»[(١)].

وروى مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما حضرت وفاة أبي طالب، أتاه رسول الله ﷺ فقال له: «**يا عماه، قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة**». فقال: لو لا أن تعيرني قريش، يقولون: ما حمله عليه إلا فزع الموت، لأقررت بها عينك، ولا أقولها إلا لأقر بها عينك، فأنزل الله: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ [القصص: ٥٦]»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري وأحمد.

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي.

وفي رواية أنه أبي أن يقولها، وقال: هو على ملة الأشياخ.. كل ذلك عصبية للأسلاف، واتباع التقاليد والعادات الباطلة.. فما شربت الخمر، ولا ظهرت البغايا، ولا ظهر وأد البنات، وقتل الأبناء خشية الفقر والعار، ولا ظهرت العصبية القبلية إلا علامة بارزة، وسمة واضحة لذلك التقليد المعوج، وهي حجتهم التي يتعللون بها.. ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

أيها المسلمون.. أتباع رسول الله ﷺ...

ولنعلم بعد ذلك أنه ما من معصية ترتكب، ولا سيئة تجترح إلا وسببها التقليد المذموم، وسيدهم في ذلك هو الشيطان الرجيم اللعين.. فهو المسول لهم أن يرتكبوا المعاصي، ويقعوا في السيئات.

وقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره لقصة اقتتال ابني آدم: «أنَّ قابيل لما أراد قتل أخيه هابيل جعل يلوي عنقه لا يعرف كيف يقتله، فأخذ الشيطان دابة، ووضع رأسها على حجر، ثم أخذ حجرًا آخر، فضرب به رأسها حتي قتلها، وابن آدم ينظر إليه، ففعل بأخيه مثل ذلك فقتله فأصبح من الخاسرين»(١).

إنّ التقليد الأعمى للأشخاص مع توافر آلة الفهم والعلم ووسائله مخالف للأدب مع دين الله تعالى ومع رسوله ﷺ الذي أمرنا الله عز وجل بطاعته واتباعه، ومن أشر أنواع التقليد ما بلغ ببعض الناس من أن يقلد غيره في ارتكاب المعصية والجريمة، ويفتخر بذلك، ويجاهر بفعلها بدعوى أنها منتشرة وموجودة في بلاد الغرب، والله عز وجل يقول: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨].

---

(١) ذكره ابن جرير الطبري في «تفسيره».

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنّ الكفار إذا فعلوا فاحشة، استدلوا على أنها حق وصواب، بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها، وأنهم ما فعلوها إلا لأنها صواب ورشد(١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْـمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّـهُ، فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْـبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّـهِ عَنْهُ**»(٢).

فنجد بعض أهل الفسق والمعاصي يجاهرون بمعاصيهم ليقلدهم أصحابهم ومعارفهم في ذلك، وهذا واقع في جرم عظيم، وداع إلى شر كبير، وهو نوع من حب شيوع الفاحشة وذيوعها في المجتمعات، والله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾** ﴾ [النور: ١٩].

وما أكثر الذين يرتكبون المحرمات بحجة أن غيرهم يفعلونها، فهناك من يتعامل بالربا مثلاً، لأن فلانًا من الناس يفعله، ويقول: لو كان محرمًا لم يفعله فلان، وضرب بالأدلة من الكتاب والسنة عرض الحائط، وقدم التقليد عليهما.

وبعض الناس يستمع إلى آلات اللهو والطرب، وقد أدخلها إلى بيته بحجة أن فلانًا من الناس قد أدخلها.

ومن جد وجد، ومن سهر ليس كمن رقد، والفضائل تحتاج لوثبة أسد، فرجل الإيمان لا يسبح في البر، ولا يحرث في البحر، ولا يبذر في الصخر، لا ينسج خيوطًا من الخيال، ولا يبني قصورًا في الرمال، بل يعرف أهدافه وغاياته، وحدود

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٢/ ٩٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

قدراته وإمكاناته، فهل نحن كذلك؟ فقد أثبت الكثير منا نجاحه في رمضان، فهل عرفت أخي وجهتك، وجهزت عدتك، واخترت رفقتك؟ فأنت من عماد الأمة، وعماد الأمة بعقولهم وأعمالهم، وجدهم ونشاطهم، وليس بمظاهرهم وأشكالهم فقط، فما كل من حَسُن منظره حسن مخبره فيا من لبست الجديد صارح نفسك لا تحيد، كم تبذل للباس الجسد، وكم تبذل للباس العقل والفكر، أتفخر بلباسك؟!

أتغتر بهندامك، يا هذا! أفضل الملبوس: الحرير، وهو صنع دودة! فبم تفتخر؟ أفق من سكرتك، واعتنِ بنفسك وثقافتك؟! أتحسب الحياة فقط لباس وموضات، ومائدة طعام وشهوات؟ هيهات هيهات!! ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

فتنبه أخي فأنت بعقلك، وعقلك بعلمك، فكن عاقلاً، واكس نفسك بحلية العلم والأدب والرجولة.

دخل أعرابي رث الهيئة في عباءة خَلقة على معاوية، فأخذ ينظر إلى عباءته، فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين! إن العباءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها.

فالتجمل والتطيب ولبس النظيف مشروع ولكن هناك من تشرئب إليه الأعناق إلا أنه خائر بائر لا خير فيه، وإن لبس أحسن الثياب، ونافس بزينته الشباب! ألست تقرأ في القرآن: ﴿ **يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ** ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى تقلب عُريانًا وإن كان كاسيًا

أحبتي في الله...

هل يعرف أبناؤنا وبناتنا الحلال والحرام من اللباس؟ فإن فئة من أبناء المسلمين وبناتهم هم عرايا الجسد والنفس معًا؟ فلا لباس التقوى ولا العلم، ولا لباس السوءة الشرعي، لكن ملابس خليعة، وذبح صارخ للفضيلة، تعرضه

وسائل نشر كثيرة، تدفع إلى الإثم دفعًا، وتدُعُّ إلى الفاحشة دعّا؟ مقياسها: ملابس مؤنقة، وعطور منعشة، وقصات ورقصات.

قيمة المرء عندهم بين ثوب باهر لونه وبين حذاء

فلا تغرنكم المظاهر، وابلُ الرجال بالأعمال، وإنما تُنصر الأمة بضعفائها بصلاتهم ودعائهم، فأفٍّ لنفوس لا تعتني إلا بالظاهر!! وإنما ذكرت اللباس كمثال على تربية شباب الأمة بل الأمة كلها على الاهتمام بالمظهر دون المخبر، وإن ما يزيد الألم والحسرة عندما ترى كثيرًا من شباب الأمة وقد ذابت شخصية بعضهم في تقليد أعمى وانسياق بهيمي، فتعجب من أمر ذاك الشاب كرمه الله بالإسلام وأعزه بهدي سيد الأنام، ثم يقلد الغرب في انحلاله وميوعته وشهواته ورذائله، تراه ربي شعره أو إطالته بشكل معين وربطه»!! وهو ما يسمى عند هؤلاء المراهقين بـ (بالكدش)، وقد ملأه بالجل وهي مادة تثبت له شعره لها لمعان، وما تبع ذلك من تسريحات متنوعات لشعور بل والأذقان، فإذا أتاه النصح ممن يحب له الخير تجده يلهج بقوله: أنا أقتدي بالرسول في ذلك، فيا لله! ما أعظم قوله هذا وأشنَعَه، فنقول له: بل أنت متّبع لهواك وضلالك، تأخذ ما تمليه عليك نفسك، فلو كنت كما زعمت لاقتديت به في جميع شأنك، فاتبعته في ملبسه ومظهره وعبادته، وطبقت سنته لا في ما يمليه عليك عقلك وهواك ومن هذه الملابس المحرمة تلكم البناطيل التي تفنّن الأعداء في إظهار العورة بها مما يسمى (طيحني) ونحوها من الأسماء الساقطة..

فأظهر بعض عورته أو أظهر سروالًا من تحت ذلك البنطال، قد بدت منه مختلف الألوان، فيا للهوان! طاح البنطال فطاحت معه الرجولة، فأين الرجال؟! تراه مرتديًا قميصًا عليه عبارات باللغة الإنجليزية تدعو إلى العهر والفساد دون معرفة منه لمضمون تلك الكلمات، تراه قد لبس السلاسل والأساور في الأيدي والأعناق.

وكل هذا مصداق لقوله ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ الْـيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟!**»[١].

قلدوا الكفار وتشبهوا بهم بدعوى الحضارة، فتراهم في ترف وميوعة وغرام وآهات وأغان تسبح بك في غياهب الظلمات، ساروا خلف من اعتدوا على كتاب رب السموات وطعنوا في عرض نبيّ الأمة عليه أفضل الصلوات بدعوى الحريات لعنهم الله وشلّ أركانهم وأرانا فيهم العبر والآيات، فهل يعد من كان هذا دأبه من الرجال؟! لا والله، فهذا كله لا يليق بالرجال، الرجال تجد فيهم الخشونة، فلا حظَّ لهم في الميوعة لأنهم علموا أن الميوعة للنساء، وقد وعدوا ما رويَ عن نبيّ الهدى: «**تَمَعْدَدُوا، وَاخْشَوْشِنُوا، وَامْشُوا حُفَاةً**»[٢]. أو كما قال ﷺ.

فانعدمت في هؤلاء الذين انساقوا وراء الغرب الكافر معالم الذكورة وصفات الرجولة حتى أصبحتَ لا تفرق بينهم وبين النساء، فهذا والله من أعجب العجب، وكما قيل:

ولا عجب أنّ النساء ترجّلت ... ولكن تأنيث الرجال عُجاب

وأين ذهب هؤلاء من الوعيد الشديد للمتشبهين من الرجال بالنساء وبالعكس؟! قال ﷺ: «**لَعَنَ الْـمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَلَعَنَ الْـمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**»[٣].

فمن يصبر على لعن الله سبحانه وتعالى؟! واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وغيرهم.
(٢) ضعيف: رواه الطبراني عن ابن أبي حدرد، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٤٨٢).
(٣) رواه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. الملك الحق المبين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. إله الأولين والآخرين.

وأشهد أن سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون. . عباد الله...

إنَّ مما ينبغي أن نعلمه أن التقليد في الأحكام الفقهية، كحال أتباع الأئمة الأربعة لا يخرج عن قسمين:

أحدهما: تقليد مباح، وهو أن يتبع المسلم العامي مذهبًا من المذاهب الأربعة، بل هو في الحقيقة يقلد أحد علماء المذهب الذي عاصره فإذا علم أن هذا العالم معروف بالتقوى، وخشية الله تعالى، واشتهر بين الناس بعلمه، فإن له أن يقلده.

ولكن ينبغي أن يعلم أن هذا التقليد للمذهب، ليس واجبًا عليه، بل إذا عرف عالمًا آخر أغزر علمًا، وأكثر ورعًا، فإن تقليده له أولى من تقليده لذاك، وهذا التقليد إنما هو لعجزه عن معرفة حكم الله مباشرة، لعدم أهليته.

ثانيهما: تقليد مذموم، وهو أن يعتقد المسلم أنه يجب عليه اتباع مذهب معين يتقيد به على كل أحواله، ولا يجوز له الخروج عنه، كما هو رأي أغلب المتمذهبين من أتباع الأئمة الأربعة، ولاسيما الغلاة منهم، حيث يقلدون في الصواب والخطأ على السواء دون الاجتهاد في معرفة الحكم بدليله الذي يرجحه.

ولذلك جاء ذم هؤلاء الأئمة الأعلام لمن يأخذ بأقوالهم بغير حجة، فقد روى

عن الإمام أبي حنيفة وصاحبه أبي يوسف أنهما قالا: لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا ؟[١].

وقال أبو حنيفة رحمه الله: هذا رأيي، وهذا أحسن ما رأيت، فمن جاء برأي خير منه قبلناه منه.. وقيل له رحمه الله: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي بكتاب الله، فقيل له: إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي بخبر رسول الله ﷺ فقيل له: إذا كان قول الصحابي يخالفه؟ فقال: اتركوا قولي بقول الصحابي، فرحم الله الإمام أبا حنيفة.

والإمام مالك يقول: إنما أنا بشر، أخطئ وأصيب، فانظروا في قولي، فكل ما خالف الكتاب والسنة، فاتركوه[٢].

وقال الشافعي رحمه الله: مثل طالب العلم بلا حجة، كحاطب ليل يحمل حزمة حطب، وفيها أفعى تلدغه، وهو لا يدري[٣].

وقال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهي قولي فاتقوا الله عباد الله... وتوبوا إليه.. واستغفروه، يغفر لكم.

اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهمَّ اجعل لنا من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ومن كل فتنة عصمة، ومن كل بلاء عافية.. اللهمَّ أنزل علينا رحمتك وعونك وتأييدك وعزك ونصرك يا رب العالمين.

اللهمَّ لا تفرق هذا الجمع في هذا اليوم إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، اللهمَّ اجعلنا لك طائعين، إليك تائبين، لك ذاكرين.. لك شاكرين، إليك أواهين

(١) «إعلام الموقعين» (٢/ ١٨٢) لابن قيم الجوزية.
(٢) «مجموع فتاوى» ابن تيمية (٢٠/ ٢١١).
(٣) «إعلام الموقعين» (٢/ ١٨١).

منيبين، تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، وثقل بالحسنات موازيننا، وبيض يوم العرض وجوهنا، ونجنا من النار، وأدخلنا الجنة بغير حساب.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]. اذكروا الله العظيم يذكركم، واستغفروه يغفر لكم. وأقم الصلاة.



الخطبة الرابعة عشرة بعد المائة

آفـــة الريـــاء

الحمد لله.. إلهي..

إلهـــي لا تعذبنـــي فـــإني مقـــر بالـــذي قـــد كـــان منـــي

ومـــالي حـــيلة إلا رجائـــي بعفـــوك إن عفـــوت وحـــسن ظنـــي

فكـــم مـــن زلـــة لي في الخطايـــا وأنـــت عَـــلَيَّ ذو فـــضل ومـــن

إذا فكـــرت في ندمـــي علـــيها عضـــضت أنـــاملي وقـــرعت ســـني

أجـــنُّ بزهـــرة الدنـــيا جـــنونًا واقطـــع طـــول عمـــري بالتمنـــي

يظـــن الـــناس بي خـــيرًا وإني لـــشر الـــناس إن لم تعـــف عنـــي

أحمدك وأستعينك وأستهديك، وأتوب إليك وأستغفرك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، جل وجهك، وعظم سلطانك.. ولا إله غيرك.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. ولا ند له.. ولا صاحبة له.. ولا ولد له.. ولا شبيه له.. ولا نصير له.. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.. لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها، جاءنا بكتاب كالشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، فمن سار في ضوء الكتاب والسنة،

سار في ضوء النهار إذا جلاها، ومن أعرض عنهما تخبط في ظلمة الليل إذا يغشاها، نعم قد أفلح من زكاها.. وقد خاب من دساها.. اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله، ما تعاقب الليل والنهار، وما غردت الأطيار، وأورقت الأشجار، وأينعت الثمار، ونزلت الأمطار، وعلى آله وأصحابه الأطهار، وعلى آل بيته الأبرار، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون أحباب رسول الله ﷺ...

طبتم جميعًا وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، الذي جمعنا في هذه الدنيا على طاعته، أن يجمعنا في الآخرة في جنته ودار كرامته مع حبيبنا المصطفى ﷺ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وفي بداية هذا اللقاء الإيماني المتجدد أوصيكم ونفسي بتقوى الله ﷻ فإنه قد فاز المتقون وسعدوا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أحبتي في الله...

لقاؤنا اليوم مع مرض من أمراض الأمة وهو من أخطر أمراضها إنه **الرياء**.

فما هو الرياء؟ وما صوره؟ وما خطره؟

هذه الأسئلة سوف نجيب عنها بمشيئة الله تعالى اعلموا - وفقني الله وإياكم للإخلاص في الأقوال والأعمال - إن الرياء مشتق من الرؤية كما أن السمعة مشتقة من السماع والاستماع، حيث يريد المرائي والمسمع أن يراه الناس ويسمعونه، فهو يطلب حظ نفسه من عمله في الدنيا، لينال الحظوة عند الناس، فأعماله لغير الله تعالى.

الرياء هو: الشرك الخفي، الذي هو أخطر على المسلمين من فتنة المسيح الدجال، يقول عليه الصلاة والسلام: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْـمَسِيحِ الدَّجَّالِ**». قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْـخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّى فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»[(١)].

وعن شداد بن أوس قال: «كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ من الشرك الأصغر»[(٢)].

إن خطورة الرياء، تكمن في تسمية الرسول ﷺ للرياء بأنه الشرك الأصغر والخفي ؛ لأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد به غيره، أو يشركه فيه بتزيين صلاته لأجله.

إن الرياء يفرغ العمل الصالح من آثاره الطيبة، فالمرائي حينما يؤدي الصلاة فإنما يؤديها بحركات فقط، فيتقنها ويزينها، لأن أعين الناس تنظر إليه، ولكن قلبه لم يعيها، ولم يستحضر حقيقتها، ولم يستشعر عظمة الله - جل وعلا - الذي هو بين يديه، ولذلك لم تترك الصلاة أثرها في قلبه وعمله فالرياء شر وبلاء يبطل

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٠٧)، و«تخريج المشكاة» (٥٣٣٣).

(٢) صحيح: رواه البيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣٥).

العمل ويصيره هباء منثورًا ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

واحذروا - عباد الله - من الرياء والسمعة فيما تقومون به من صالح الأعمال، فإن النبي ﷺ - قد حذر من ذلك غاية التحذير، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّـهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّـهُ بِهِ»[1].

كان أحد السلف قبل أن يتوب إلى الله يعمل بالربا يتعامل مع الناس بالربا فمر على صبيان يلعبون في الشارع قبل أن يتوب، فلما نظروا قالوا: أسرعوا، أسرعوا لقد جاء أبو فلان المرابي، فأوقفت هذه الكلمة هذا الرجل، وقال: يا رب، أفشيت سري حتى للصبيان، فعاهد الله من ساعتها أن يتوب إليه، وأن لا يتعامل بعد ذلك بالربا، وتاب إلى الله وأخلص التوبة والتضرع والبكاء، وقدر الله أن يمر بعد وقت قليل على نفس الصبيان وهم يلعبون، فلما رأوه قالوا: أفسحوا لقد جاء أبو فلان العابد.. فقال: يا رب، سبحانك تمدح مرة، وتذم مرة، وقلوب العباد كلها بيديك.

قال الإمام الخطابي رحمه الله: أي من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك، وقد قال بعض المفسرين على قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧]. كانوا قد عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات، بدت لهم يوم القيامة سيئات.

وقال الإمام سفيان الثوري رحمه الله على هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن جندب.

والرياء والسمعة يورثنا الذلة والصغار ويحرمان ثواب الآخرة قال - عليه الصلاة والسلام -: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللَّـهُ بِهِ مَسَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْـقِيَامَةِ، وَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ**»[١].

وقال الحق - جل وعلا -: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ** ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: للمرائي علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به.

وقال بعض السلف: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب.

أيها المسلمون عباد الله...

وضروب الرياء كثيرة، وشوائبه خطيرة، من ذلك أن يترك الإنسان المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح من مجاهدة النفس حيث يجد لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار فيظن أنه من المخلصين، ولكنه في الحقيقة من المنافقين المرائين، وهذه المكيدة العظيمة والداء الدفين لا يخلص من شراكه إلا من عرف ربه حق المعرفة فأحبه وعظمه وأحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فعسى أن يكون من المخلصين.

ومن ضروب الرياء: أن يريد الإنسان بعبادته وجه الله، فإذا اطلع عليه الناس، نشط في العبادة وزينها قال ﷺ: «**إياكم وشرك السرائر**» قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه**»[٢].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي عن عبد الله بن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» رقم (٢٥)، و«الصحيحة» رقم (٢٥٦٦).

(٢) حسن: رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، عن محمود بن لبيد، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» رقم (٣١).

ومن أحوال الرياء والسمعة ما يكون على البدن أو في اللباس أو القول أو العمل كإظهار النحول في الجسم والاصفرار في الوجه ليوهم من رآه بأنه قليل الأكل وأنه يجاهد نفسه في العبادة، وقد يرائي الإنسان بإطالة القيام في الصلاة وإظهار الهدوء في المشي وتنكيس الرأس وخفض الصوت ولبس الثياب الغليظة والملابس الخاصة ليعده الناس من الزهاد والعباد أو من العلماء.

وقد يكون الرياء عند أهل الدنيا، وذلك كأن يرائي الإنسان بإظهار السمن، وصفاء اللون وانتصاب القامة، وحسن الوجه، ونظافة البدن، والتشدق في القول، ليدل الناس على فصاحته، ويرائي بثيابه النفيسة الغالية، ومركبه الحسن، وأثاث بيته الفاخر، وغير ذلك مما يسبب له الاختيال والتبختر.

وليعلم الجميع، أن الرياء من صفات المنافقين، الذين قال الله عنهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٤٢].

المنافقون يراءون الناس في عبادتهم، وصلواتهم ونفقاتهم، ولا يذكرون الله إلا رياء وسمعة - والعياذ بالله - ولو لم يكن في الرياء إلا أنه من صفات المنافقين، لكان جدير بك أيها المسلم أن تحذره فكيف وهو محبط للعمل؟

المنافق يصلي؟ نعم صلى لكنه يصلي لغرض دنيوي حقير في نفسه، لذلك إذا نودي للصلاة، قام في كسل وتراخ، وكأنه كلف بحمل حمل ثقيل على كتفيه، هذا الخبيث المنافق..

تأتي للصلاة في فتور	وكأنك قد دعيت إلى البلاء
وإن أديتها جاءت بنقص	لما كان منك من شرك الرياء
وإن تخلو عن الإشراك فيها	تدبر للأمور بالارتقاء
ويا ليت التدبر في مباح	ولكن في المشقة والشقاء
وإن كنت المصلي يومًا بين خلقه	أطلت ركوعها بالانحناء

وتجعـــل خـــوف تأخـــير لـــشغل ... وكـــأن الـــشغل أولى مـــن لقـــاء

وإن كـــنت المجـــالس يـــومًا أنثـــى ... قطعـــت الـــوقت مـــن غـــير اكـــتفاء

أيـــا عـــبد لا يـــساوي الله معـــك ... أنثـــى تناجـــيه بحـــب أو صـــفاء

معشر الأحباب...

لأجل هذا كان السلف - رضوان الله عليهم - يخافون على أنفسهم من الرياء وهذا خالد بن معدان رحمه الله إذا عظمت حلقته من الطلاب، قام خوف الشهرة والرياء.

وهذا محمد بن المنكدر يقول: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت على طاعة الله.

وهذا أيوب السختياني كان يقوم الليل كله فإذا جاء الصباح رفع صوته كأنه قد استيقظ من حينه.

وكان رحمه الله إذا حدَّث بحديث النبي عليه السلام يشتدُّ عليه البكاء وهو في حلقته، فكان يشدُّ العمامة على عينه ويقول: ما أشدَّ الزكام.. ما أشدَّ الزكام.

وهذا عبد الواحد بن زيد يخبرنا بحديث عجيب حصل لأيوب وقد عاهده ألا يخبر إلا أن يموت أيوب - إذ لا رياء يومئذ - قال عبد الواحد: كنت مع أيوب فعطشنا عطشًا شديدًا حتى كدنا نهلك، فقال أيوب: تستر علي، قلت: نعم إلا أن تموت، قال: عبد الواحد فغمز أيوب برجله على حراء فتفجَّر منه الماء فشربت حتى رويت وحملت معي.

كانت بينهم وبين الله أسرار لو أقسم منهم على الله أحد لأبرَّه إلا لإخلاصهم وصدقهم مع الله تبارك وتعالى.

وقال أبو حازم: لا يحسن عبدٌ فيما بينه وبين ربه إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يعوِّر ما بينه وبين الله إلا أعوَّر الله ما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها.

هذا داود بن أبي هند يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله.. كان له دكان يأخذ طعامه في الصباح فيتصدق به، فإذا جاء الغذاء أخذ غذاءه فتصدق به، فإذا جاء العشاء تعشى مع أهله.

أربعين سنة وهم لا يدرون بصيامه.

وكان رحمه الله يقوم الليل أكثر من عشرين سنة، ولم تعلم به زوجته.

سبحان الله.. انظر كيف ربّوا أنفسهم على الإخلاص وحملوها على إخفاء الأعمال الصالحة؟ فهذه زوجته تضاجعه وينام معها، ومع ذلك يقوم عشرين سنة أو أكثر ولم تعلم به وبقيامه.

أي إخفاء للعمل كهذا! وأي إخلاص كهذا! وأي أسرار كانت بينهم وبين الله فأين بعض المسلمين اليوم! أين بعض المسلمين اليوم الذي يحدِّث جميع أعماله ولربما قام ليلة من الدهر لعلم به الأقارب والجيران والأصدقاء؟.

ولو تصدَّق بصدقة، أو أهدى هدية، أو تبرع بمال، أو عقار أو غير ذلك، لعلمت الأمة في شرقها وغبرها.

إني لأعجب من هؤلاء! أهم أكمل إيمانًا وأقوى إخلاصًا من هؤلاء السلف، بحيث إنَّ السلف يخفون أعمالهم، لضعف إيمانهم، وهؤلاء يظهرونها لكمال الإيمان؟ عجبًا ثم عجبًا.

إنهم لما أخفوا أعمالهم، أخفى الله لهم من الأجر ما الله به عليم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٧].

إنّ تربية النفس على مثل هذه الأعمال، لهو أبعد لها عن الرياء، وأكمل لها في الإخلاص.

وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله يضحك في النهار، حتى تدمع عينه، فإذا جاء الليل، قطعه بالبكاء والصلاة.

ومن خير الناس «بسَّام بالنهار بكّاءٌ في الليل».

أيها المسلمون...

إن من أسباب الرياء حب الجاه الذي هو ارتفاع المنزلة في قلوب الناس ومن غلب على قلبه حب هذا صار مقصور الهم على مراعاة الناس مشغوفًا بالتردد عليهم والمراءاة لهم، وذلك بذر النفاق وأصل الفساد، لأن من طلب المنزلة في قلوب العباد اضطر أن ينافقهم، ليتوصل إلى اقتناص قلوبهم، وهذا باب غامض يرجع إلى ثلاثة أصول: حب لذة الحمد، والفرار من الذم، والطمع فيما في أيدي الناس.

واعلموا أن الحرص على طلب الجاه، إما أن يكون من قبل الدنيا أو من قبل الدين، فإن كان من قبل الدنيا، كطلب الإمارة والرئاسة لإدارة ونحوها، فإنه يمنع خير الآخرة قال سبحانه: ﴿ **تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾** ﴾ [القصص: ٨٣].

وقل من يوفق من طلب ذلك، بل يوكله الله إلى نفسه، ولذا ترى كثيرًا من هؤلاء يحبون أن يحمدوا على أفعالهم ويثني عليهم بها وقد يطلبون من الناس ذلك، وقد يظهرون بعض الأمور الحسنة ليمدحوا عليها، وهو تزوير وتمويه.

لا يغرنكم تغلب المرائين في البلاد وتسلطهم على العباد، فإن ذل المعصية في قلوبهم ورقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

وأما إن كان طلب الجاه من قبل الدين كالعمل والعلم والزهد فالأمر خطير قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّـهِ، لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْـجَنَّةِ** -أي ريحها - **يَوْمَ الْـقِيَامَةِ**»[1].

وهذا كان أول الناس عذابًا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه، وهو من أشد

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٥٩)، وفي «مشكاة المصابيح» (٢٢٧).

الناس حسرة وندامة يوم القيامة، قال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْـقِيَامَةِ عَلَيْهِ - فذكر الحديث إلى أن قال-: وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْـعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْـقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْـعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْـقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْـعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْـقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(١).

أيها المسلمون.. أحباب رسول الله ﷺ..

اتقوا الله.. واعلموا أن الرياء محبط للأعمال، وسبب لمقت الله ﷻ وسخطه وجدير بالمسلم أن يعالج نفسه منه، وذلك بمعرفة حقيقة التوحيد التي تتضمن عظمة الله ﷻ فإذا علمت أن الله ﷻ وحده هو الذي يضر وينفع، متى شاء، طرحت من قلبك الخوف من ذم الناس، والطمع في ثنائهم.

قال النبي ﷺ لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(٢).

واعلموا بأن الخلق كل الخلق، لو اجتمعوا في موطن واحد بالثناء على أحد لم يقربوه من الله ﷻ إن كان بعيدًا عنه، ولو اجتمعوا بذمه لن يبعدوه عن الله إن كان قريبًا منه سبحانه.

واعلموا بأنه لا يجتمع رضا الله، ورضا الناس في آن واحد.. لأن المرائي يريد أن يرضى هذا، فيسخط هذا، ويريد أن يرضي هذا، فيسخط هذا.. هو مشتت

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي وأحمد والحاكم عن ابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

القلب.. لا يمكن لأحد من البشر على وجه الأرض أن يرضي جميع الناس.. ولو تمكن أحد من ذلك، لكان رسول الله ﷺ أولى به.. لكن لم يستطع.. فمنهم من كفر به، ومنهم من سبه وشتمه، ومنهم من قذفه بالحجارة، ومنهم من حاول قتله.. وهو سيد الأولين والآخرين وشفيع المذنبين يوم الدين.

فالمرائي مشتت القلب، لأنه حريص على إرضاء البشر.. ولن يرضوا عنه، إلا إذا رضي عنه رب العالمين جل في علاه.. ورضا الناس غاية لا تدرك اسمعوا إلى قول من قال:

والله لو صحب الإنسان جبريل ... لم يسلم المرء من قال ومن قيل
قد قيل في الله أقوال مصنفة ... تتلى إذا رتل القرآن ترتيلاً
قد قيل: إن له ولدًا وصاحبة ... زورًا عليه وبهتانًا وتضليلاً
هذا قولهم في الله خالقهم ... فكيف لو قيل فينا بعض ما قيلا

الإنسان المسلم الحق.. لا يلتفت إلى الناس.. لأنه لا أحد يرزقك، ولا أحد يستطيع أن يمنع الرزق عنك.. ولا يستطيع أحد مهما كان سلطانه أن يقرب أجلك، أو يباعده.. لأن الذي يملك ذلك كله هو الله.. الذي خلقك، فسواك، فعدلك.. هو الذي يملك أجلك ويملك رزقك.. وكل شيء.. هو الله.

أحبتي في الله...

ومجاهدة الشيطان دواء ناجح.. لكن استعن بالله الواحد الأحد على هذا اللعين.. فهو منبع الرياء، فاستعن على طرده بالاستعاذة بالله منه وتذكروا قصة هذا العالم الجليل، الذي قال لأحد تلاميذه يومًا: أي بني ماذا تصنع لو مررت على غنم فنبحك كلبها؟

قال: يا سيدي، أدفع الكلب ما استطعت.

قال: فإن نبحك الثانية؟ قال: أدفع الكلب ما استطعت.

قال: فإن نبحك الثالثة؟ قال: يا سيدي، أدفع الكلب ما استطعت فقال له أستاذه المربي: يا بني، ذاك أمر يطول، ولكن إن أردت المرور، فاستعن بصاحب الغنم، يكفك كلبها.

فاستعن بالله، يكف عنك الشيطان.. الذي يوسوس لك، ويسول لك الرياء وأسبابه.. يقول الحبيب النبي ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما أبدًا: كتاب الله، وسنتي**»[1].

البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت.. اعمل ما شئت كما تدين تدان أو كما قال: ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. الملك الحق المبين.. يفعل ما يشاء وهو الحي الذي لا يموت، وهو القوي العزيز.. لا راد لقضائه، ولا مبطل لحكمه.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا.. عبده ورسوله.. الرحمة المهداة، والنعمة المسداة.. اللهمَّ صلِّ عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

أيها المسلمون عباد الله...

اقتلعوا جذور الرياء من قلوبكم، سلموا قلوبكم من الرياء، لأن القلب السليم لا يعرف الرياء له سبيلاً.. القلوب السليمة أصحابها ناجون في الدنيا والآخرة ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝** ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم وغيره عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

والقلب لا يسلم ولا يكون سليمًا إلا بأمور خمسة: لا يسلم حتى يسلم من الشرك الذي يناقض التوحيد، ومن البدعة التي تناقض السنة، ومن شهوة تناقض الأمر، ومن غفلة تناقض الذكر ومن هوى يناقض الإخلاص.

والقلوب أربعة كما قال حذيفة بن اليمان ﷺ: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، عرف، ثم أنكر وأبصر ثم عمي، وقلب تمده مادتان: مادة إيمان، ومادة كفر، أو نفاق، وهو لما غلب عليه منهما.. وهذه روشتة من صيدلية أحد أطباء القلوب، لمرضى القلوب. فقد جاء رجل إلى سفيان الثوري رحمه الله وقال له: يا إمام، إنني مريض بمرض البعد عن الله، فهل أجد لي عندك من دواء؟

فقال: يا عبد الله، عليك بعروق الصبر، وورق الإخلاص، وعصير التواضع، وضع ذلك في إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه بنار الحزن، وصفه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع، وابعد نفسك عن الغش والطمع، تشفي من مرضك بإذن الواحد الديان .

فعليكم بورق الإخلاص، وابتعدوا عن الرياء، واتقوا ربكم واعلموا أنكم معرضون عليه.

اللهمّ اجعل عملنا في رضاك خالصًا لوجهك الكريم. اللهمَّ إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا ونحن نعلمه، ونستغفرك اللهم مما لا نعلم.

اللهمَّ طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

اجعلنا يا ربنا من الراشدين اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل

باطلاً وارزقنا اجتنابه، اجمع شملنا، وحد صفنا، أصلح ولاة أمورنا، انصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين، أمنا في أوطاننا، أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك.

انصر من نصرهم واخذل من خذلهم.. قوِّ عزائمهم.. واربط على قلوبهم، وثبت الأقدام يا رب العالمين اللهم هيئ لهم من أمرهم رشدًا، وهيئ لهم من أمرهم مرفقًا يا رب العالمين.

اللهمَّ عليك بأعداء الملة والدين من النصارى واليهود الغاصبين ومن الشيوعيين والوثنيين والمنافقين.

اللهمَّ اشدد وطأتك عليهم إنهم لا يخفون عليك يا قوي يا عزيز، يا عليم يا خبير، ربنا ظلمنا أنفسنا وإلا تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

عباد الله...

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا الله العظيم الجليل، يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وأقم الصلاة



الفهرس

أولاً: خطب في الزهد والرقائق

ثانيًا: أناس لا يحبهم الله

ثالثًا: من خطب المناسبات

رابعًا: آفات اللسان وأمراض الأمة

